إضاءة قلم

(التّعايش ... تأملات ومذكرات)

إضاءة قلم.indd 1 1/26/2019 9:24:02 AM

إضاءة قلم

التّعايش ... تأملات ومذكرات

بدر العبريّ

الجمعية العُمانية للكتّاب والأدباء
THE OMANI SOCIETY FOR WRITERS & LITERATI

مسعى للنشر والتوزيع
Masaa Publishing & Distribution

2019

إضاءة قلم.indd 3 1/26/2019 9:24:02 AM

إضاءة قلم (التّعايش ... تأملات ومذكرات)
بدر العبريّ

الطبعة الأولى - 2019

رقم الإيداع المحلي 29 / 2019

ISBN 978-99969-0-039-6

جميع الحقوق محفوظة

الجمعية العُمانية للكتّاب والأدباء
THE OMANI SOCIETY FOR WRITERS & LITERATI

مسقط، سلطنة عمان
البريد الإلكتروني: omani-writers@hotmail.com
هاتف: 24346754 / 24346756-968+

مسعى للنشر والتوزيع
Masaa Publishing & Distribution

Ottawa, ON. Canada
info@masaapublishing.com
www.masaapublishing.com

Copyrights © The Omani Society fo writers & Literati 2018
يمنع نسخ أو استعمال أي جزء من هذا الكتاب بأي وسيلة تصويرية أو الكترونية أو ميكانيكية بما فيه التسجيل الفوتوغرافي والتسجيل على أشرطة أو أقراص مقروءة أو أي وسيلة نشر أخرى بما فيها حفظ المعلومات أو استرجاعها من دون إذن خطي من الناشر.

تصميم الغلاف: محمد النبهان

إضاءة قلم.indd 4 1/26/2019 9:24:03 AM

الفهرس

- **تقدمة** 9

- **التّسامح الفقهيّ في سلطنة عمان**..... 11

مقدّمة البحث..... 11

المطلب الأول: خطوط عامّة للتّسامح الفقهيّ في عمان 12

أولا: مفردة التّسامح في التّعريف اللّغويّ والفقهيّ العمانيّ وتأريخيتها..... 12

ثانيا: التّعدد الدّينيّ والمذهبيّ في عمان 14

المطلب الثّانيّ: قراءة في التّسامح الفقهيّ بين المدارس الثّلاثة في عمان 16

أولا: التّسامح في الفقه الإباضيّ العمانيّ..... 16

ثانيا: التّسامح في الفقه السّنيّ العمانيّ..... 19

ثالثا: التّسامح في الفقه الجعفريّ (الإماميّ) العمانيّ..... 22

المطلب الثّالث: أثر التّسامح الفقهيّ في عمان..... 24

أولا: أثر التّسامح الفقهيّ مع الأديان في عمان 24

ثانيا: أثر التّسامح الفقهيّ مع السّائح والتّاجر الأجنبيّ..... 26

ثالثا: أثر التّسامح الفقهيّ في التّعامل السّياسيّ 27

المطلب الرّابع: التّسامح والحراك المعاصر في عمان 29

ملحق عباض.indd 5 1/26/2019 9:24:03 AM

أولا: التّسامح في ظلّ الوضع الطّائفيّ في المنطقة 29
ثانيا: التّسامح في ظلّ القانون المدنيّ والدّولة المدنيّة العمانيّة 30
ثالثا: الوضع المستقبليّ للتّسامح الفقهيّ في عمان 31
الخاتمة..... 33

• **الثّقافة العربيّة والحراك الاجتماعيّ** 37
مقدمة 37
المبحث الأول: تحديد المفاهيم 38
أولا: ماهية الثّقافة..... 38
ثانيا: ماهية الحراك الاجتماعيّ 40
المبحث الثّاني: الثّقافة العربيّة والحراك الاجتماعيّ..... 41
أولا: الثّقافة والمشهد السّياسيّ والتّفرق القوميّ..... 42
ثانيا: الثّقافة والتّطرف الدّينيّ والحروب الطّائفيّة 47
رابعا: الثّقافة والوضع الاقتصاديّ والاجتماعيّ..... 57
الخاتمة..... 61

• **الرّحلة القميّة**..... 65
المحاضرة في جامعة المصطفى (ﷺ)..... 65
زيارة ضريح فاطمة المعصومة 69
زيارة مؤسسة بيت المليّ 71
زيارة الخطيب الحسينيّ سماحة السّيد محمد الشّوكيّ 73
زيارة السّيد كمال الحيدريّ..... 77
زيارة الشّيخ حيدر حب الله..... 82
زيارة مؤسسة الثّقلين ومعرض قم للكتاب..... 88

ةءاضبإ_قلق.indd 6 1/26/2019 9:24:03 AM

جلسة حواريّة على مائدة العشاء عند العلّامة الميرزائيّ 91
التّسوق والرّجوع إلى الوطن 94
وقفة مصارحة 97

• **الرّحلة الكويتيّة** 103
الغاية والذّهاب 103
الوصول إلى مطار الكويت 106
الّذهاب إلى ديوانيّة تجمع الميثاق الوطنيّ وندوة التّسامح [عمان أنموذجا] 110
وصول الحقيبة والذّهاب إلى مركز الشّيخ عبد الله السّالم الثّقافيّ... 116
الذّهاب إلى المباركيّة وتسجيل حلقة مع الدّكتور أحمد حسين محمد.. 121
الذّهاب إلى مطعم السّاحة 124
زيارة الباحثة إيميلي جوشن..... 126
تسجيل حلقة مع سماحة الصّفار وزيارة المجمع التّجاري أفنيوز مول 129
زيارة ديوانيّة الأحد وتسجيل حلقة مع معالي الدّكتور عبد الهادي الصّالح 132
تسجيل حلقتين مع النّوفليّ والبغيليّ 136
الرّجوع إلى الوطن..... 144

• **مذكرات حج 1435 هـ**..... 147
في مطار مسقط 147
في مطار حمد بالدّوحة..... 148
في مطار الطّائف الدّوليّ..... 148
الانطلاق إلى مكة 149

ملف عارض.indd 7 1/26/2019 9:24:04 AM

الوصول إلى السّكن في مكة 149
الذّهاب لأداء مناسك العمرة 150
الذّهاب إلى للتّسوق ومنطقة جبل النّور 150
في سكن مكة 152
يوم التّروية 152
إلى عرفة 158
الإفاضة من عرفات 162
في الطّريق إلى مكة ورمي جمرة العقبة الكبرى يوم النّحر 165
التّحلل الأكبر 167
طواف الإفاضة 168
الرّجوع إلى منى ليلة الحادي عشر 169
مع أيام التّشريق ورمي الجمار 171
التّعجيل يوم النّفر 173
اليوم الثّالث عشر من ذي الحجة وطواف الوداع 174
الرّجوع إلى السّكن مرة أخرى 175
العودة إلى الوطن يوم الرّابع عشر 176

- **أيام قليلة في القاهرة** 179

- **مفكرة الكاتب** 185

إلى قاعة.indd 8 1/26/2019 9:24:04 AM

تقدمة

تجمعت لديّ بعض البحوث والدّراسات والمذكرات، منها ما طبع، ومنها ما يحتاج إلى صياغة، ومنها من ينتظر، فرأيتُ أن يكون هذا الكتاب في حلقته الأولى من هذه السّلسلة يحوي الجانبين: الجانب التّأملي والنّظريّ ويشمل بحثين قصيرين: بحث التّسامح الفقهيّ في سلطنة عمان، وبحث الثّقافة العربيّة والحراك المجتمعيّ، وركزت في البحثين على الجوانب المشتركة، وسبل تحقيق النّهضة التّعايشيّة في مجتمعنا العربيّ، والّتي تتجاوز حدود الّذات والأنثيّة المغلقة، إلى فضاء الإنسان والعالم المشترك.

وأمّا الجانب الثّانيّ فهي مذكرات أو رحلات لتحقيق التّعايش ومعرفة الآخر، مع بعض المراجعات والتّأملات، حيث يحوي الكتاب مذكرات الرّحلة القميّة – أي إلى قم في الجمهوريّة الإسلاميّة الإيرانيّة – 2017م، ومذكرات الرّحلة الكويتيّة 2018م، ومذكرات حج 1435هـ، بجانب مقال أيام قليلة في القاهرة 2017م.

بدر بن سالم بن حمدان العبريّ
العذيبة/ ولاية بوشر، محافظة مسقط
مساء الأحد 20 محرم الحرام 1440هـ/ 30 سبتمبر 2018م

إلى قاض.indd 9 1/26/2019 9:24:04 AM

التّسامح الفقهيّ في سلطنة عمان[1]

مقدّمة البحث

التّجربة العمانيّة في التّعايش والتّسامح من أقدم التّجارب الإنسانيّة، فهي ليست وليدة اليوم؛ بل هي عميقة الامتداد في التّأريخ العمانيّ، منذ بداية الحضارة، وبداية الإنسان في هذا البلد الطّيب.

وهذا لا يعني عدم وجود ما يعكر هذا التّعايش، ولكن غالبه كان بسبب الخلاف القبليّ والسّياسيّ، ولم يسجل ما يعكر ذلك بسبب الخلاف الدّينيّ أو المذهبيّ أو الاختلاف الأثنيّ.

ولظهور التّعايش والتّسامح كقيمة مجتمعيّة أسباب على رأسها الجانب الفقهيّ المتسامح في الجملة، والّذي وجد بيئة سياسية تحتضنه.

وفي هذا البحث المتواضع، وبطلب مبارك من الجمعيّة العمانيّة للكتّاب والأدباء للحديث حول التّسامح الفقهيّ في عمان، حاولت التّركيز على

(1) سميته التّسامح لأنّه طلب مني هذا العنوان والتّقيد به، مع إيماني بأولويّة المصطلح القرآني: التّعارف، وطلب مني التّركيز على الجانب الوصفيّ الإيجابيّ، لهذا لم أتحدث عن السّلبيات، ومن أراد المزيد فليرجع إلى مقال لي: (لتعارفوا) القيمة التّشريعيّة القرآنيّة بين البشر. مقدّم لمجلة شرق وغرب، السّنة الرّابعة، عدد 14، يوليو وأغسطس 2017م، ص 109 – 111، وكتابي: فقه التّطرف، طبع الجمعيّة العمانيّة للكتّاب والأدباء، مسقط/ سلطنة عمان ودار مسعى/ لبنان، 2018م.

ملف عارض.indd 11 1/26/2019 9:24:05 AM

التّسامح داخل المدارس الفقهيّة في عمان كدراسة وصفيّة سريعة، مع إسقاط ذلك على الحراك التّعايشيّ في عمان في الماضيّ والحاضر، وربطه بالجانب السّياسيّ، وأثر ذلك على العقل المجتمعيّ، راجيا أن أكون قدمت شيئا للمعرفة الإنسانيّة أولا ثمّ العربيّة والعمانيّة ولو شيئا بسيطا.

المطلب الأول: خطوط عامّة للتّسامح الفقهيّ في عمان

أولا: مفردة التّسامح في التّعريف اللّغويّ والفقهيّ العمانيّ وتأريخيتها

مفردة التّسامح بالمعنى المعهود حاليا لا نجدها في معاجم اللّغة عند العمانيين من حيث الأصل لأنّها لفظة متطورة في مصطلحها، وجاءت في كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيديّ [تـ 170هـ] بمعنى المساهلة، فالمسامحة في الطّعان والعدو أيّ مساهلة، ورمح مسمّح أي مثقّف ملين[1]، ولم اهتدِ إليها في كتاب جمهرة اللّغة[2] لابن دريد ت 321هـ.

وجاءت في المصادر غير العمانيّة نحو كتاب مختار الصّحاح للرّازيّ [ت 660هـ]، وفيه يذكر قريبا ممّا قاله الخليل أنّ المسامحة المساهلة، وتسامحوا تساهلوا، وفيه زاد أنّ السّمح والسّماحة بمعنى الجود أيضا[3]، وسبق الرّازيّ في جملة كلامه ابن فارس [ت 395هـ] في مجمل اللّغة[4].

---

(1) الإسكافّي، الخطيب أبو عبد الله أحمد بن عبد الله: **مختصر كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيديّ**، تحقيق هادي حسن حموديّ، ط وزارة التّراث القوميّ والثّقافة – سلطنة عمان، الطّبعة الأولى 1419هـ/ 1998م، ج1 ص 340.

(2) يرجع إلى **جمهرة اللّغة** لابن دريد أبي بكر محمد بن الحسن الأزديّ، ط مكتبة الثّقافة الدّينيّة – بورسعيد/ مصر، لا طبعة، لا تأريخ.

(3) الرّازيّ، محمد بن أبي بكر عبد القادر: **مختار الصّحاح**، ط دار مكتبة الهلال، بيروت/ لبنان، الطّبعة الأولى 1983هـ، باب سمح، ص 312.

(4) ابن زكريا، أبو الحسين أحمد بن فارس، **مجمل اللّغة**، تحقيق زهير عبد المحسن سلطان، ط مؤسسة الرّسالة، الطّبعة الثّانيّة 1406هـ/ 1968م، المجلد الأول، ص 473.

ملحق عاض.indd 12 1/26/2019 9:24:05 AM

وبيّن البستانيّ تـ 1883م أنّ التسامح مصدر تسامح، وفي عرف العلماء استعمال اللّفظ في غير حقيقته بلا قصد علاقة مقبولة ولا نصب قرينة دالّة على ذلك، اعتمادا على ظهور الفهم في ذلك المقام[1].

أمّا بمعنى احترام عقائد الآخرين أيّ كتعريف له حده ومنتهاه فإنّي أراه متأخرا ولا يكاد يستخدم بهذا المعنى لغويّا أو فقهيّا اصطلاحيّا، ويرى بعض الباحثين أنّ استخدامه بمعنى حريّة المعتقد يعود إلى القرن السّابع عشر الميلادي في أوربا[2].

ويرى هادي حسن حموديّ[3] [معاصر] أنّ هذه الألفاظ معانيها متداخلة وإن لم تستخدم بمعنى مصطلح اليوم، فالتّعارف أن يتأثر بعضهم ببعض، جاءت من (العرف) بفتح العين، وهو الرّائحة الطّيبة، والتّعايش يعني أن يساعد بعضنا بعضا في العيش، وأمّا التّسامح فأن يكون (س) متسامحا مع (ص) فيما يجوز فيه السّماح والتّسامح، أي أن يتسامح عن أخطاء يمكن التّجاوز عنها، ولاحظ أنّ (التّجاوز) من الصّيغة ذاتها[4].

ولفظة التّسامح لم ترد في القرآن الكريم، فهي لم ترد بهذه اللّفظة،

---

(1) البستانيّ، المعلم بطرس: **محيط المحيط**، ط مكتبة لبنان، بيروت/ لبنان، ط 1983م، ص 426.

(2) المحرميّ: زكريا، **مقالة عمان من التّسامح إلى الانسجام**، مدونة زكريا المحرميّ، تاريخ الزّيارة: الاثنين 17 أكتوبر 2016 م – 15 محرم 1438 هـ، السّاعة الثّامنة والثّلث مساء، http://www.drzak.net/index/?p=211.

(3) لغويّ وأديب عراقيّ معاصر، يعيش في بريطانيا، محقق العديد من الكتب، منها كتاب مختصر كتاب العين للإسكافي، وله أيضا العديد من الكتب في اللّغة والفكر والدّراسات الإنسانيّة.

(4) لقاء الكاتب مع الأستاذ هاديّ حموديّ، عن طريق الفيس بوك، يوم الأحد، 2/ أكتوبر 2016م، بداية من السّاعة العاشرة وأربع وخمسون دقيقة، عن طريق برنامج وسائل التّواصل (الفيس بوك).

ةءاضبلا.indd 13 1/26/2019 9:24:05 AM

ولكن جاءت بمعنى العفو كقوله تعالى: ﴿خُذْ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنْ الْجَاهِلِينَ﴾[1]، وجاءت بمعنى الصّفح في قوله تعالى: ﴿وَلَيْعْفُوا وَلَيْصْفَحُوا أَلاَ تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾[2]، وجاءت بمعنى حريّة المعتقد في قوله سبحانه: ﴿لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾[3]، وجاءت أيضا بمعنى التّعايش المجتمعيّ والحضاريّ في قوله تعالى: ﴿لا يَنْهَاكُمْ اللَّهُ عَنْ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾[4]، وجاءت بمعاني أخرى أيضا عديدة كالتّعارف وحريّة الطّقوس، والحفاظ على دور العبادة أيّا كانت، والجدال بالّتي هي أحسن.

أمّا التّسامح في الأثر فقد جاء بمعنى التّساهل، ومنه رواية: رحم الله عبدا سمحا إذا باع، سمحا إذا اشترى، سمحا إذا اقتضى[5].

عموما لفظة التّسامح كمفردة كما هي متداخلة؛ هي في الوقت نفسه متطورة حسب الاستعمال وتطوره الزّماني تقعيدا وتأصيلا.

ثانيا: التّعدد الدّينيّ والمذهبيّ في عمان

عُمان تتميز بميزتين متناقضتين سابقا، الجانب البحريّ المنفتح على حضارات كبرى كحضارة الصّين وفارس والهند وما وراء النّهر، وجانب جبليّ منغلق على نفسه، وبعيد في الوقت نفسه عن مراكز الخلافة الإسلاميّة.

---

(1) الأعراف/ 199.

(2) النّور/ 22.

(3) البقرة/ 256.

(4) الممتحنة/ 8.

(5) ينظر: **صحيح البخاريّ**، للإمام البخاريّ، الجزء الثّانّي، كتاب البيوع، باب: السّهولة والسّماحة في الشّراء والبيع، ومن طلب حقا فليطلبه في عفاف، حديث رقم: 1970، نسخة الكترونيّة.

ملف عاض.indd 14 1/26/2019 9:24:05 AM

هذان البعدان سيولدان تعددا دينيّا في المنطقة، ويجعلهما أكثر تسامحا بسب الخلطة والمنافع الدّنيويّة، ولاشتراكهما في الأرض الواحدة، وهذا بدوره سيسقط على نتاج الجميع من خلال الفكر أولا، ومن خلال السّلوك التعامليّ ثانيا.

من هنا وجدت في عمان تيارات فقهيّة فعندنا المدرسة الإباضيّة ثمّ المدرسة السّنيّة، وغالب المدرسة السّنيّة شوافع فقها، ثم بنسبة أقل الأحناف، يليهم بدرجات قليلة المالكيّة والحنابلة.

والأغلبيّة من المدرسة السّنيّة غلب عليهم التّصوف، فكانت الزّوايا الصّوفيّة منتشرة عند الشّوافع خصوصا، إلا أنّها قلّت حاليا، وبدأ بعض أفراد المدرسة السّنيّة يميل إلى السّلفيّة.

كذلك عندنا الشّيعة الإماميّة وهم منتشرون كأقليّة على السّاحل كمطرح وبعض سواحل الباطنة.

وهناك بسبب التّجارة كان البانيان (الهندوس) والزّرادشتيّة (المجوس) بنسب قليلة، كما وجد أيضا اليهود إلى فترات متأخرة جدا.

أما النّصارى (المسيحيون) فبعض الباحثين يميل إلى وجودهم في عمان قبل الإسلام، حيث يرى سالم بن حمد الحارثيّ [ت 1427هـ] أنّ العمانيين قبل البعثة كانوا على الدّين المسيحيّ[1]، ولكن هل استمر وجودهم أم لا، ولأي فترة، هذا يفتقر إلى البحث العلميّ، أمّا كسياحة وخلطة وتجارة فكان لهم وجودهم، وفي الفترات الأخيرة كانت الحملات التّنصيريّة، إلا أنّها لم تحقق أهدافها في الجملة، وتوجد لهم في عمان بعض الكنائس، كما يوجد للبانيان معابدهم ومحارق موتاهم.

(1) الحارثيّ: سالم بن حمد، **العقود الفضيّة في أصول الإباضيّة**، مطبعة إبراء – سلطنة عمان، الطّبعة الثّانيّة، 2009م، ص 8.

ملحق عاض.indd 15 1/26/2019 9:24:06 AM

كذلك اليوم بسبب التّجارة والتّجنيس يوجد بعض الأفراد من الذّكريين[1] والأحمديين (القاديانيّة)[2] والبهائيين[3] وهم أقرب إلى الأفراد القلائل جدا، وليسوا على شكل جماعات.

عموما العمانيون في الجملة مسلمون متعايشون بين طوائفهم، ولكن أيضا متعايشون لمن استقر معهم بسبب التّجارة، أو من زارهم بسبب السّياحة، وهؤلاء ولو كانوا من دين آخر، إلا أنّ التّعايش الإنسانيّ ظاهر جدّا كما سيأتي في المطالب التّاليّة.

المطلب الثّانيّ: قراءة في التّسامح الفقهيّ بين المدارس الثّلاثة في عمان

أولا: التّسامح في الفقه الإباضيّ العمانيّ

تعتبر المدرسة الإباضيّة في عمان من أكثر المدارس تأليفا في الجانب الفقهيّ مقارنة بغيرها من المدارس الإسلاميّة في القطر العمانيّ، وفي الجملة

(1) الذّكريون طائفة من الصّوفيّة السّنيّة المتأثرة بالفكر الباطنيّ، وسميّت بالذّكريّة نسبة إلى كثرة الذّكر، ومؤسسها الملّا محمد الأتكيّ في أواخر القرن العاشر الهجريّ في منطقة (مكران) في إقليم (بلوشستان)، وهناك نمت وقويت ثم انتشرت إلى المناطق المجاورة، ويقال إنّ الأتكيّ في البداية قال بالمهدويّة، ثمّ ادّعى النّبوة، ينظر: **الفئة الذّكريّة وفتنتها في مكران**، لعبد الغفار محمد الضّامرائيّ، ط دار الفتح للطّباعة والنّشر والتّوزيع، الشّارقة- دولة الإمارات العربيّة المتحدة، الطبّعة الأولى 1415هـ/ 1994م.

(2) نسبة إلى غلام أحمد الّذي ولد في إحدى قرى مقاطعات البنجاب، ويرون أنّ غلام أحمد هو المهديّ الموعود، ويتبنون غالبا المذهب الحنفيّ فقها، وظهرت هذه الطّائفة في آخر القرن الثّالث عشر الهجريّ، القرن التّاسع عشر الميلاديّ.

(3) طائفة منبثقة من الشّيخيّة الإحسائيّة، نشأت في إيران في منتصف القرن التّاسع عشر الميلاديّ، ويرون أنّ الباب أو بهاء الله هو النّبي بعد محمد عليه الصّلاة والسّلام، حيث نسخ بعض الأحكام في القرآن في كتابه الأقدس والإيقان، وهما كتب مقدسة عند البهائيين.

ملف قاض.indd 16 1/26/2019 9:24:06 AM

توجد نصوص مبكرة تدل على التّسامح الفقهيّ في عمان، سواء كانت مع المدارس الإسلاميّة، أو حتى مع الأديان والملل الأخرى.

ومن هذه النّصوص انفتاحهم على المدارس الأخرى في الصّلاة خلفهم، فيقول الأزكويّ (توفيّ في أواخر القرن الثّالث الهجريّ أو بدايات القرن الرّابع الهجريّ): لا بأس من الصّلاة خلف قومنا في الجمعة وغيرها[1].

ويبين الأصمّ [ت 631هـ] الجواز بصورة أكبر حيث يقول: وقد أجاز المسلمون -أي الإباضيّة- الصّلاة خلف من يفرد الإقامة، ومن يسر لبسم الله الرّحمن الرّحيم، وخلف من يرفع يديه في الصّلاة بالتكبير، ومن يسلّم مرتين، ولم يروا ذلك زيادة ولا نقصانا؛ لأنّهم أجمعوا على أنّه إنّما تجوز الصّلاة خلف من لا يزيد فيها ولا ينقص منها، وهذه الخصال الأربع لا نعلم أنّ أحدا من المسلمين قال فيهنّ بنقض على من صلّى خلفه على ذلك[2].

وأصبحت من قواعد المدرسة الإباضيّة منذ فترة مبكرة: إذا دعوا إلى الصّلاة أجبناهم، وإذا دعوا إلى قتل النّفس المحرمة فارقناهم[3].

وما حدث من تعصب وتشدد وخلاف في بعض الأحيان فقد أرجعه إبراهيم بن سعيد العبريّ [ت 1975م] إلى سبب ضعف الخلطة[4] وما ينتج عنها من جهل وفرقة، لذا بين أنّه كثرت اليوم الخلطة، وخفت النّفرة،

---

(1) الأزكويّ: أبو جابر محمد بن جعفر؛ **الجامع لابن جعفر**، ط وزارة التّراث القوميّ والثّقافة – سلطنة عمان، لا تاريخ، ج2، ص 67.

(2) الأصمّ: أبو محمد عثمان بن أبي عبد الله؛ **البصيرة**، ط وزارة التّراث القوميّ والثّقافة – سلطنة عمان، لا تاريخ، ص 84.

(3) العبريّ: إبراهيم بن سعيد؛ **الآثار العلميّة لسماحة الشّيخ العلّامة إبراهيم بن سعيد العبريّ**، المجلد الثّاني، جمع علي بن هلال العبريّ وجمعة بن ناصر الصارميّ وآخرون، ط جامعة السّلطان قابوس، الطّبعة الأولى 1436هـ/ 2015م، ص 21.

(4) المصدر نفسه، المجلد 2، ج4، ص 24.

ملف قاعض.indd 17 1/26/2019 9:24:06 AM

واجتمع بعضنا ببعض، فلا يناسب ذلك الا اتباع ما عليه السّلف ممّا ذكرناه أيّ من الألفة والصّلاة خلف بعض، وجواز الصّلاة معهم، والاقتداء بأئمتهم فيها جمعة وجماعة، حيث أقاموها في أماكنهم وجوامعهم، ولا نرى الامتناع والتّخلف عنهم؛ لأنّ الصّلاة عبادة لله، والدّعاء إليها دعاء إلى الله، فيا قومنا أجيبوا داعي الله، ولا تتخلفوا فتتخالف قلوبكم[1].

وبما أنّه تجوز الصّلاة والخلطة فيها، سيتحقق بذلك تعايش وتشارك في الحياة، كالتّداخل في الزّواج والمعاملات الماليّة، وفي جميع القضايا الحياتيّة، سواء بين المدرسة الإباضيّة والسّنيّة؛ بل وحتى بين المدرستين والمدرسة الشّيعيّة الإماميّة.

كذلك كان التّسامح الفقهيّ مع اليهود والنّصارى والمجوس والبانيان، والّذين شاركوا العمانيين ردحا من الزمن في وطنهم، وشاركوهم في معاملاتهم، وهذا ما سقط على عامّة النّاس وأفرادهم، وفي هذا يقول روبرت بنينج الّذي توقف في مسقط عام 1850م في طريقه من بلاد فارس إلى سيلان حيث يقول: أعجب مما عجبت منه هو الاحترام الكبير الذي يكنه مسلموا هذه البلاد – أيّ العمانيين – لذلك اليهوديّ[2].

وكذا الحال مع النّصارى والبانيان والمجوس، ومن ذلك فتوى وجهت لعامر بن خميس المالكيّ [ت 1280هـ] بشأن التّعامل مع النّصارى والبانيان والمجوس حول الأدوية والأشربة الّتي تشترى من النّصارى أو البانيان، مختوما عليها مائعة أو جامدة حيث قال: أمّا المائعات المختومة من النّصارى

(1) المصدر نفسه، المجلد 2، ج4، ص 24.

(2) الحجريّ: هلال؛ **عمان في عيون الرّحالة البريطانيين قراءة جديدة للاستشراق**، ترجمة خالد البلوشيّ، ط الانتشار العربيّ، بيروت لبنان، والنّادي الثّقافيّ مسقط، الطّبعة الأولى، 2013م، ص 10.

1/26/2019 9:24:06 AM 18 .indd.ملحق عاض

والبانيان أهل الذّمة ففي الحكم هي طاهرة، ولا بأس بها، والمجوس هم عبدة النّار، وأحسب أنّ البانيان منهم[1]، والله أعلم[2].

وقاس الفقهاء الإباضيّة المجوس والبانيان على حكم أهل الكتاب لكثرة الخلطة وهذا ما أفتى به ابن عبيدان [ت بعد 1104 هـ] قاضي الإمام سلطان بن سيف اليعربيّ [ت 1680م] حيث أفتى في البانيان في صحار وهم من الهندوس بأنّهم يسن بهم سنة أهل الكتاب قياسا على المجوس، لعليّة عبادة غير الله، فالمجوس يعبدون النار وهؤلاء يعبدون الأوثان والبقر فالحكم واحد[3].

كلّ هذا ولّد تسامحا واستقرارا دينيّا لفترة طويلة من الزّمن، حيث لم يسجل بسببها صراع دينيّ في عمان في جملة تأريخها.

ثانيا: التّسامح في الفقه السّنيّ العمانيّ (الشّافعيّ والحنفيّ مثالا)

تعتبر المدارس السّنيّة بمختلف أطيافها الفقهيّة في عمان مقلّة في التّأليف، أو لم يحفظ أتباعها مؤلفات فقهائها وعلمائها، وخاصة ما يتعلق بجانب الفتاوى الفقهيّة، إلا أنّ التّسامح والتّعايش الحاليّ والتّأريخيّ يدل دلالة كبيرة على الفكر التّسامحي عند فقهاء هذه المدارس، سواء فيما بينها، أو فيما غيرها من المدارس والأديان الأخرى.

---

(1) الصّحيح أنّ البانيان هم الهندوس، وليسوا هم المجوس، ومع هذا كان للمجوس وجودا في عمان قبل الهندوس بفترة أطول فيما أحسب.

(2) المالكيّ: عامر بن خميس؛ **فتاوى وأجوبة الشيخ عامر بن خميس المالكيّ**، تحقيق بدر بن سالم بن حمدان العبريّ، طبع مطبعة النّهضة، مسقط/ عمان، الطّبعة الأولى 1436هـ/ 2015م، ص 505.

(3) السّيابيّ: أحمد بن سعود؛ **ورقة منظومة القيم القرآنيّ وأثرها في المجال الكلاميّ والأخلاقيّ**، مقدمة لندوة مؤتمر تطور العلوم الفقهيّة، وزارة الأوقاف والشّؤون الدّينيّة – سلطنة عمان، مؤتمر الفقه الإسلاميّ: المشترك الإنسانيّ والمصالح، مرقون.

ملحق عاض.indd 19 1/26/2019 9:24:06 AM

ووجدت نصّا قديما لحبيب بن يوسف الفارسيّ الصحاريّ المسقطيّ [ت 1276هـ] بشأن إمام مالكيّ يصلي بأناس بعضهم شافعيّ المذهب، وبعضهم مالكيّ المذهب، فهل يجب عليه مراعاة مذهب من يصلي خلفه من الشّافعيّة أو لا[1]؟ وحبيب من المدرسة الشّافعيّة، وبين الشّافعيّة والمالكيّة خلطة في شمال عمان. فكان من جوابه الّذي يدل على تسامحه في آراء المدرسة المخالفة له فقها إذ يقول: أمّا المسألة الأولى فنحن ما نخوض فيها؛ لأنّ مبحثها فقه السّادة المالكيّة، فليراجع في ذلك عالم مالكيّ ثقة[2]، حيث احترم أصل المسألة، وأصل من يرجع إليها وخصوصيتها.

ومن المعاصرين فتوى عبد العزيز العوضيّ الشّافعيّ[3] مذهبا أيضا، فقد سُئِلَ أنّه نسافر لبلدان لا نجد فيها مساجد لأهل السّنة كي نصلي فيها الجمعة وصلاة الجماعة، وإن طالت المدة فهل نصلي في السّكن؟ فأجاب: المسلم من أيّ مذهب فقهيّ إسلاميّ إذا سافر أو أقام في أيّ بلد في الأرض فيجب عليه أن يؤدي صلاة الجمعة والجماعة في أيّ مسجد من مساجد المسلمين، ويصلي خلف إمام المسجد الرّاتب من أيّ مذهب إسلاميّ من المذهب الثّمانيّة المعتمدة عقديّا وفقهيّا، وهي مذاهب أهل السّنة الأربعة (الحنفيّة والمالكيّة والشّافعيّة والحنابلة) والإماميّة الجعفريّة والإباضيّة والزّيديّة والظّاهريّة[4].

---

(1) الفارسّي: حبيب بن يوسف؛ **فتاوى العلامة حبيب بن يوسف الفارسّي**، طبعة مطبعة عمان ومكتبتها الحديثة، الطّبعة الأولى 1414هـ/ 1993م، ج 1، ص 180.

(2) المصدر نفسه: ج 1، ص 180.

(3) الدّكتور عبد العزيز العوضّي، فقيه عمانّي، من سكان ولاية شناص بمحافظة الباطنة، دكتوراه في الفقه من كليّة الشّريعة والقانون، جامعة الأزهر الشّريف، من كتبه قبض الأموال في عقود المعاوضات بين الحسيّ والحكميّ، والميسر في الأحكام الشّخصيّة.

(4) ينظر: صفحة الدّكتور عبد العزيز العوضّي على الفيس بوك، https://www.facebook.com/profile.php?id=100003683860268&hc_ref=SEARCH&fref=nf.

ملف عوض.indd 20 1/26/2019 9:24:07 AM

وقال في الجواب أيضا: أمّا المسلمون فجميعهم سنة بمذاهبهم الأربعة أشعريتهم وسلفيتهم وأخوانيتهم وصوفيتهم وشيعة وزيديّة وإباضيّة، كلّهم مسلمون موحدون، الله جلّ جلاله ربهم، والإسلام دينهم، ومحمد صلى الله عليه وآله وسلّم نبيهم، وكتابهم واحد، وقبلتهم واحدة[1].

وبالنّسبة للأديان الأخرى يقول العوضي: لا يجوز للإنسان أن يستهزئ أو يسخر بإنسان آخر مسلما كان أو كافرا من أهل الكتاب أو ملحدا، لا في خلقته، ولا في دينه ومعتقده[2].

ومن النماذج المنفتحة في المدرسة الحنفيّة في عمان حاليا سعود الزّدجاليّ[3]، حيث نادى بأهمية التّسامح تحت ظلّ القانون والدّولة المدنيّة، واهتم بنقد الذّات ومنه نقد المدرسة السّلفيّة والمدرسة السّنيّة عموما كنقده للمدارس الأخرى، بما يرجع التّسامح والتّعايش إلى هذا الدّين برفض التّطرف وتعريته وتفنيده[4].

ولهذا نخلص أيضا أنّ المدرسة السّنيّة بتياراتها الفكريّة والعقديّة منفتحة أيضا على التّسامح بين إخوانها من المدارس والتّوجهات في مجتمعنا العمانيّ.

---

(1) المصدر نفسه.

(2) المصدر نفسه.

(3) سعود بن عبد الله الزّدجاليّ، باحث وكاتب عمانيّ، حاصل على دكتوراه في الفلسفة تخصص اللّغة العربيّة (السّيميائيات والتّداوليّات) من جامعة السّلطان قابوس، من كتبه: المواطنة في سلطنة عمان، ومن زوايا الفكر. للمزيد ينظر: **دراسات تداوليّة في أصول الفقه**، سعود بن عبد الله الزّجاليّ، ط دار الفارابيّ، بيروت – لبنان، الطّبعة الأولى 2016م.

(4) ينظر : صفحة الدّكتور سعود الزّدجاليّ على الفيس بوك، https://www.facebook.com/profile.php?id=100002879488589&fref=ts.

ملف عارضة.indd 21 1/26/2019 9:24:07 AM

ثالثا: التّسامح في الفقه الجعفريّ (الإماميّ) العمانيّ

يكثر الشّيعة في عمان بين أهالي المدن السّاحليّة وخصوصاً بين التّجار، كما يوجد فئة تسمى (خوجه أو لوتيّ) وهي فئة من الشّيعة نشأت في مدينة حيدر أباد في السّند، وهي موجودة في مطرح منذ عدة أجيال، وتعيش معظم أبناء هذه الطّائفة في مدينة مطرح، ولها مسجدها الخاص على الشّاطئ[1]، كما يوجد من الشّيعة من قبائل أخرى كالبلوش والعجم والبحارنة وأفراد من قبائل أخرى ممّن تأثر بالتّشيع. ومن علماء الشّيعة العمانيين القدامى الأصولي والفقيه ابن أبي عقيل العُمانيّ [ت قبل سنة 369 هـ] ويعتبر من منظري المدرسة الأصوليّة عند الشّيعة الإماميّة والّذي عاصر ابن الجنيد[2] ت (ق4) الملقب بالإسكافيّ، ويعبّر عنه وعن ابن أبي عقيل العمانيّ بالقديمَين[3]، واستطاع الشّيخ المفيد (محمد بن محمد بن النّعمان) ت 413 هـ تلميذ الإسكافيّ تطوير مدرسة القديمين لتدخل دور التّصنيف الأصوليّ في المدرسة الإماميّة[4].

عموما المدرسة الشيعيّة الإماميّة في عمان كانت متسامحة أيضا مع إخوانها من المدارس الأخرى، وكانت لهم القوة التّجاريّة قديما وحديثا، فمطرح ومسقط وسداب[5] مثلا تميزت بالتّناغم بين الشّيعة الإماميّة والسّنة والإباضيّة، وسر هذا التّناغم والتّجانس يظهر جليا من خلال تعايشهم

(1) **الشّيعة في عمان**، مركز الأبحاث العقائديّة، نقلا عن كتاب عمان اليوم، إصدار وزارة الإعلام العمانيّة، تاريخ الزّيارة: الثّلاثاء 18 أكتوبر 2016 م – 16 محرم 1438 هـ، السّاعة السّادسة والثّلث صباحا، http://www.aqaed.com/shia/world/oman/.

(2) للمزيد ينظر: الصّدر: محمد باقر؛ **المعالم الجديدة للأصول**، ط دار التّعارف للمطبوعات، بيروت – لبنان، الطبّعة الثّالثة 1401هـ/ 1981م، ص 54.

(3) **ابن الجنيد الإسكافي**، موقع ويكيبيديا، الزيارة: الثلاثاء 18 أكتوبر 2016 م – 16 محرم 1438 هـ، الساعة السادسة وأربعين دقيقة صباحا، https://ar.wikipedia.org/wiki.

(4) **المعالم الجديدة للأصول**، مصدر سابق، ص 54.

(5) من قرى محافظة مسقط.

إلى قاعة المطالعة.indd 22 1/26/2019 9:24:07 AM

ومحبتهم لبعضهم منذ القدم وحتى هذه السّاعة، وهو بذاته يحتاج إلى بحث ودراسة مستقلّة كتجربة عمليّة في التّأريخ الإنسانيّ فيما بينهم ومن وشاركهم من الأديان والملل الأخرى لكونها مناطق ساحليّة، وفي الوقت نفسه تعتبر من المدن التّجاريّة بسبب الميناء التّجاريّ[1].

هذا التّسامح شاركه الرأيّ الفقهّيّ المتسامح حتى اليوم عند مفكري وفقهاء الإماميّة، ولكون المصادر القديمة شحيحة لندرتها بالنّسبة للشّيعة العمانيين، إلا أنّ الكتّاب الشّيعة المعاصرين بينوا كأسلافهم أهمية التّسامح والوحدة الدّينيّة بين المدارس الإسلاميّة، وأهميّة الحفاظ عليه في مجتمعنا العمانيّ، يقول مشتاق بن موسى اللّواتيّ[2]: وهنا لابدّ من التّنويه، إذا كان مجتمعنا العمانيّ بكل أطيافه واتجاهاته يستظل بالتّسامح الدّينيّ والمذهبيّ، ويرفل بالتّآلف المجتمعيّ، بحيث غدا بحق أنموذجًا يشهد له كلّ زائر أو دارس من قريب أو بعيد، فإنّ هذا يفترض أن يضاعف من مسؤولياتنا في المحافظة على هذا الوئام والانسجام وتوريثه للأجيال القادمة[3].

ويقول في أهميّة نشر رسالة التّعدديّة والتّسامح الدّينيّ في البيت الإسلاميّ عموما: لقد بات ضروريّا إحلال مبادئ ومفاهيم وقيم كرامة الإنسان وحقوقه والمواطنة المتكافئة، وسيادة القانون، واستقلال القضاء ونزاهته، واحترام التّعدد الدّينيّ والمذهبيّ، والتّنوع الفكريّ والثّقافيّ، وبما يتوائم مع مرجعياتنا الفكريّة، بدل ثقافة التّعصب، وهجر المخالف لنا، وعدم الاعتراف به[4].

---

(1) تحوّل حاليا إلى ميناء سياحيّ.

(2) كاتب وصحفيّ عمانّي، وباحث مهتم في الفكر العربّي والإسلاميّ، ماجستير في الإدارة العامّة، كتب مقالات ثقافيّة في الصّحف المحليّة، وله مجموعة من البحوث في الدّوريّات المحليّة والعربيّة.

(3) اللّواتيّ: مشتاق بن موسى، **مقال برامج الفتنة وأولويات الأمّة**، جريدة الرّؤية العمانيّة، الأحد 09 يونيو/ حزيران 2013م.

(4) اللّواتيّ: مشتاق بن موسى، **مقال نحو مراجعة التّراث وتعميق ثقافة التّسامح**، الحلقة الثّانيّة، جريدة عمان، أكتوبر 2012م.

ةءاضبإ.indd 23 1/26/2019 9:24:07 AM

ويحث عباس آل حميد[1] المرجعيات الشّيعيّة العلميّة إلى توحيد كلمة المسلمين، ونبذ الفرقة من خلال التواصل الإيجابيّ الفاعل مع علماء ومفكري ودعاة بقية المذاهب الاسلاميّة[2].

ويدعو آل حميد إلى ضرورة إقرار الوحدة والانطلاقة الإنسانيّة بين النّاس جميعا لتحقيق مبدأ التّعايش حيث يرى أنّ النّاس ينتمون جميعا إلى أصل بشريّ واحد، ويشتركون في حقيقة واحدة، وهي الإنسانيّة، وهم جميعا متساوون في تكوينهم وطبيعتهم كبشر، يعيشون في هذه الحياة، ويشتركون في المشاعر والميول والقابليات والاحتياجات الأساسيّة للفطرة[3].

نخلص ممّا سبق أنّ أتباع المدرسة الإماميّة في عمان لها نظرتها الفقهيّة والفكريّة المتسامحة أيضا مع المدارس والأفكار والمناهج الأخرى.

المطلب الثّالث: أثر التّسامح الفقهيّ في عمان

أولا: أثر التّسامح الفقهيّ مع الأديان في عمان

كما رأينا سابقا أنّ العمانيين تعايشوا مع أجناس من أديان متعددة، ومنهم من استوطن عمان، واتخذها بلدا له، ولم يغير دينه، ومنهم من دخل الإسلام اقتناعا لا جبرا، ولم يسجل التّأريخ أيّ حادثة إجبار لتغيير الدّين.

---

(1) عباس آل حميد كاتب عمانّي، ومن المؤهلين مهنيا في مجال الاستشارات الإداريّة من قبل المجلس الدّوليّ لجمعيات الاستشارات الدّوليّة، وخبير في مجال الاستشارات الإداريّة والماليّة والرّقابيّة، من كتبه طريقك المهني وكتاب الاستراتيجيّة الإسلاميّة، للمزيد ينظر: **طريقك المهني مدخلك لتطوير محفظة أعمالك**، عباس آل حميد، لا ناشر، الطّبعة الثّانيّة 2012م.

(2) آل حميد: عباس؛ **الاستراتيجيّة الإسلاميّة**، كيف تساهم في النهّوض بالأمّة الإسلاميّة، لا ناشر، الطّبعة الأولى 2014م، ص 131.

(3) المصدر نفسه، ص 27.

ملف عباض.indd 24 1/26/2019 9:24:08 AM

فالهندوس (البانيان) تعايشوا مع العمانيين منذ فترة مبكرة، وكانت لهم معابدهم، ولهم الأماكن الخاصّة لممارسة شعائرهم في حرق الموتى، وكذا بالنّسبة للمجوس واليهود، أمّا النّصارى فلهم حتى اليوم كنائسهم، ويمارسون فيها طقوسهم بكل حريّة، يقول المبشر الإنجليزي ويليام جيفورد بالجريف [ت 1888م] في زيارته لعمان عام 1863م قال عن العمانيين: هم بطبيعتهم دون أدنى شكّ، حسب خبرتي بهم، الأفضل سَجِيّةً، والأحْسن مَعْشَرًا، والأكثر أنسًا، من جميع الأجناسِ العربيّة، التسامحُ بأقصى درجاتِه التي لا تُوجدُ حتّى في أوربّا، مَكفولٌ هنا لكلِّ الأجناسِ، والدّياناتِ، والعادات، المسلمون واليهودُ والمسيحيّون والهندوس جميعُهم يعبدون اللهّ بحرّيّة حسب معتقداتِهم، ويلبسون ما يشاؤون حسبَ عاداتِهم، ويمارسون الزواج ودفنَ الموتى، والمواريث، حسبَ تقاليدِهم الخاصّة دون قيدٍ، أو إزعاجٍ، أو مَنْع[1].

ويقول روبرت بنينج الذي توقف في مسقط عام 1850م في طريقه من بلاد فارس إلى سيلان: أعجب مما عجبت منه هو الاحترام الكبير الّذي يكنه مسلمو هذه البلاد –أي عمان– لذلك اليهوديّ، إذا أنّي ما وجدت قطّ مسلما من قبل يبدي من الاحترام أدناه لأحد من جنس هذا اليهوديّ[2].

فهذا التّسامح مع أبناء الدّيانات الأخرى من أسبابه النّظرة الفقهيّة المعتدلة والمتسامحة مع المخالف سواء داخل المدرسة الإسلاميّة من حيث تعدد مذاهبها، أو مع الأديان الأخرى، ممّا أسقط تعايشا استمر لفترة طويلة من الزّمن.

---

(1) **مقالة عمان من التّسامح إلى الانسجام**، مرجع سابق، http://www.drzak.net/index?p=211/. تاريخ الزّيارة: الاثنين 17 أكتوبر 2016 م – 15 محرم 1438 هـ، السّاعة العاشرة صباحا.

(2) **عمان في عيون الرحالة البريطانيين**، مصدر سابق، ص 11.

ملف قاض.indd 25 1/26/2019 9:24:08 AM

ثانيا: أثر التّسامح الفقهيّ مع السّائح والتّاجر الأجنبيّ

كما وجد التّسامح في التّعدديّة الدّينيّة والمذهبيّة ممّن اشترك في الوطن، وصار جزءا منه؛ أيضا كان التّسامح مع التّاجر والسّائح والّذي يأتي للبلاد لأسباب متعددة، كان الغالب في السّابق للتّجارة، وقد يأتي لأسباب أخرى كأسباب دينيّة تبشيريّة، أو أسباب اكتشافيّة جغرافيّة، وزاد اليوم معدل المجيء لأسباب السّياحة والتّرفيه.

وهؤلاء الّذين يأتون لأسباب كهذه من القدم وجدوا تسامحا دينيّا كبيرا وإن اختلفوا دينا، وفي هذا يقول المستشرق جون أوفنجتن الّذي زار عمان عام 1693م: إنّ هؤلاء العرب على قدر كبير من دماثة الخلق، يظهرون لطفا وكرما كبيرين للغرباء، فلا يحتقرونهم، ولا يلحقون بهم أذى جسديا، وهم على تشبثهم الثّابت بمبادئهم، والتزامهم الرّاسخ بدينهم؛ لا يفرضون تلك المبادئ وذلك الدّين على الآخرين، كما أنّهم لا يغالون بالتّمسك بها مغالاة تجرّدهم من إنسانيتهم، أو من حسن معشرهم، فالمرء يقطع في بلادهم مئات الأميال دون أن يتعرض للغة نابيّة، أو لأيّ سلوك فج[1].

ويقول الرّحالة البريطانيّ وليام هيود الّذي زار عمان عام 1816م عن العمانيين: وهم في غاية التّسامح، كما أنّهم، على حدّ سواء، بسطاء في تصرفاتهم، وقليلا ما يفرّقون في تعاملهم مع الدّيانات الأخرى[2].

والعديد من هؤلاء الّذين زاروا عمان لأسباب اكتشافيّة أو تجاريّة أو سياحيّة استوطنوا عمان لإعجابهم بالخلق العمانيّ، ومنهم دخل الإسلام

---

(1) المصدر نفسه، ص 10.

(2) **مقالة عمان من التّسامح إلى الانسجام**، مصدر سابق، http://www.drzak.net/index?p=211/. تاريخ الزّيارة: الاثنين 17 أكتوبر 2016 م – 15 محرم 1438 هـ، السّاعة العاشرة صباحا.

إلحاق عاض.indd 26 1/26/2019 9:24:08 AM

طوعا لا عن إكراه، وهذا له علاقة بالنّظرة الفقهيّة المعتدلة، الّتي أسقطت أثرها على عامّة النّاس.

ثالثا: أثر التّسامح الفقهيّ في التّعامل السّياسيّ

كما أنّ للفقه أثره على العامّة من النّاس؛ أيضا ظهر انسجام مع السّياسة في الجانب التّسامحيّ ليعطيه أكثر قوة، حيث لم تفرق السّياسة بين أحد من أبناء المجتمع على اعتبار المذهب أو الدّين في الجملة، ومثل هذا ما ذكره السّالميّ [ت 1332هـ] عندما أراد الغزاة البرتغاليون توقيع الصّلح مع العمانيين في عهد الإمام ناصر بن مرشد [ت 1091هـ/ 1680م] أول إمام للدّولة اليعربيّة، كان من شروطهم إرجاع جميع أوقاف الشّيعة الإماميّة في صحار[1]، والّتي أخذت بغير حق، مع أنّ الدّولة كانت فقها على المدرسة الإباضيّة.

كما أنّ التّسامح كان صورة واضحة في تعامل سلاطين عمان وملوكها، وهذا ما شاهده مثلا الرّحالة جيمز ريموند ويلستد في حكومة السّيد سعيد بن سلطان [ت 1273هـ/ 1856م] من سلاطين دولة البوسعيد، وذلك لما زار عمان عام 1833م حيث يقول: إنّ أهم ما تتسم به حكومة هذا الأمير –أي سعيد بن سلطان– هو بعدها عن ضروب القمع والاعتقال العشوائيّ، وسعة صدرها لكلّ المعتقدات، وتسامحها معها، وإبداؤها الكرم واللّطف الكبير لتجار أيّ بلد يفدون إلى مسقط ويقيمون بها[2].

ويسجل الرّحالة الأمريكيّ إدموند روبرتس شهادته عندما زار عمان عام 1833م حيث يقول: كلّ الديانات في مناطق نفوذ السّلطان، يعامل أتباعها بتسامح شديد، وليس هـذا فحسب؛ بل تقدم لهم الحماية الكافية بأمر

(1) السّالميّ: عبد الله بن حميد؛ **تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان**، ط مكتبة نور الدّين السّالميّ، الحيل الجنوبيّة/ مسقط، ط 2000م، ج2، ص 10.

(2) **عمان في عيون الرحالة البريطانيين**، مصدر سابق، ص 217.

ملف قاض.indd 27 1/26/2019 9:24:08 AM

من السّلطان، ولا توجد أية عقبات تمنع النّصارى واليهود، أو غيرهم من ممارسة شعائرهم الدّينيّة، أو بناء معابدهم[1].

هذا التّسامح الدّاخليّ أسقط تسامحا في علاقته مع الخارج، خاصة في التّعامل السّياسيّ، فكانت العلاقة رائعة مع الدّولة البوذيّة في الصّين وشرق آسيا، ومع الهند وأديانها، ومع فارس ومذاهبها، متجسدا في احترام الآخر، ولو كانت الرّؤية الفقهيّة والسّياسيّة والدّينيّة مختلفة، ومثل هذا ما أمر به حبيب بن يوسف الفارسيّ ت 1276هـ مفتي الشّوافع في عمان حينها، أمر باحترام دولة العجم أيّ في جنوب إيران وباكستان ونحوها، وكان غالبهم على مذهب الأحناف، حيث يقول: سلطان بلدانكم سلطان العجم يصدق عليه اسم الإمام، فيجري فيه جميع ما قرروه من أحكام الإمام الأعظم في كتب الفقه، وإن كان فاسقا جاهلا مبتدعا فتنفذ جميع أحكامه الموافقة للحق[2].

كذلك كانت العلاقة العمانيّة مع حضارات أوربا كفرنسا وبريطانيا ومن ثمّ أمريكا كانت في قمّة التّسامح، وتبادل المنافع بينهم.

فالتّسامح في الجانب السّياسيّ، والتصاقه بالجانب الفقهيّ كان نتيجته أن أصبح سجية عند العمانيين، وطبيعة في نفوسهم، يتوارثه الأجيال جيلا بعد جيل، وأمّة بعد أمّة.

(1) **مقالة عمان من التّسامح إلى الانسجام**، مرجع سابق، http://www.drzak.net/index/?p=211. تاريخ الزيارة: الاثنين 17 أكتوبر 2016 م – 15 محرم 1438 هـ، الساعة الحادية عشر والنصف صباحا.

(2) **فتاوى العلامة حبيب بن يوسف الفارسي**، مصدر سابق، ج2، ص 456.

1/26/2019 9:24:08 AM 28 .indd.ملحق عاض!

المطلب الرّابع: التّسامح والحراك المعاصر في عمان

أولا: التّسامح في ظلّ الوضع الطّائفيّ في المنطقة

تمر المنطقة في المرحلة الحاليّة بحالة اضطراب في التّشكيلة الدّينيّة، نتيجة الفهم الخاطئ للدّين في الدّاخل، وظهور تراكمات التّأريخ والتّراث إلى السّطح، لأسباب عديدة، وعلى رأسها إعادة طباعة كتب التّراث ونشرها مع عدم وجود نقد لمادة التّراث بما يلائم وثقافة تعايش المجتمعات، كذلك انتشار الفضائيّات والمواقع الالكترونيّة ثمّ ظهور وسائل التّواصل الاجتماعيّ، مع استغلال الخارج لهذا الوضع، فظهر التّطرف بأشكاله المتعددة.

والفكر المتطرف المجتمعيّ والسّلوكيّ لا يقتصر عند جانب معين، فقد يتسع إلى قضايا كثيرة في الأسرة والمسجد والسّوق، وقضايا المرأة والأطفال وكبار السّن، والزّواج والمعاملات، واختلاف اللّون والمناصب بين النّاس، وغيرها[1]، ممّا سيهدد قضية التّسامح والتّعايش، ليحلّ محلّها الشّقاق والبغضاء كنتيجة من نتائج التّطرف.

وعليه ظاهرة التّطرف ترتبط دائما بالتّعصب الأعمى والانغلاق الفكريّ وعدم قبول الرّأي الآخر، الأمر الّذي يؤدي إلى سلسلة لا متناهيّة من العنف المضاد الّذي يؤدي إلى صراعات مدمرة داخل المجتمع، وأنّ الغلو في التّطرف يؤدي إلى عجز المجتمع في التّفكير عن حلول مبدعة لمشكلاته، وعن تطوير ذاته، ليصبح مجتمعا مضطربا وغير مستقل[2].

---

(1) للمزيد ينظر بحثنا: **فكرنا الإسلاميّ والقيم الإنسانيّة: النظّريّة والواقع**، المقدم لمؤتمر التّطرف الفكريّ ومدى تأثيره على المجتمع العربيّ بالجمعيّة العمانيّة للكتّاب والأدباء – مسقط، بتأريخ: 7 – 8 ديسمبر 2015، طبع ضمن كتاب التّطرف الفكريّ ومدى تأثيره على المجتمع العربيّ، إعداد وتحرير: خميس بن راشد العدويّ، طبعة الجمعية العمانيّة للكتّاب والأدباء ودار الغشام/ مسقط، الطبعة الأولى 2017م، من صفحة 10 وحتى 51.

(2) الخواجة: محمد ياسر، **التّطرف الدّينيّ ومظاهره الفكريّة والسّلوكيّة**، نشر مؤسسة مؤمنون

1/26/2019 9:24:09 AM

وعُمان بطبيعة الحال لا تعيش في المريخ، فهي تعيش في منطقة أصبحت اليوم ملتهبة سياسيّا وطائفيّا، بجانب سهولة التّأثير عن طريق الفضائيّات والشّبكة العالميّة ووسائل التّواصل الاجتماعيّ.

من هنا نحن بحاجة إلى استراتيجيّة واضحة لتمكين دائرة التّسامح والتّعايش في الدّاخل أولا، والحفاظ عليه عقليّا وتربويّا وتقنينا مجتمعيّا، وفي الوقت نفسه نكون من الأدوات المصدرة للتّسامح في الخارج وبين الأمم والمجتمعات.

إنّ الرّضا والرّسوخ للواقع دون أخذ الحذر والحيطة، ومعالجة الواقع من الدّاخل، ونشر ثقافة التّنوير وحريّة الإنسان وفق القانون المنظم والعادل، قد نتأثر يوما ما بالخطاب الملتهب في المنطقة، خاصة وأننا نعيش حالة تعدديّة، وهي تزيد يوما بعد يوم!

ثانيا: التّسامح في ظلّ القانون المدنيّ والدّولة المدنيّة العمانيّة

الدّولة المدنيّة في الجملة كناية عن التّطور البشريّ في سياسة الملك والقانون والحكم العام[1]، فهي عبارة عن اتّحاد أفراد يعيشون في مجتمع يخضع لنظام من القوانين، مع وجود قضاء يطبّق هذه القوانين بإرساء مبادئ العدل[2].

وعليه الدّولة المدنيّة تقوم على أربعة خصائص: خضوع الفرد لسلطة الدّولة والجماعة، والثّاني أنّها تتأسس على نظام مدنيّ من العلاقات الّتي تقوم

بلا حدود للدّراسات والأبحاث، المملكة المغربيّة، ص 1.

(1) الحكم البشريّ بطبيعته حكم متطور في قانونه ومعاملاته وطرق تفكيره، للمزيد عن التّطور السّياسيّ ينظر كتاب: **تطور الفكر السّياسيّ لجورج سباين** في خمسة أجزاء، ترجمة: حسن جلال العروسيّ، ط الهيئة المصريّة العامّة ط. 2010م.

(2) موقع: دولة مدنية. http://www.dawlamadaneya.com.

ملف عاض.indd 30 1/26/2019 9:24:09 AM

على السّلام والتّسامح وقبول الآخر والمساواة في الحقوق والواجبات، والثّقة في عمليات التّعاقد والتّبادل المختلفة، والثّالث أنّها تقوم على المواطنة العادلة لجميع الأفراد، والرّابع نظام الحكم فيها يقوم على الشّورى والدّيمقراطيّة[1].

فعمان بحكم السّلطان قابوس بداية من عام 1970م انتقلت من دولة مؤسسيّة ذات هياكل تقليديّة إلى دولة مدنيّة ذات مؤسسات وتنظيم قانوني معاصر، وهذه خطوة مهمّة للحفاظ على التّسامح والتّعايش في الدّاخل لتطور العقل البشريّ في نظام دولة المؤسسات والقانون.

لذا أصبحت ثقافة الدّولة المدنيّة بشقيها المؤسسيّ والقانونيّ ضرورة ملحة في مجتمعنا العمانيّ، وأنّ الصّيرورة المجتمعيّة في نظريّة الدّولة نظريّة متطورة وفق الزّمان والمكان، وأنّه لا تعارض بين الدّولة المدنيّة وبين الأديان ورسالات الأنبياء؛ لأنّ الله تعالى أعطى العقل البشريّ كامل الحرية في نظام الحكم وآلية الدّولة، وذلك خشية ظهور أصوات متطرفة تختزل الدّولة في نظام الماضي، وتكفّر الأنظمة الحديثة، نتيجة خطابات سطحيّة، ممّا يضر ورسالة التّسامح والتّعايش في المجتمع.

إنّ احترام القانون المدنيّ من جهة، والعدل في إنزاله من جهة أخرى، مع احترام حريات المعتقد والتّفكير والنّظر والإبداع، يعتبر صمام أمان لحفظ المجتمع وتجانسه وتسامحه لفترة زمنية طويلة.

ثالثا: الوضع المستقبليّ للتّسامح الفقهيّ في عمان

من خلال ما تقدّم، ومن خلال الاستقراء الفقهيّ والتّأريخيّ؛ نجد ارتباطا بين الفطرة العمانيّة والتّسامح بينهم أولا، وبينهم وبين غيرهم ثانيا، ولا يعني عدم وجود تصرفات سلبيّة في التّطبيق الزّمنيّ، أو عدم وجود

(1) المرجع نفسة. (بتصرف).

ملحق عاض.indd 31 1/26/2019 9:24:09 AM

نظرات سلبيّة في التّراث الفقهيّ، ولكنه لا يرقى أن يشكل منهجا بقدر ما يكون آراء جزئية لم يتقبلها المجتمع بفطرته التّعايشيّة والتّسامحيّة.

ولكن عندما نتحدث عن هذا ندرك أننا نتحدث عن فترة تأريخيّة عاشتها عمان تشمل التّناقضين كما أسلفنا في المطلب الأول، تناقض عزلة الجبال وتناقض انفتاح السّاحل، ممّا ولّد تمازجا في التّعدديّة المذهبيّة والفكريّة والدّينيّة تحت رؤية فقهيّة متسامحة، وسلطة سياسيّة أسقطت هذا التّسامح وحافظت عليه ردحا من الزّمن.

إلا أنّ الفترة الحاليّة في الحقيقة أصبحت أكثر انفتاحا وتعدديّة، والأصل في التّعدديّة طبيعة تكوينيّة في البشر، ممّا سيؤثر في طبيعة المجتمع العمانيّ وطبيعة تفكيره وعاداته وتقاليده.

ولكي لا ينحرف الخطاب المتسامح والمنفتح على الآخر، ليحلّ محلّه الخطاب الطّائفيّ والإقصائيّ؛ نحن بحاجة إلى رؤية واضحة للمستقبل، ينتج عنها استراتيجيّة مقننة، أكثر ممّا نحن بحاجة إلى مقالات وصفيّة، والتّغنيّ بما كنا عليه في الماضيّ.

وهذه الاستراتيجيّة تكون شاملة للخطاب الدّينيّ والإعلاميّ والسّياسيّ والتّربويّ، منطلقة من ورشات ومراكز أبحاث، ناقدة للذّات، واضعة الأمل والرّؤى للمستقبل، ذات انفتاح على الجميع وفق قانون منظم وعادل، ومؤسسات مدنيّة راقية وعادلة بين الجميع.

إنّ مدرسة التّسامح العمانيّة هي الآن بأيدينا، والحفاظ عليها أيضا بأيدينا نحن، لنحافظ عليها في الدّاخل قبل الخارج، ونقدمها للخارج كخطاب يعظّم ذات الإنسان، ويقدّم لهم رؤية تسامحيّة لها أبعادها الإنسانيّة على الأقل على المستوى العربيّ، ليعيش أكثر استقرارا وتسامحا.

ملف قاعض.indd 32 1/26/2019 9:24:09 AM

الخاتمة

من خلال البحث نصل إلى أنّ التّسامح طبيعة في الذّات العمانيّة، وتعمّقت أكثر لأسباب جغرافيّة جعلت المجتمع متمازجا ومتداخلا، كما أنّه بحكم البعد الجغرافيّ كان المجتمع العمانيّ بعيدا عن الصّراع الطّائفيّ في بعض مراكز دول الخلافة.

هذا التّعايش ظهر من خلال البعد الفقهيّ في كافة المدارس الإسلاميّة العمانيّة، وكان حالة طبيعيّة للكتابات العمانيّة اليوم في جملتها.

وساعد التّسامح الفقهيّ وجود سياسيات انفتحت على غيرها، وأعطتّ الحريّة الفكريّة والاعتقاديّة للجميع.

ثّم هذا التّسامح لم يكن محصورا بين أتباع المدارس الإسلاميّة؛ بل كان صفة طبيعيّة مع أتباع الدّيانات الأخرى، كانت إقامتهم دائمة كمواطنة واشتراك في الوطن، أم مؤقتة بسبب التّجارة أو السّياحة أو الكشوفات والرّحلات الجغرافيّة أم لأسباب أخرى.

وخلصنا أخيرا أنّه لابد من الحفاظ على هذه القيمة في المجتمع العماني وفق استراتيجيّات ذات رؤية واضحة خاصة وأصبح مجتمعنا العمانيّ مفتوحا إعلاميّا وتداخلا معرفيّا وسياحيّا على المجتمعات والأمم الأخرى، ومنها مجتمعات تشتعل بالصّراع الطّائفيّ.

ملحق عباض.indd 33 1/26/2019 9:24:09 AM

مصادر ومراجع بحث التّسامح[1]

1 . **مختصر كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيديّ**، للخطيب أبو عبد الله أحمد بن عبد الله الإسكافيّ، تحقيق هادي حسن حموديّ، ط وزارة التّراث القوميّ والثّقافة – سلطنة عمان، الطّبعة الأولى 1419هـ/ 1998م.

2 . **جمهرة اللّغة** لابن دريد أبي بكر محمد بن الحسن الأزديّ، ط مكتبة الثّقافة الدّينيّة – بورسعيد/ مصر، لا طبعة، لا تأريخ.

3 . **مختار الصّحاح**، لمحمد بن أبي بكر عبد القادر الرّازيّ، ط دار مكتبة الهلال، بيروت/ لبنان، الطّبعة الأولى 1983هـ.

4 . **مجمل اللّغة**، تحقيق زهير عبد المحسن سلطان، ابن زكريا أبو الحسين أحمد بن فارس، ط مؤسسة الرّسالة، الطّبعة الثّانيّة 1406هـ/ 1968م.

5 . **محيط المحيط**، المعلم بطرس البستانيّ، ط مكتبة لبنان، بيروت/ لبنان، ط 1983م.

6 . **مقالة عمان من التّسامح إلى الانسجام**، زكريا المحرميّ، مدونة زكريا المحرميّ، http://www.drzak.net/index/?p=211.

7 . **مقابلة مع الأستاذ هاديّ حموديّ**، عن طريق الفيس بوك، يوم الأحد، 2/ أكتوبر 2016م.

8 . **صحيح البخاريّ**، للإمام البخاريّ، نسخة الكترونيّة.

9 . **العقود الفضيّة في أصول الإباضيّة**، سالم بن حمد الحارثيّ، مطبعة إبراء – سلطنة عمان، الطّبعة الثّانيّة 2009م.

10 . **الفئة الذّكريّة وفتنتها في مكران**، لعبد الغفار محمد الضّامرائيّ، ط دار الفتح للطّباعة والنّشر والتّوزيع، الشّارقة– دولة الإمارات العربيّة المتحدة، الطّبعة الأولى 1415هـ/ 1994م.

11 . **الجامع لابن جعفر**، أبو جابر محمد بن جعفر الأزكويّ؛ ط وزارة التّراث القوميّ والثّقافة – سلطنة عمان، لا تأريخ.

12 . **البصيرة** لأبي محمد عثمان بن أبي عبد الله الأصمّ، ط وزارة التّراث القوميّ والثّقافة – سلطنة عمان، لا تاريخ.

(1) **ملحوظة**: ترتيب المصادر والمراجع حسب ما وردت في البحث لا على التّرتيب ألفبائيّ.

ملحق عاض.indd 34 1/26/2019 9:24:09 AM

13 . **الآثار العلميّة لسماحة الشّيخ العلاّمة إبراهيم بن سعيد العبريّ**، المجلد الثّاني، جمع علي بن هلال العبريّ وجمعة بن ناصر الصارميّ وآخرون، ط جامعة السّلطان قابوس، الطّبعة الأولى 1436هـ/ 2015م.

14 . **عمان في عيون الرّحالة البريطانيين قراءة جديدة للاستشراق**، لهلال الحجريّ، ترجمة خالد البلوشيّ، ط الانتشار العربيّ، بيروت لبنان، والنّادي الثّقافيّ مسقط، الطّبعة الأولى، 2013م.

15 . **فتاوى وأجوبة الشّيخ عامر بن خميس المالكيّ**، تحقيق بدر بن سالم بن حمدان العبريّ، طبع مطبعة النّهضة، مسقط/ عمان، الطّبعة الأولى 1436هـ/ 2015م.

16 . **ورقة منظومة القيم القرآنيّ وأثرها في المجال الكلاميّ والأخلاقيّ**، أحمد بن سعود السّيابيّ، مقدمة لندوة مؤتمر تطور العلوم الفقهيّة، وزارة الأوقاف والشّؤون الدّينيّة – سلطنة عمان، مؤتمر الفقه الإسلاميّ: المشترك الإنسانيّ والمصالح، مرقون.

17 . **فتاوى العلامة حبيب بن يوسف الفارسيّ**، طبعة مطبعة عمان ومكتبتها الحديثة، الطّبعة الأولى 1414هـ/ 1993م.

18 . صفحة الدّكتور عبد العزيز العوضيّ على الفيس بوك.

19 . **دراسات تداوليّة في أصول الفقه**، سعود بن عبد الله الزّجاليّ، ط دار الفارابيّ، بيروت – لبنان، الطّبعة الأولى 2016م.

20 . صفحة الدّكتور سعود الزّدجاليّ على الفيس بوك.

21 . **مقالة الشّيعة في عمان**، مركز الأبحاث العقائديّة، نقلا عن كتاب عمان اليوم، إصدار وزارة الإعلام العمانيّة، http://www.aqaed.com/shia/world/oman/.

22 . **المعالم الجديدة للأصول**، لمحمد باقر الصّدر؛ ط دار التّعارف للمطبوعات، بيروت – لبنان، الطّبعة الثّالثة 1401هـ/ 1981م.

23 . **مقالة ابن الجنيد الإسكافيّ**، موقع ويكبيديا، https://ar.wikipedia.org/wiki.

24 . **مقال برامج الفتنة وأولويات الأمّة**، مشتاق بن موسى اللّواتيّ، جريدة الرّؤية العمانيّة، الأحد، 09 يونيو/ حزيران 2013م.

25 . **مقال نحو مراجعة التّراث وتعميق ثقافة التّسامح**، مشتاق بن موسى اللّواتيّ، الحلقة الثّانيّة، جريدة عمان، أكتوبر 2012م.

إلحاق عاض.indd 35 1/26/2019 9:24:10 AM

26 . **طريقك المهني مدخلك لتطوير محفظة أعمالك**، عباس آل حميد، لا ناشر، الطّبعة الثّانيّة 2012م.

27 . **الاستراتيجيّة الإسلاميّة**، كيف تساهم في النّهوض بالأمّة الإسلاميّة، عباس آل حميد، لا ناشر، الطّبعة الأولى 2014م.

28 . **تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان**، عبد الله بن حميد السّالميّ، ط مكتبة نور الدّين السّالميّ، الحيل الجنوبيّة/ مسقط، ط 2000م.

29 . **فكرنا الإسلاميّ والقيم الإنسانيّة: النظّريّة والواقع**، بدر بن سالم بن حمدان العبريّ، مقدم لمؤتمر التّطرف الفكريّ ومدى تأثيره على المجتمع العربيّ بالجمعيّة العمانيّة للكتّاب والأدباء – مسقط، بتأريخ: 7 – 8 ديسمبر 2015م، طبع ضمن كتاب التّطرف الفكريّ ومدى تأثيره على المجتمع العربيّ، إعداد وتحرير: خميس بن راشد العدويّ، طبعة الجمعية العمانيّة للكتّاب والأدباء ودار الغشام/ مسقط، الطبعة الأولى 2017م.

30 . **التّطرف الدّينيّ ومظاهره الفكريّة والسّلوكيّة**، لمحمد ياسر الخواجة، نشر مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدّراسات والأبحاث، المملكة المغربيّة.

31 . **تطور الفكر السّياسيّ** لجورج سباين، ترجمة: حسن جلال العروسيّ، ط الهيئة المصريّة العامّة ط. 2010م.

32 . موقع: دولة مدنية. http://www.dawlamadaneya.com

إلحاق عباض.indd 36 1/26/2019 9:24:10 AM

الثّقافة العربيّة والحراك الاجتماعيّ[1]

مقدمة

في منتصف الخمسينات أخرج عالم الاجتماع البريطانيّ تشالرز دافي كتابه مشكلات الشّباب، مبينا أثر الإعلام على الحراك المجتمعيّ في المجتمع البريطانيّ[2].

فكان للإعلام أبحاثه في العالم العربيّ، وبعدها كان التّركيز على العولمة والغزو الثّقافيّ، وما حدث من دراسات نحو الاستشراق والتّغريب والتّجديد، ثمّ عملية النّقد والحداثة، وشيوع مصطلح الثّقافة والمثقف كمصطلح قيم عليا بين السّلطة السّياسيّة، والسّلطة الدّينيّة والاجتماعيّة.

وبما أنّ الجانبين العولميّ أو الكوكبيّ، وجانب الغزو الإعلاميّ الغربيّ والهيمنة الثّقافيّة أشبعت حديثا في مسألة الحراك المجتمعيّ من خلال الثّقافة، لذا رأيت أن أركز الحديث في هذا الجانب حول:

---

(1) كتب سنة 2016م، مقدّم للنّدوة المصاحبة للاتحّاد العام للكتّاب والأدباء العرب، بعنوان: **نحو استراتيجيّة ثقافيّة في الوطن العربيّ**، والّتي عقدت في فندق البستان روتانا بدبيّ، من 4 – 7 ديسمبر 2016م. ونشر في أشرعة بجريدة الوطن العمانيّة، وموقع مجلّة دار الفكر/ دمشق.

(2) ينظر : دافي: تشالرز، **مشاكل الشّباب**، ترجمة ليلى الحافي، طبعة مكتبة المعارف، بيروت / لبنان، الطّبعة الأولى، 1960م.

ملف عاض.indd 37 1/26/2019 9:24:10 AM

- **الثّقافة والمشهد السّياسيّ والتّفرق القوميّ في العالم العربيّ.**
- **الثّقافة والتّطرف الدّينيّ والحروب الطّائفيّة.**
- **الثّقافة والجانب الفنيّ والجماليّ.**
- **الثّقافة والوضع الاقتصاديّ والواقع الاجتماعيّ المتردّي.**

لما لهذه الجوانب الأربعة من دور في التّأثير على الجانب المجتمعيّ وحراكه سلبا أم إيجابا، فكان لابدّ للثّقافة من حضور لتقويم الوضع، والرّقي بالإنسان العربيّ وحريته وحقوقه الإنسانيّة وتقدّمه، راجيا أن أكون وفقت في ذلك، معتمدا على المصادر العربيّة لعلاقتها بالموضوع، ولتكون القراءة عربيّة بحتة في الجملة.

المبحث الأول: تحديد المفاهيم

تعتبر الثّقافة خيطا مشتركا بين المجتمع الإنسانيّ، فهي الخيط المرتبط بذات الإنسان كعقل مفكر، وجسد متأثر بما حوله في الطّبيعة والكون وأخيه الإنسان، وبما ورثه من حضارة وفكر وتراث، وبما وصل إليه من معرفة واختراع وإنتاج. هذا الخيط الإنسانيّ تتشكل به الحضارة الإنسانيّة المتعددة في طقوسها ومعارفها، والمتنوعة في نتاجها وآثارها، وعليه تتشكل ثقافات تحت الثّقافة الأم للإنسان، وحضارات تندرج تحت حضارة الإنسان، والّذي يهمنا هنا هو مبحث الثّقافة العربيّة الّتي هي جزء من الثّقافة الإنسانيّة.

وبحثنا هذا يرتبط بجزأين من حيث ماهيته وحدّه: الأول ماهية الثّقافة، والثّاني ماهية الحراك الاجتماعيّ.

أولا: ماهية الثّقافة

الثّقافة من ثقَّف التِّلميذَ: أدَّبه وربّاه، وعلّمه ودرَّبه وهذَّبه[1]، والثّقافة

(1) عمر: أحمد مختار، **معجم اللغة العربية المعاصر**، ط عالم الكتب/ القاهرة، 1429هـ/ 2008م، نسخة الكترونية، مادة ثقف.

ملف عاض.indd 38 1/26/2019 9:24:10 AM

هي الحذق والفطنة والخفة[1]، وهي أيضا التّسوية والتّهذيب والتّأديب[2]، ففي مختار الصحاح: ثَقُفَ الرّجل من باب ظرف صار حاذقا خفيفا، فهو ثَقْفٌ مثل ضَخُم فهو ضَخْم، ومنه المُثَاقَفَةُ، وثَقِفَ كعضد والثِّقَافُ ما تسوى به الرّماح، وتثقيفُها تسويتها، وثَقِفَهُ من باب فهم صادفه[3].

وجاء مشتق ثقف في القرآن الكريم في خمسة مواضع[4] بمعنى الظّفر، ومنه قوله تعالى: ﴿فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾[5] أي تظفر بهم[6].

ويعرّف ندين لإدوارد تايلور ت1917م الثّقافة بأنّها: الكلّ المركب الّذي يشمل المعرفة والمعتقدات والفنّ والأخلاق والقانون والأعراف والقدرات والعادات الأخرى الّتي يكتسبها الإنسان باعتباره عضواً في المجتمع[7].

ويعتبر تايلور أول من وضع مصطلحا وصفيا للثّقافة، ونلحظ من هذا التّعريف شموليته، وارتباط الإنسان بالمجتمع أو البيئة الّتي ولد فيها.

---

(1) الأهدل: علي محمد مقبول، **أضواء على الثقافة الإسلامية**، شبة الألوكة الالكترونية، ص 6.

(2) المصدر نفسه، ص 6.

(3) الرازي: محمد بن أبي بكر بن عبد القادر، **مختار الصحاح**، تحقيق: وسف الشيخ محمد، ط: المكتبة العصرية – الدار النموذجية، بيروت– صيدا/ لبنان، الطبعة: الخامسة، 1420هـ/ 1999م، نسخة الكترونية، مادة ثقف.

(4) في: البقرة/ 191؛ آل عمران/ 112؛ النساء/ 91؛ الأنفال/ 57؛ الأحزاب/ 61؛ الممتحنة/ 2.

(5) الأنفال/ 57.

(6) ينظر: الهواري: هود بن محكم، **تفسير كتاب الله العزيز**، تحقيق: الحاج بن سعيد شريفي، ط دار الغرب الإسلامي، بيروت/ لبنان، الطبعة الأولى 1990م، 2/ 100.

(7) الحمد: تركي، **الثقافة العربية في عصر العولمة**، ط دار الساقي، بيروت/ لبنان، الطبعة الأولى 1999م، ص 17.
ينظر أيضا: موقع أرنتروبوس: الموقع العربي الأول في الأنثروبولوجيا والسوسيو– أنثروبولوجيا، تاريخ الزيارة: 24/ 6/ 2016م، الساعة الثالثة والنصف ظهرا، الرابط:
http://www.aranthropos.com

ملف قاعض.indd 39 1/26/2019 9:24:11 AM

ويعرّف تركي الحمد الثّقافة بمعايير العقل والسّلوك، والّتي تحدد معنى الحياة، حيث لا معنى لها بدون هذه المعايير، ورموز تحدد غايات الحياة، الّتي لا غاية لها بدون تلك الرّموز، بمعنى أنّ الثّقافة هي إجابة لسؤال الفرد والجماعة عن كيف ولماذا وإلى أين، أي الغاية من الوجود[1].

ونجد تعريف تركي الحمد أقرب إلى الجانب الفلسفيّ الّذي يسقط الدّهشة على الإنسان، فيسقط العديد من التّساؤلات ليبحث عنها، ويحاول إيجاد أجوبة عليها.

ويعرّفها محمد فيضي بمجموع العقائد والقيم والقواعد الّتي يقبلها ويمتثل لها أفراد المجتمع، ذلك لأنّ الثّقافة هي قوة وسلطة موجهة لسلوك المجتمع، تحدد لأفراده تصوراتهم عن أنفسهم والعالم من حولهم، وتحدد لهم ما يحبون ويكرهون ويرغبون فيه، ويرغبون عنه، كنوع الطعّام الّذي يأكلون، ونوع الملابس الّتي يرتدون، والطّريقة الّتي يتكلمون بها، والألعاب الرّياضيّة الّتي يمارسونها، والأبطال التّاريخيين الّذين خلّدوا في ضمائرهم، والرموز الّتي يتخذونها للإفصاح عن مكنونات أنفسهم ونحو ذلك[2].

نخلص من هذا أنّ الثقافة لها بعدان، بعد ذاتي مرتبط بذات الإنسان، كمشتركات يشترك عليها الجنس البشريّ، وبعد قومي أو حضاري مرتبط بقوميّة وحضارة الإنسان على مر التّأريخ، وباختلاف المناطق الجغرافيّة وتعددها.

ثانيا: ماهية الحراك الاجتماعيّ

يعرّف الحراك الاجتماعيّ بالوضع الّذي يشير إلى إمكانية تحرك الأفراد أو الجماعات إلى أسفل أو إلى أعلى الطّبقة أو المكانة الاجتماعيّة في هرم التّدرج

(1) الحمد: تركي، الثقافة العربية في عصر العولمة، ص 18.

(2) فيضي: محمد، **مقالة حول تعريف الثّقافة**، موقع موضوع، تاريخ الزيارة: 24/ 6/ 2016م، السّاعة الرابعة عصرا، الرابط: http://mawdoo3.com/.

ملف عارضة.indd 40 1/26/2019 9:24:11 AM

الاجتماعيّ أو في إطار النّسق الاجتماعيّ[1]. وكثيرا ما يستخدم الحراك الاجتماعيّ في الجانب الاقتصاديّ، إلا أنّ الثّقافة أصبحت محور عملية التّنمية الاجتماعيّة الشّاملة، في حين أصبحت تكنلوجيا المعلومات هي محور التّنمية العلميّة التّكنلوجيّة[2].

وعليه الثّقافة سيكون لها تأثيرها اليوم في الحراك الاجتماعيّ، لأسباب عديدة منها العولمة والإعلام والتّطور التّكنلوجيّ، وتقارب الشّعوب وأفكارهم كما سنلحظه في المبحث الثّاني.

وللمثقف دوره في الحراك الاجتماعيّ، وهذا دوره كبير في التّأريخ، وإن تأخر المصطلح، فبعضهم يرجعه إلى أوربا في عهد النّهضة، وآخرون يرجعون المصطلح إلى روسيا حيث أطلق على الصّفوة المتعلمة الّتي تلقت تعليمها في الجامعات الأوربيّة والغربيّة عموما أو في الجامعات الرّوسيّة الحديثة، ثمّ انتشر المصطلح من روسيا إلى أوربا الغربيّة فالمشرق العربيّ[3].

المبحث الثّاني: الثّقافة العربيّة والحراك الاجتماعيّ

يمر العالم العربيّ اليوم بمرحلة مهمة يجعل للثّقافة أهميتها في البروز على المستوى السّياسيّ والاقتصاد التّنمويّ والفكريّ والدّينيّ والاجتماعيّ.

فإذا كان في التّسعينات كثر التركيز على العولمة أو الكوكبة من خلال العلاقة بين الثّقافة والحراك الاجتماعيّ، والّتي أوجدت غزوا ثقافيّا المنتصر فيه الأقوى سياسيّا واقتصاديّا.

---

(1) الصغير: كاوجة محمد الصغير، وابتسام: كوشي، **الحراك الاجتماعيّ وعلاقته بالمتغيرات المجتمعيّة للمجالات الاجتماعيّة في المدينة الجزائريّة**، دراسة ميدانية لترامواي ورقلة – الجزائر، مجلة العلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة، ص 338.

(2) علي: نبيل، **الثّقافة العربيّة وعصر المعلومات**، سلسلة عالم المعرفة، سلسلة رقم: 265، ص 6.

(3) ينظر مثلا: حنا: عبدالله، **المثقفون في السّياسة والمجتمع (أطباء)**، ط الأهالي للنّشر والتّوزيع، دمشق/ سوريّة، الطّبعة الأولى 1996م، ص 5.

1/26/2019 9:24:11 AM 41 .indd ملحق عاض

وقد يصف البعض هذه الثّقافة العالميّة الجديدة الآخذة بالتّشكل بأنّها ثقافة سطحيّة أو استهلاكيّة، أو غزو ثقافيّ أو ماديّ، أو غير ذلك، ولكن مهما كان الوصف المعطي فإنّه لا ينفي الحقيقة القائمة، ألا وهي إنّما مثل هذه الثّقافة تنتشر وتسود على حساب ثقافات محليّة وقوميّة عديدة[1].

والحديث عن هذا الجانب في الحقيقة أشبع بحثا وكلاما، وكذلك فيما يتعلق بعامل التّنمية وأثر الثّقافة فيه، وفيما يتعلق كذلك بالتّنمية المستدامة.

وعليه لكي لا يكون كلامنا مكررا، وبعيدا عن الواقع، نطرح هذه الأسئلة الثّلاثة:

- ما موقع الثّقافة من المشهد السّياسيّ والتّفرق القوميّ في العالم العربيّ؟

- ما دور الثّقافة كبديل عن التّطرف الدّينيّ والحروب الطّائفيّة؟

- ما دور الثّقافة في توجيه الجانب الفنيّ والجماليّ؟

- ما العلاج الّذي ستقدمه الثّقافة في ظلّ الوضع الاقتصاديّ والواقع الاجتماعيّ المتردّيّ؟

سنركز على هذه الجوانب الثّلاثة لعلاقتها بالواقع الحاليّ في المجتمعات العربيّة.

أولا: الثّقافة والمشهد السّياسيّ والتّفرق القوميّ

توجد جدليّة كبيرة في العلاقة بين المثقف والسّلطة، فهناك من يرى ضرورة بعد المثقف عن السّلطة، فبعد 2011م أصبحت السّياسية طاغية على كلّ شيء، وأدّت هذه الوضعيّة إلى انغماس النّخب في وحل السّياسة[2]،

(1) الثّقافة العربيّة في عصر العولمة، مصدر سابق، ص 13.

(2) ولد الشيخ: الشيخ عبدي، **مقالة المشهد الثّقافيّ العربيّ: الواقع والمأمول**، صحيفة أقلام الالكترونيّة، تاريخ الزّيارة: 25/ 6/ 2016م، السّاعة العاشرة صباحا، الرّابط:
http://www.aqlame.com/article22339.html.

1/26/2019 9:24:11 AM 42 .indd إلى قاض

بل كشفت بعد المثقف العربيّ عن المبدأ العام وانحيازه إلى السّلطة أو المصالح الشّخصيّة.

لذا يرى هذا الفريق وهو الأكثر أنّ الخطر يكمن في خلط العامل الثّقافيّ بالسّياسيّ، لا لأنّ العامل ين هذين يشتغلان بآليتين مختلفتين وحسب، ولا لأنّهما يتحركان في مستويات قد تتداخل أحياناً ...؛ بل لأنّ استراتيجيات الثّقافة شيء، ومناورات السّياسة شيء آخر[1].

فالمثقف الّذي يدخل منطقة السّياسيّ عليه ألاّ ينس كونه حامل هم ومشروع ثقافيين، وليس طالب مصلحة وسلطة، والسّياسيّ يعمل وينتج خطابه من دون اعتبار كبير للأخلاق، بينما المثقف يضع الأخلاق في صلب خطابه، أو هكذا يفترض به[2].

وعلى المثقف أن يبدي رأيه من غير موارية للسّلطات القائمة السّياسيّة والاجتماعيّة والأخلاقيّة، ويجعل في النّهاية من المعرفة سلطة، ومن الحوار آلية عمل فعالة، ومن الحريّة وسيلة وغاية[3].

ويرى المفكر علي حرب [معاصر] أنّ علاقة المثقف بالسّلطة السّياسيّة هي علاقة مركبة ومزدوجة، بقدر ما هي ملتبسة وإشكاليّة من حيث وجوهها المختلفة ومستوياتها المتعددة[4].

---

(1) رحيم: سعد محمد، **أنطقة المحرم وشبكة علاقة المثقف بالسّلطة**، دار ميزوبوتاميا، بغداد/ العراق، الطّبعة الأولى/ 2013م، ص 20.

(2) المصدر نفسه: ص 20.

(3) المصدر نفسه: ص 21.

(4) الشّيديّ: عصام، **تقرير حول ندوة العلاقة بين المثقف والسّلطة تأثيرا وتأثرا تثير جدل الأسئلة**، جمعية الكتاب العمانيّة – مسقط، جريدة عُمان، الزّيارة الالكترونيّة، 25/ 6/ 2016م، السّاعة العاشرة والنّصف صباحا، الرابط:
http://omandaily.om/?p=313605.

ملف قاعض.indd 43 1/26/2019 9:24:11 AM

وبين علي حرب أنّ من أنواع المثقفين المثقف الموالي، الّذي يُسوِّغ للحاكم مشروعيته، ويدافع عن سياساته، وما أكثر المثقفين في العالم العربيّ الّذين يلتحقون بالحكام، ومن بينهم طغاة، لكي يمشوا في ركابهم ويبرّروا لهم أخطاءهم ومساوئهم، وهناك المثقف المنشقّ، ومثاله عالم اللّغة، المفكر والمناضل الامريكيّ نعوم تشومسكيّ الخارج على بلده، النّاقد لنظامه ومشاريعه وسياساته، ثمّ أشار أنّه بين هذين الطّرفين تتراوح النّماذج، بين محايد ومستقل، أو مستشار ومتعاون، أو ناقد ومعارض، أو مُنظِّر ومنخرط[1].

على أنّه يرى في الجملة أنّ المثقف والسّياسيّ كلاهما يصنع الآخر، وبالإجمال كلّ منهم يقيم علاقة مع سواه، أكانت علاقة عداء أم حب أم شراكة[2].

خلاصة ما تقدّم ولكي يكون كلامنا منطقيّا، ونحن نرى الجانب السّياسيّ وأثره في الحراك المجتمعيّ، نرى من المثقفين من انخرط للأسف في العمق السّياسيّ لأهداف مصلحيّة، أو منصبيّة، فيبرر فعل السّلطة ولو كانت على خطأ، ويحسّن صورة الخطأ في الخطاب.

والأصل في المثقف أنّ بعده تنويريّ، والتّنوير قائم على تفعيل الوعي العام من خلال شرائح المجتمع، والّذي فيه تتشكل السّلطة ومؤسسات العمل المدنيّ، لذلك هو ينطلق من القيم والأخلاق المنبثقة منها، وليس ينطلق من الذّات والمصالح القاصرة الدّنيويّة. وكما أسلفنا أنّ أحداث 2011م كشفت النّقاب عن العديد من الّذين ينادون بقيم الثّقافة في العالم العربيّ، أصبحوا متورطين في قضايا شخصيّة، ومنحازين للسّلطة الأقوى بعيدا عن قيم الثّقافة وأخلاقياتها، وهذا بدوره يؤثر سلبا على هذه القيمة، فتسقط قيمتها من نفوس النّاس، ولعل هذا ما يراد لها من قبل السّلطات السّياسيّة.

---

(1) المصدر نفسه.

(2) المصدر نفسه.

ملف قاض.indd 44 1/26/2019 9:24:12 AM

وعليه سيصبح المثقف في خانة غيره من المصالحيين، فقط ستختلف المسميات، فهذا باسم الوطن والسّياسة، وذاك باسم الدّين والغيب، والآخر باسم الثّقافة والوعي المجتمعيّ.

والأصل في المثقف أنّه يكون في قافلة المبادئ والقيم الكبرى، مضحيا لأجلّها بالمال والنفس، متحمّلا الإيذاء النّفسي والكلاميّ!!

وهذا لا يعني أنّه يكون ثائرا ضدّ المجتمع أو السّلطة، وإنّما يثور ضدّ التّخلف في المجتمع، وضدّ الجهل والفقر والاستعباد والقمع، فهو لا ينظر إلى السّلطة والمجتمع نظرة شيطانيّة، وفي الوقت نفسه لا ينظر إليهم نظرة ملائكيّة لا تخطئ، فهو مع المبدأ والقيم والكبرى، من أخذ بها كان داعما له وناصرا، ومن كان دون ذلك فلا ينزل معهم لمصالح ذاتيّة أو آنيّة!!!

ولا شك أنّ للسّلطة دورا كبيرا في التّأثير على الحراك المجتمعيّ، بما تملكه من قدرة إعلاميّة وماليّة وسياسيّة، ممّا يجعل دور المثقف صعبا، فيسعى إلى التّعاون مع السّلطة في تحقيق الوعيّ المجتمعيّ ما استطاع وفق عمل مؤسسيّ مقنن، وفي الوقت نفسه الوقوف مع المبادئ، وأن يكون الوعي في تحقيقها هو الأساس، ليساهم في توجيه الحراك المجتمعيّ بما يخدم المجتمعات وفق عمل مؤسسي مقنن وواضح.

فنحن بحاجة ماسّة إلى تأسيس نظام ثقافيّ عربيّ، يعتمد على التّحرر من العادات والتّقاليد والرّجعيّة الّتي تؤشر على التّخلف، والنّظام الثّقافيّ العربيّ هذا لابدّ وأن يعتمد التّنوير الثّقافيّ الهادف إلى إحداث انقلاب في نمط التّفكير العربيّ السّائد، والعمل على تغيير المجتمع على أسس عقلانيّة تحدث تغييراً في سلوك الإنسان من خلال نشر العلم والمعرفة والتّأمل العقليّ[1]، وهذا يحدث إذا استقل المثقف بذاته بعيدا عن إغراءات السّلطة وضغوط المجتمع.

(1) الفريحات: غالب، **مقالة حاجتنا إلى ثقافة التّنوير**، نشر: شبكة البصرة، الثّلاثاء 13 رمضان

1/26/2019 9:24:12 AM 45 .indd ةءاضبإ

ولكي ننزل قليلا إلى الواقع، إنّ الحراك الثّقافيّ التّنويريّ للمجتمع يكمن في التّالي:

أولا: التّنوير من الدّاخل وفق عمل مؤسسيّ، يشمل كافة الوسائل البصريّة والسّمعيّة والقرائيّة، ويندرج من الأطفال وحتى الكبار، والنّساء والرّجال، فلا يقتصر التّنوير على الكتابات واللّقاءات المؤتمريّة، بقدر ما يكون مستخدما جميع الوسائل، وخاصة اليوم وسائل التّواصل الاجتماعيّ، حيث خيم على العقل العربيّ ظلاميّة أعاقت تفكيره ردحا من الزّمن، وجعلته ليس يعيش في الماضي فحسب؛ بل يتصارع للماضي، ويتعصب لهم، مقابل حاضره ومستقبله!!!

ثانيا: تعميق الثّقافة الحقوقيّة المرتبطة بذات الإنسان، فلكلّ إنسان حقه في سبل العيش الكريم، وهذا مرتبط بالذّات الإنسانيّة، بغض النّظر عن فكره وتوجهه، فالنّاس وفق قيمة كرامة الإنسان سواسيّة، وهم أمام القانون سواء، لا يفرقهم لون ولا جنس، ولا قبيلة ولا عشيرة، والقانون ينطبق عليهم جميعا[1].

فالمثقف يقف مع الجانب الحقوقيّ للإنسان؛ لأنّه الأصل الّذي تدور حوله السّلطة والتّعامل المجتمعيّ، وأن يحرر هذا الإنسان من أي قيود دينيّة أو فكريّة أو مجتمعيّة مقابل ذاته البشريّة.

ثالثا: الوقوف بقوة مع حرية الإنسان في التّفكير والاعتقاد والنّظر؛ لأنّ الحريّة جزء من التّكوين البشريّ، فللإنسان حرية النّقد وفق القانون، ولا يجوز قمعه أو إقصائه، كان النّقد للسّلطة أم للفكر الدّينيّ، أم كان للفكر المجتمعيّ،

1436/ 30 حزيران 2015، تاريخ الزيارة: 26/ 6/ 2106م، السّاعة الخامسة مساء، الرّابط:

http://www.albasrah.net/ar_articles_20150715//qaleb_300615.htm.

(1) للمزيد ينظر: العبري: بدر، **القيم الخلقية والإنسان**، ط دار سؤال، بيروت/ لبنان، الطبعة الأولى 2016م، ص 109 فما فوق.

ملف قاعض.indd 46 1/26/2019 9:24:12 AM

وعندما نقول يتحرر المجتمع من السّلطة، فلا نقصد به فحسب السّلطة السّياسيّة، بل يدخل في ذلك السّلطة الدّينيّة والسّلطة المجتمعيّة، فلابدّ أن يتحرر منهما أيضا ليبقى مع أصل الكلمة والمبدأ بعيدا عن أي مؤثرات يمينيّة أو يساريّة.

رابعا: الوقوف مع السّلطة السّياسيّة وقوف نقد وتوجيه، بما يحقق العدل والمساواة والحريّة في المجتمع، والرّفع بالمستوى الإنسانيّ بتحقيق كرامة الإنسان وحقه في الحياة والعيش الكريم، وأن يحقق للمجموع الأمن القانونيّ والغذائيّ والصّحيّ والتّعليميّ وأمن الحريات.

خامسا: النّظر إلى القطر العربيّ ككقطر واحد، وبيئة واحدة، لما فيه من مشتركات لغويّة وثقافيّة وجغرافيّة واحدة، نحن في أمس الحاجة إلى وعي ثقافيّ، وتنوير ثقافيّ يعيد للإنسان اعتماده على استخدام عقله أمام حالة الكسل الّتي يعاني منها الإنسان العربيّ من جهة، وعدم المبالاة فيمن يفكر بديلاً عنه من جهة أخرى، بسبب حالة الإحباط التي وضعته فيها البيئة السّياسيّة القطريّة، والّتي هي مسؤولة عن خلق الثّقافات الفرعيّة المدمرة لوحدة الأمّة الثّقافيّة[1]، فالّذي أضّر الوعي التّنويريّ العربّي حالة الانقسام الّتي أثرت على رؤاه، وجعلت الجهود الثّقافيّة متبعثرة هنا وهناك!!!

ثانيا: الثّقافة والتّطرف الدّينيّ والحروب الطّائفيّة

يعرّف بعضهم التّطرف بالمغالاة السّياسيّة أو الدّينيّة أو المذهبيّة أو الفكريّة، ويعتبرونه أسلوباً خطِراً مدمِّراً للفرد أو الجماعة[2]، وفي اللغة: المُبَالَغَةُ وَالإِفْرَاطُ، وَتَجَاوُزُ حَدِّ الاعْتِدَالِ[3].

(1) الفريحات: غالب، **مقالة حاجتنا إلى ثقافة التّنوير**، مصدر سابق.

(2) عمر: أحمد مختار، **معجم اللّغة العربيّة المعاصر**، مرجع سابق، نسخة الكترونيّة، مادّة تطرف.

(3) الأحمد: أحمد عيسى، **المغني في اللّغة العربيّة**، نسخة الكترونيّة، مادّة تطرف.

ةءاضبلا_قلق.indd 47 1/26/2019 9:24:12 AM

والقرآن الكريم لم يستخدم مصطلح التّطرف، ولكنه استخدم مصطلح الغلو في الدّين، وحذّر منه، من ذلك قوله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾[1]، والغلو مجاوزة الحدّ، وهو مظهر من مظاهر التّطرف الدّينيّ.

والتّطرف له مظاهره، منه التّطرف الفكريّ والدّينيّ والسّياسيّ والاجتماعيّ والخلقيّ، ويأتي على نمطيات مختلفة منها القوليّ ومنها الفعليّ السّلوكيّ.

واليوم تعاني المجتمعات الشّرقيّة وخاصّة العربيّة من تطرف ديني ناتج من موروث سابق أدخل إلى الفكر كدين.

وتعود أهم مشاكله إلى غياب القيم القارئة لهذه الموروث والنّاقدة له، وفي الوقت نفسه يعود إلى قراءة القيم ذاتها قراءة استعلائيّة فرديّة أو مذهبيّة، مع أنّ الله تعالى نهى عن تزكية الذّات واستعلائها: ﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾[2].

لذا من أهم مظاهره التّعصب للذّات، وعدم الاعتراف بالآخر، أو إلغاء الآخر وتصفيته فكريّا، وقد يستغل الجانب الشّعبيّ والمجتمعيّ كقاعدة في إلغاء الآخر، وقد يتعرض للتّصفيّة الجسديّة.

فيتصور أنّه بهذا التّطرف يرضي الله تعالى، ويدخله رضوانه، وأنّه بهذا ينطلق باسم الغيب وباسم الله وأنبيائه وقديسيه، فيضيع الوقت والمعرفة في جدل كلاميّ وفي قضايا غيبيّة، وإشغال الأجيال بها، مقابل العلم والمعرفة التّجريبيّة والمستقبليّة.

---

(1) المائدة:171.

(2) النّجم/ 32.

جلق ةءاضإ.indd 48 1/26/2019 9:24:12 AM

أمّا التطرف الفكريّ فيعتبر أوسع أنواع التّطرف؛ لأنه لا يكون مقتصراً على الدّين، فقد يكون باسم المعرفة أو العادات أو الحرية أو السّلطة أو المال.

ومن أهم مظاهره إقصاء الآخر لأي خلاف فكريّ أو سياسيّ أو مجتمعيّ، واستغلال النّفوذ الماليّ والسّياسيّ لتحقيق ذلك، فيخلق حالة إقصاء يتولد عنها جماعات متطرفة، ممّا يغيب الحوار مع الآخر.

وأمّا التّطرف المجتمعيّ فيرى علماء التّربية أنّ السّلوك ناتج من نواتج الفكر، وعليه تكون العلاقة بينهما طرديّة، والسّلوك كان فرديّا أو مجتمعيّا يعود في حقيقته إلى الفكر ذاته، والمجتمعات إذا كانت تعيش في خواء فكريّ تكون أكثر عرضة لأي فكر دخيل، ولكونها لا تملك الأداة لنقد هذا الفكر، أو تقنين التّعامل معه، فقد يكون الفكر متطرفا ممّا ينتج بيئات خصبة لنمو جماعات متطرفة جدا، وهذا ما يظهر في بعض البلدان والمناطق من العالم.

كما أنّ الفقر وعدم العدل الاقتصاديّ والماليّ، وانتشار الأميّة يشكل بيئات خصبة لغزو الفكر المتطرف.

والفكر المتطرف المجتمعيّ والسّلوكيّ لا يقتصر عند جانب معين، فقد يتسع إلى قضايا كثيرة في الأسرة والمسجد والسّوق، وقضايا المرأة والأطفال وكبار السّن، والزّواج والميراث، واختلاف اللّون والمناصب بين النّاس، وغيرها[1].

والمجتمعات العربيّة أصبحت خصبة اليوم للتّطرف بسبب الاستبداد السّياسيّ، وقمع الحريات، وانتشار الفقر، وكثر المعاهد والكليات الدّينيّة

(1) للمزيد ينظر بحثنا: **فكرنا الإسلاميّ والقيم الإنسانيّة: النظّريّة والواقع**، المقدم لمؤتمر التطرف الفكري ومدى تأثيره على المجتمع العربي بجمعية العمانية للكتاب والأدباء – مسقط، بتأريخ: 7 – 8 ديسمبر 2015، مطبوع ضمن كتاب التّطرف الفكريّ ومدى تأثيره على المجتمع العربيّ، إعداد وتحرير: خميس بن راشد العدويّ، طبعة الجمعية العمانيّة للكتّاب والأدباء ودار الغشام/ مسقط، الطبعة الأولى 2017م، من صفحة 10 وحتى 51.

ةءاضبإ_ملق.indd 49 1/26/2019 9:24:13 AM

المفرزة للتّراث بغير نقد، مع تهميش العقل، واستغلال الفضائيات ووسائل التّواصل الاجتماعيّ.

وعليه ظاهرة التّطرف ترتبط دائما بالتّعصب الأعمى والانغلاق الفكريّ وعدم قبول الرّأي الآخر، الأمر الّذي يؤدي إلى سلسلة لا متناهية من العنف المضاد الّذي يؤدي إلى صراعات مدمرة داخل المجتمع، وأنّ الغلو في التّطرف يؤدي إلى عجز المجتمع في التّفكير عن حلول مبدعة لمشكلاته، وعن تطوير ذاته، ليصبح مجتمعا مضطربا وغير مستقل[1].

لهذا يمر الحراك المجتمعيّ اليوم بمرحلة حرجة حيث يتجه نحو التّطرف بأشكاله، والّذي يأكل الأخضر واليابس، ممّا يجعل من الدّور الثّقافيّ أن يتحرك ضرورة إلى حدّ الوجوب القطعيّ، لإيجاد جو بديل يخرج المجتمع من التّطرف إلى الاعتدال، ومن إلغاء الآخر إلى الاعتراف به.

وعلى هذا فإن مواجهة التّطرف يتطلب وضع استراتيجيّة طويلة المدى، ترتكز على نشر الثّقافة الوسطيّة، والتّطوير الحقيقيّ للتّعليم، وتشجيع النّقاش والحوار والبعد عن الغلو في فهم النّصوص الدّينيّة، وإعلاء قيمة الانتماء للوطن، والرّبط بين العطاء للمجتمع، والعطاء للفرد[2].

والثّقافة التّنويريّة تعمل على غسل العقل العربيّ من الخزعبلات الّتي سادت ثقافتنا ونمط تفكيرنا، وتعيد للعقل ريادته في الرّقي بالإنسان والمجتمع، فأفضل ما يملك الإنسان هو العقل الّذي ميّزه عن بقية مخلوقات الله، فكرّم بني آدم بالعقل، وجعل له المكانة العليا على باقي المخلوقات،

(1) الخواجة: محمد ياسر، **التّطرف الدّينيّ ومظاهره الفكريّة والسّلوكيّة**، نشر مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدّراسات والأبحاث، المملكة المغربيّة، ص 1.

(2) الخواجة: محمد ياسر، **التّطرف الدّينيّ ومظاهره الفكريّة والسّلوكيّة**، مصدر سابق، ص 1 (بتصرف).

ملف قاصر.indd 50 1/26/2019 9:24:13 AM

والثّقافة التّنويريّة هي ثقافة عقلانيّة نحن في أمس الحاجة إليها أمام حالة التّخلف وإشاعة التّفكير الظّلاميّ الّذي بات يدمر الأمّة[1].

ومن خلال ما تقدّم في نظري أنّ الخطاب الثّقافيّ المعتدل لابدّ أن يكون له دوره في تغيير الحراك الاجتماعي ليتجه نحو الاعتدال وخدمة ذات الإنسان من خلال التّالي:

أولا: توفير الخطاب الثّقافيّ البديل عن الخطاب الدّينيّ والفكريّ المتطرف؛ لأنّ الإنسان لا يستجيب لكتب التّطرف إلا إذا كان لذلك مهيئا نفسيّا واجتماعيّا، والحائز للصّحة النّفسيّة والاجتماعيّة لا يميل إلى الآراء المتطرفة، وإذا اعتنقها كأفكار في أحوال نادرة فإنّه لا يميل بها إلى العنف والإرهاب[2]، وهذا من خلال توفير البيئة المناسبة الّتي تملأ بالخطاب الثّقافيّ المتجه إلى بناء الإنسان وتنويره، وكلّما ابتعدت النّخب المثقفة عن المجتمع؛ كلّما كان العقل المجتمعي فارغا، ليحلّ بدله أيّ خطاب آخر، وقد يكون متطرفا!!

ثانيا: وجود مراكز بحثيّة استراتيجيّة ثقافيّة تركز على أمرين: الأمر الأول: الجانب النّقديّ في التّراث روائيّا وتأريخيّا وسياسيّا وفلسفيّا، ونقد الاجتماع البشريّ في الوطن العربيّ وتفكيره وعاداته وتقاليده؛ لأنّ ثقافة النّقد هي الفريضة الغائبة عن واقعنا، ليحلّ محلها ثقافة التّمجيد والتّقديس، ثمّ التّعصب والتّطرف والتّقاتل، والأمر الثّاني: إيجاد البدائل في الخطاب والوسائل، مع نقد الذّات أيضا؛ لأنّ العمل المؤسسيّ يعالج القضايا بصورة أكبر عمقا، ويعطي بدائل ووسائل أكثر تأثيرا في المجتمع.

ثالثا: الإكثار من الجامعات والمراكز البحثيّة في الوطن العربيّ، والّتي تركز على الجانب الثّقافيّ المعمّق لقيمة الإنسان والبحث والحريّة، وأن يعطى

(1) الفريحات: غالب، مقالة حاجتنا إلى ثقافة التّنوير، مرجع سابق.

(2) محفوظ: نجيب، **حول التّدين والتّطرف**، الدّار المصريّة اللّبنانيّة، لا تأريخ، مصدر سابق، ص 193.

ملف عاض.indd 51 1/26/2019 9:24:13 AM

للجيل حريته في الدّهشة والتّساؤل والبحث والنّقاش، لتتخرج أجيال تعظم قيمة العقل والنّظر والتّدبر، والاشتغال بالإنتاج والاختراع وتعظيم قيم الإنسان الكبرى.

رابعا: نشر ثقافة القانون المدنيّ وتفعيله، وأهمية احترام الدّساتير القائمة على اختيار الشّعوب، والمبنية على التّنوير القانونيّ، الّذي يحفظ الجميع، وعليه يكون القانون حافظا للإنسان وحريته وثقافته، بعيدا عن تلاعب السّلطة، واستبداد المجتمع، فيكون المثقف واقفا مع القانون المرضي من الجميع، ساعيا في تعميقه، وتوجيه المجتمع إلى الدّولة المدنيّة الحافظة لحريات النّاس وحقوقهم الذّاتيّة، وحتى لا تتحول الثّقافة ذاتها إلى تطرف آخر!!!

ثالثا: الثّقافة والجانب الفنيّ والجماليّ[1].

من فلسفة الوجود الجمال، سواء كان الجمال منظورا أو مسموعا أو ملموسا أو متذوقا، فهو جزء من صيرورة الإنسان في الكون، فهو يتمتع بالمناظر الّتي خلقها الله تعالى في الوجود، يقول سبحانه: ﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ۝ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾[2].

لذا نجد الإنسان منذ القدم تصيبه الدّهشة من جمال الكون، فطالما تمتع بجمال السّماء والنّجوم، وشدّ رحاله في السّهول والسّواحل والجبال والغابات، حتى أصبحت السّياحة اليوم فنّا جماليّا يتسابق فيه العالم، ليتعرف الإنسان ويكتشف أكثر جمال الطّبيعة.

كذلك تمتع الإنسان بجمال الصّوت، فيهو يتمتع بصوت العصافير، وصوت حنجرة الإنسان الطّبيعيّة، واعتبر بعض المفسرين قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ

---

(1) للمزيد ينظر مقالي: **الجمال والفنّ في الإسلام**، مقال في مجلة الثّقافيّة، مركز السّلطان قابوس العالي للثّقافة والعلوم، عدد 25، 1ذو القعدة 1437هـ/ أغسطس 2016م.

(2) النحل/ 5 – 6.

ةءاضبلا_ملق.indd 52 1/26/2019 9:24:13 AM

لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[1]، أي الصّوت الحسن في قوله: ﴿يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ﴾[2].

أمّا الملموس والمتذوق فهو يلمس جماليات من حوله يتمتع بهم كملاعبته لأطفاله، وتذوقه لكلّ ما هو طيب من الطّعام والشّراب.

وعلم الجمال ينتمي إلى علوم الفلسفة، وهو أحدث فرع فيها، ويسمى الاستاطيقا Aesthetics، حيث يرجع هذا العلم إلى نهاية القرن الثّامن الميلاديّ عند الفلاسفة الإغريق[3].

وترى أميرة حلمي مطر أنّ الجمال والفنّ نشأ مع وجود الإنسان، إلا أنّه كعلم فلسفيّ نشأ مع نشأة الفلاسفة مع علماء اليونان القدماء[4].

وفي الحقيقة ربط نشأة الفلسفة ومن ثمّ فلسفة الجمال بعلماء الإغريق فيه نظر؛ لأنّ الفلسفة وجدت قبل اليونان، ومنها الفلسفة المصريّة القبطيّة أو ما سميت لاحقا بالفرعونيّة، والفلسفة الكلدانيّة، ولكن لعلماء الإغريق فضل التّقعيد والتّجميع والتّكوين، وعلماء العرب وفلاسفتهم فضل حفظ الفلسفة الإغريقية وترجمتها وتطويرها.

---

(1) فاطر/ 1.

(2) ينظر مثلا: السّيوطيّ: جلال الدّين، **الدّر المنثور في التّفسير بالمأثور**، ط دار الفكر لبنان/ بيروت، الطّبعة الثّالثة، ج 7، ص 4، وقد ذكره عن ابن عباس، وأبي هريرة، وينظر أيضا: القرطبيّ: أبو عبدالله محمد، **الجامع لأحكام القرآن**، دار الفكر لبنان/ بيروت، ج 14، ص 320، وذكره عن ابن جريج.

(3) موقع فيدو على الشّبكة العالميّة، الرابط:/http://www.feedo.net/QualityOfLife/QualityOfLifeBasics/Aesthetics.htm، الزّيارة: 28/ 6/ 2016م، وقت الزّيارة: السّاعة الخامسة مساء (بتصرف).

(4) مطر: أميرة حلمي، **فلسفة الجمال أعلامها ومذاهبها**، دار قباء للنشر والتوزيع، مصر/ القاهرة، ط 1998م، ص11.

ملحق عاض.indd 53 1/26/2019 9:24:13 AM

والجمال في الإنسان وعشقه له فطري غريزي لذلك حاول البحث عنه وفهمه ومن ثمّ تقليده، أمّا تقليده فله صور عديدة من ذلك جمال اللّباس، ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾[1]، واللّباس تقليد للباس الطّبيعة، وحاول الإنسان تطويره في أشكاله ورسوماته، وتعدد اللّباس في ذاته فنّ إنسانيّ بديع.

كذلك استغل جمال الطّبيعة في صنع بيته والتّفنن فيه، ممّا أعطى للهندسة المعماريّة ذوقا جماليّا وفنيّا.

وحاول أيضا تقليد أصوات الطّبيعة في صنع الآلات والألحان، وابتكار المقامات والقواعد الموسيقيّة، بجانب الإبداع الشّعري وقواعده، والفنون الشّعبيّة.

وفي المقابل كان التّصوير والنّقش والرّسومات الفنيّة، واليوم الإبداع الرّسميّ عن طريق الفوتوشوب والرّسومات الالكترونيّة.

وجاءت الأديان السّماويّة لإضافة بعد جماليّ روحيّ ليتكامل الجمالان الرّوحيّ والبدنيّ، فالفنّ يجمع بين الجمالين: جمال العقل بالمعرفة، وجمال البدن بالرّياضة، ضاربة العديد من النّماذج، منطلقة من جماليّة الكون والطبّيعة.

والفنّ لون من ألوان الثّقافة الإنسانيّة، حيث أنّ الفن نتاج بعض الإبداع الّذي يكون مصدره الإنسان، كما أنّ الفن يعتبر أداة تعبيريّة لدى الإنسان بالأمور الذّاتيّة الخاصة به، ولا يكون تعبيرا عن بعض متطلبات الإنسان في حياته الاعتياديّة، كما أنّ معظم الأشخاص يقيمون الفنّ على أنّه ضروريّ جداً في الحياة، مثل: ضرورة الماء، والطّعام للإنسان أي أنّه مهم جدا لحياة الانسان[2].

---

(1) الأعراف/ 31.

(2) عبد المحسن: رباب، **مذكرة في تعريف الفنّ والإبداع**، وزارة التّربيّة والتّعليم، جمهورية مصر العربيّة، مخطوط.

ملف قاض.indd 54 1/26/2019 9:24:13 AM

والفنّ في أشكاله المختلفة هو محاولة البشر لتصوير الإيقاع الّذي يتلقونه في حسّهم من حقائق الوجود في صورة مؤثرة جميلة، والفنان شخص موهوب، ذو حساسيّة خاصّة، تستطيع أن تلتقط الإيقاعات الخفيّة اللّطيفة، الّتي لا تدركها الأجهزة الأخرى في النّاس العاديين، وذو قدرة تعبيرية خاصة تستطيع أن تحوّل هذه الإيقاعات الّتي يتلقاها حسه إلى لون من الأداء الجميل، يثير في النّفس الانفعال، ويحرّك فيها حاسّة الجمال[1].

والفنون تنقسم إلى فنون ماديّة، وفنون غير ماديّة، أمّا الفنون الماديّة هي الفنون الّتي تكون مثل النّحت بالإضافة إلى الزّخرفة وصنع الفخار، أمّا الفنون غير الماديّة هي مثل الموسيقى وغيرها[2].

واختلف الفلاسفة والمؤرخون في العلاقة بين الفنّ والجمال من حيث الذّاتيّة والأسبقيّة، إلا أنّهم اتفقوا أنّ العلاقة بينهما علاقة مطابقة، فبعضهم يرى أنّ الجمال هو جانب فلسفيّ تنظيريّ ظهر لاحقا، والفنّ هو طبيعة إنسانيّة سابقة له، تجسّد الثّاني في أشكال فنيّة تولّد منها فلسفة الجمال، وبعضهم يرى أنّ الجمال طبيعة ذاتيّة وجدت مع الإنسان، ثمّ تشكل إلى جوانب فنيّة متنوعة.

وعلى العموم في نظري أنّ الجمال هو الطّبيعة البشريّة الّتي وجدت في أصل الكون، ثمّ عشقها الإنسان فطرة بشريّة فيه من خلال علاقته مع نفسه والكون، فأسقط هذا الجمال في أشكال فنيّة متعددة، ومع تنوع هذه الأشكال وجدت فلسفة الجمال.

فالجمال كأصل بسيط سابق للفنّ، والفنّ نتيجة طبيعيّة له، ووسيلة في إسقاطه وتقريبه، أمّا الجمال كفلسفة وعلم فهو متأخر عن الفنّ.

---

(1) القضاة: أحمد مصطفى علي، **الشّريعة الإسلاميّة والفنون**، الطّبعة الأولى 1408هـ/ 1987م، دار الجيل، لبنان/ بيروت، ص 19.

(2) عبد المحسن: رباب، **مذكرة في تعريف الفنّ والإبداع**، مصدر سابق بتصرف.

ملف عارضة.indd 55 1/26/2019 9:24:13 AM

بعد هذه المقدمة عن الفنّ والجمال، نجد للفنّ تأثيرا في الحراك المجتمعيّ في الوطن العربيّ، ولكن مع هذا نجد هناك عدة صور للفنّ في إقليمنا من العالم:

– صورة تنظر إلى الفنّ والجمال نظرة سلبيّة، يتصور الجمال عريّا وسفورا وبعدا عن تعاليم السّماء، فهناك ممّن يجعل خصومة بين الإسلام والجمال، ويظهر ذلك من خلال السّلوك المتجهم إزاء آيات الجمال والفنون والإبداعات الجماليّة في هذه الحياة[1].

– وصورة للفنّ المبتذل، الفنّ الّذي يزعم أنه فنّا، لكن همّه انتهاك القواعد والضّوابط الأخلاقيّة، وقد يعمل بعض مروجيه على زرع الفوضى والفتنة مستهدفين قيم وقناعات شعب ما، خلف ستار حرية بلا حدود[2].

– وصورة للفنّ الّذي تستخدمه السّلطة في تمكين سياسة الاستبداد، ومحاربة الحريات، وفيه يظهر الاستبداد في صورة الجمال مستغلة الوسائل الفنيّة في ذلك، لتوجيه الحراك الاجتماعيّ في خدمتها.

– صورة تستغله الجهات المتطرفة دينيّة أو فكريّة في توجيه الحراك المجتمعيّ نحو التّطرف، والعيش في ظلاميّة الماضي، وتمكين الصّراع الطّائفيّ بين النّاس.

لهذا كان الفنّ والجمال أداة أصبحت توجه لخدمة استبداد السّلطة، وتطرف المجتمع، فضاع هذا الجمال ليحقق أبعادا لا تجتمع معه، وبدوره هذا سوف يؤثر في الحراك المجتمعيّ.

---

(1) عمارة: محمد، **الإسلام والفنون الجميلة**، الطّبعة الأولى 1411هـ/ 1991م، ط دار الشّروق، مصر/ القاهرة، ص 13.

(2) عامري: مهدي، **مقالة المثال والابتذال في الفنّ**، جريدة هسبريس، جريدة إلكترونية مغربية، تاريخ الزّيارة: 27/ 6/ 2016م، السّاعة السّابعة مساء، الرابط:
http://www.hespress.com/writers/266875.html.

ملف قاعض.indd 56 1/26/2019 9:24:14 AM

من هنا كان للثّقافة الدور المهم في إعادة التّوجيه من خلال التّالي:

أولا: إيجاد الأبحاث والدّراسات والمحاضرات والنّدوات الّتي تبين رسالة الفنّ والجمال، وذلك لكون هذه الرّسالة رسالة جمال واعتدال، ورسالة بناء ونماء، لا رسالة استبداد وتطرف، ورسالة ابتذال ودمار!!

ثانيا: توفير البديل من الفنّ المعمّق للجانب الثّقافيّ التّنويريّ، الّذي يساهم في نشر ثقافة التّنوير، ورفع مستوى الوعي المجتمعيّ، ليعيش مع البناء لا الهدم، ومع الجمال لا الظّلام.

رابعا: الثّقافة والوضع الاقتصاديّ والاجتماعيّ

تواجه الاقتصاديات العربيّة حاليا، وفى المستقبل القريب تحديات عديدة ومتنوعة (داخليّة وخارجيّة – مباشرة وغير مباشرة)، وهى تحديات تنبع من مصادر شتى، وتهدد بإلحاق أفدح الأضرار ليس فقط بالمستقبل الاقتصاديّ للشّعوب العربيّة؛ ولكن بات الخطر يلتف حول هويتها وثقافتها بل ووجودها القوميّ ذاته، فهناك تحديات العولمة، وانفتاح الأسواق، وشراسة الشّركات عابرة القارات، وتنامى النّزعة نحو بناء التّكتلات الاقتصاديّة والإقليميّة، واشتداد حمّى التّنافس الاقتصاديّ، ومخاطر التّهميش الّتي تنتظر الكيانات الصّغيرة غير القادرة وغير المؤهلة للمنافسة، والسّماوات المفتوحة، والأقمار الصّناعيّة، والبث الفضائيّ الّذى لا تحدّه قيود، وهناك من جانب آخر تحديات القوى الإقليميّة المتحفزة لدور جديد فى منطقة الشّرق الأوسط خصما من حساب قوى إقليميّة عربيّة كبرى كمصر، وغيرها من التّحديات الّتي تهدد المستقبل العربيّ بصفة عامّة[1].

(1) الزهيرى: توحيد، **التحديات التى تواجه العالم الإسلامى**، القاهرة: دار الجميل للنشر والتوزيع والإعلام، 2003، ص 11 – 13. نقلا من ورقة **الدول العربية والتحديات الاقتصادية** لأحمد عبد التواب عبد البصير محمد، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية جامعة القاهرة. مخطوط.

ملف ةءاضإ.indd 57 1/26/2019 9:24:14 AM

ومع كثرة المواهب الطّبيعيّة الّتي وهبها الله تعالى للعالم العربيّ إلا أنّ الانقسامات السّياسيّة، والحروب الطّائفيّة جعلته يعيش عالة على غيره، ممّا أصبح معدل الفقر وما يتبعه من آثار اجتماعيّة يزيد يوما بعد يوم.

ثمّ إن اعتماد أغلب الدّول العربيّة على النّفط في السّنوات الماضية جعلته يعيش في وهم المادّة، ومع عدم استغلال هذه الثروة في بناء العقل العربيّ، والاعتماد على الذّات، جعله اليوم يعيش نكسة انخفاض النّفط، ممّا يؤثر على الحراك المجتمعيّ فيه بصورة كبيرة.

وأصبحت البطالة في الدّول العربيّة واحدة من أخطر التّحديات الّتي تواجه دول المنطقة في ظلّ التّحولات الاقتصاديّة الرّاهنة، وتشير التّقارير إلى أنّ معدل البطالة في الوطن العربيّ يبلغ 14 ٪ من أصل (180) مليون عاطل عن العمل في العالم، بمعنى أخر يبلغ العرب نحو 4.9 ٪ من سكان العالم، بينما يبلغ العاطلون عن العمل حوالي 10.6 ٪ من إجمالي العاطلين عن العمل في العالم أي أكثر من الضّعف في سكان العالم، فمعدلات التّدفق العربيّ إلى سوق العمل أعلى من بقية العالم ممّا يخلق نوعين من الضّغط، ضغط البطالة القائمة، وضغط البطالة القادمة[1].

وبلا شك أنّ البطالة سيكون لها تأثيرها السّلبيّ في الحراك المجتمعيّ في الاتجاه به نحو الفقر والّذي من أكبر آثاره الجريمة وارتفاع معدلات الاغتصاب، والجهل والأميّة، والمرض وانتشار القذارة المسببة للأمراض المتعددة، واتجاه الشّباب نحو المخدرات والجرائم الأخلاقيّة والمجتمعيّة.

فالعلاقة بين الوضع الاقتصاديّ والحراك المجتمعيّ علاقة طرديّة، فكلّما تحسن الوضع الاقتصاديّ أسقط ذلك على الحراك المجتمعيّ ليكون

(1) عبد البصير محمد: أحمد عبد التّواب، **ورقة الدّول العربيّة والتّحديات الاقتصاديّة** كلية الاقتصاد والعلوم السّياسيّة جامعة القاهرة. مخطوط، ص 11.

ملف عاض.indd 58 1/26/2019 9:24:14 AM

تحرّكا إيجابيّا نحو الاستقرار والمعرفة والتّوازن الطّبقيّ في المجتمع، والعكس صحيح، فكلّما تردى وضعف الوضع الاقتصاديّ كلّما أثر على الحراك المجتمعيّ ليتجه نحو الجريمة وعدم الاستقرار والطّبقيّة.

لهذا كان للثّقافة والمثّقف دورهما في هذه المرحلة لتحريك المجتمع العربيّ نحو الوضع الاقتصاديّ الآمن لجميع أبناء المنطقة، وذلك من خلال التّالي:

أولا: السّعي في القضاء على الأميّة والجهل والمرض، لحق الإنسان الذاتيّ في كسب المعرفة وتعليمه، وحقه في مواصلة دراسته الذّاتيّة.

ثانيا: بناء الإنسان قبل المال والاقتصاد، فدول كسنغافورة مثلا بنت الإنسان أولا، ثمّ تحسن وضعها الاقتصاديّ، وارتفع دخلها ثانيا، وعلى المثقف تعميق هذا البعد في الوطن العربيّ، والسّعي في تحققه.

ثالثا: تبني الثّقافة والمثّقف للتّنمية المستدامة على أربعة عناصر مهمة هي: الإنتاجيّة الإبداعيّة في مختلف الميادين والمجالات الماديّة والمعنويّة والرّوحيّة، وتطبيق حقوق الإنسان، سيما المساواة بين أفراد المجتمع الواحد، دون تمييز لوني أو ثقافيّ أو لغويّ أو دينيّ أو عرقيّ، وتمثل سياسة الاستدامة بأن تكون التّنمية غير مقتصرة على الحاضر؛ بل تمتد إلى المستقبل عبر خطط استراتيجيّة قريبة أو متوسطة أو بعيدة، ومن خلال التّفكير في أجيال المستقبل، وإعداد تدبير ناجع مستقبلي، يعتمد على الاكتفاء الذّاتيّ، والتّصنيع المحليّ، والتّنوع الثّقافيّ، والاهتمام بالتّنميّة الاقتصاديّة الشّاملة، والابتعاد عن الاستدانة الرّبويّة، والتّبعيّة المنتروبوليّة، واقتصاد الرّيع، والاستهلاك غير المنتج، وتخريب البيئة وتلويثها، علاوة على تمكين الأفراد والمجتمع المدنيّ من المساهمة الفاعلة في التّنميّة البشريّة المستدامة عن طريق المشاركة والمساهمة الفعليّة[1].

---

(1) حمداوي: جميل، **مقالة المقاربة الثّقافيّة أساس التّنميّة البشريّة المستدامة**، موقع ديوان العرب، تاريخ الزّيارة: 27/ 6/ 2016م، السّاعة العاشرة مساء، الرّابط:
http://www.diwanalarab.com/spip.php?page=article&id_article=38505.

1/26/2019 9:24:14 AM 59 .indd.ملحق عاض

والتّنمية البشريّة المستدامة لا تقتصر على تحقيق الإنتاجيّة الماديّة، أو تغيير المجتمع فحسب؛ بل التّنميّة المستدامة هي الّتي تعنى بالإنسان عقلا وجسدا وقلبا ومعتقدا وثقافة وبيئة، بمعنى أنّ المقاربة الثّقافيّة هي الأساس في كلّ تنمية بشريّة لتغيير المجتمع على جميع الأصعدة والمستويات، وتحقيق تنمية إنتاجيّة حقيقيّة ماديّا ومعنويّا، وتمكينها داخل المجتمع عن طريق إشراك جميع الفاعلين في اقتراح آليات التّنمية الحقيقيّة، وفي هذا الصّدد، يقول جورج قرم [معاصر]: تدور التّنمية البشريّة المستدامة حول تطوير المقدرة البشريّة بسياسات وبرامج اقتصاديّة واجتماعية ودوليّة تعزز قدرة الإنسان على تحقيق ذاته. ويرتبط مفهوم التّنمية في هذا السّياق بتنمية الإنسان من حيث هو هدف ووسيلة، أو بتنمية قدرات الإنسان على سدّ حاجاته الماديّة والمعنويّة والاجتماعيّة، وإذ تتركز استراتيجيات تحقيق التّنمية البشريّة على إحداث تغييرات في البيئة القانونيّة والمؤسسيّة الّتي يعيش في كفها البشر، يبقى الأساس في ذلك دائما توسيع خيارات الإنسان، وبذلك، يتسع فضاء حريته، وهو ما يتضمن البعد الاقتصاديّ للتّنمية دون أن يقتصر عليها[1].

رابعا: أن تساهم الثّقافة في رفع مستوى الوعي بأهمية الوحدة العربيّة في التّعاون بينها اقتصاديّا، مع استغلال العقل العربيّ أيّا كان موقعه في التّنمية المستدامة، ورفع عجلة الاقتصاد.

ومن جهة أخرى عليها أن تتبنى نشر الوعي من خلال بيان أنّ قوتها من خلال استقلالها في اقتصادها، وأكلها من خبز يدها، وصناعة حاجياتها بأيدي أبنائها[2]، وأن تستغل السّوق العربيّة الواسعة في نشر بضائعها، وأن تكون أمّة تصدير لا أمّة استهلاك.

---

(1) المرجع نفسه، ونفس تأريخ الزّيارة والسّاعة.

(2) العبريّ: بدر، **القيم الخلقيّة والإنسان**، مصدر سابق، ص 92.

1/26/2019 9:24:14 AM 60 .indd ملحق عاض

خامسا: محاربة الفساد الماليّ والإداريّ، والغش الاقتصاديّ، والتّطفيف في الميزان، واستغلال حاجيات الضعيف، وجميع الأمراض الاقتصاديّة، وما ينتج عنها من أمراض اجتماعيّة؛ لأنّ هذا من المبادئ الّتي يسعى لتحقيقها المثقف، بعيدا عن أي ضغوطات ومصالح سياسيّة أم دينيّة أم اجتماعيّة.

سادسا: جعل الثّقافة نفسها مصدرا للتّنمية المستدامة، ورفع عجلة الاقتصاد في العالم العربيّ، وبلا شك هذا سيكون له تأثير إيجابي في رفع معدل الحراك المجتمعيّ إلى الأمام.

الخاتمة

لقد أدركنا من خلال هذا البحث المتواضع أنّ الحراك الاجتماعيّ اليوم، وخاصة بعد أحداث 2011، وفي هذا القرن الحادي والعشرين، أصبح متأثرا سلبا أم إيجابا بالمشهد السّياسيّ والتّفرق القوميّ في العالم العربيّ، وبالتّطرف الدّينيّ والحروب الطّائفيّة، وانتشار الصّحوة الدّينيّة نتيجة الفضائيات، وظهور الدّعاة الدّينيين، مع الجانب الفنيّ والجماليّ، وتأثيره إعلاميّا على الحراك المجتمعيّ، وأخيرا الوضع الاقتصاديّ والواقع الاجتماعيّ المترديّ.

كلّ هذا سيؤثر على الجانب الثّقافيّ ووضعيّة المثقف من جهة انسياقه مع هذه الموجة، أو صموده مع المبادئ العامّة للثّقافة، ليسير في طريق التّنوير والتّغيير والإصلاح، وليكون عنصر نقد وتقويم وتوجيه، مستغلا جميع السّبل والوسائل المتاحة في توجيه الحراك الاجتماعيّ نحو البناء والوسطيّة والاعتدال وصنع الإنسان، وفتح الحريات له، لا أن يكون ضحية التّطرف والإقصاء والقمع ليمارس ذلك باسم سلطة الثّقافة ذاتها، لتكون سلطة أخرى لا تختلف عن استبداد السّلطة السّياسيّة أو الدّينيّة أو المجتمعيّة!!!

ملف قاعض.indd 61 1/26/2019 9:24:14 AM

مصادر ومراجع بحث الثّقافة[1]

1. دافي: تشالرز، **مشاكل الشّباب**، ترجمة ليلى الحافي، طبعة مكتبة المعارف، بيروت / لبنان، الطّبعة الأولى 1960م.
2. عمر: أحمد مختار، **معجم اللّغة العربيّة المعاصر**، ط عالم الكتب/ القاهرة، 1429هـ/ 2008م، نسخة الكترونيّة، مادة ثقف.
3. الأهدل: علي محمد مقبول، **أضواء على الثّقافة الإسلاميّة**، ط شبة الألوكة الالكترونيّة.
4. الرّازيّ: محمد بن أبي بكر بن عبد القادر، **مختار الصّحاح**، تحقيق: يوسف الشّيخ محمد، ط: المكتبة العصريّة - الدّار النّموذجيّة، بيروت- صيدا/ لبنان، الطّبعة: الخامسة، 1420هـ/ 1999م، نسخة الكترونيّة.
5. الهواريّ: هود بن محكم، **تفسير كتاب الله العزيز**، تحقيق: الحاج بن سعيد شريفيّ، ط دار الغرب الإسلاميّ، بيروت/ لبنان، الطّبعة الأولى 1990م.
6. الحمد: تركي، **الثّقافة العربيّة في عصر العولمة**، ط دار السّاقيّ، بيروت/ لبنان، الطّبعة الأولى 1999م.
7. موقع أرنتروبوس: الموقع العربيّ الأول في الأنثروبولوجيا والسوسيوأنثروبولوجيّا.
8. فيضي: محمد، **مقالة حول تعريف الثّقافة**، موقع موضوع.
9. الصّغير: كاوجة محمد الصغير، وابتسام: كوشي، **الحراك الاجتماعيّ وعلاقته بالمتغيرات المجتمعيّة للمجالات الاجتماعيّة في المدينة الجزائريّة**، دراسة ميدانيّة لترامواي ورقلة - الجزائر، مجلة العلّوم الإنسانيّة والاجتماعيّة.
10. علي: نبيل، **الثّقافة العربيّة وعصر المعلومات**، سلسلة عالم المعرفة، سلسلة رقم: 265.
11. حنا: عبدالله، **المثقفون في السّياسة والمجتمع (أطباء)**، ط الأهالي للنشر والتّوزيع، دمشق/ سوريّة، الطّبعة الأولى 1996م.
12. ولد الشيخ: الشيخ عبدي، **مقالة المشهد الثّقافيّ العربيّ: الواقع والمأمول**، صحيفة أقلام الالكترونية.
13. رحيم: سعد محمد، **أنطقة المحرم وشبكة علاقة المثّقف بالسّلطة**، دار ميزوبوتاميا، بغداد/ العراق، الطّبعة الأولى/ 2013م.

(1) ملحوظة: رتبتها حسب صدورها في البحث لا حسب الترتيب الهجائي.

ملحق عياض.indd 62 1/26/2019 9:24:14 AM

14. الشّيديّ: عصام، **تقرير حول ندوة العلاقة بين المثقف والسّلطة تأثيرا وتأثرا تثير جدل الأسئلة**، جمعية الكتاب العمانيّة – مسقط، جريدة عُمان.
15. الفريحات: غالب، **مقالة حاجتنا إلى ثقافة التّنوير**، نشر: شبكة البصرة.
16. العبريّ: بدر، **القيم الخلقيّة والإنسان**، ط دار سؤال، بيروت/ لبنان، ط1، 2016م.
17. الأحمد: أحمد عيسى، **المغني في اللّغة العربيّة**، نسخة الكترونيّة.
18. العبريّ: بدر، **فكرنا الإسلاميّ والقيم الإنسانيّة: النظّريّة والواقع**، المقدم لمؤتمر التّطرف الفكريّ ومدى تأثيره على المجتمع العربيّ بالجمعيّة العمانيّة للكتّاب والأدباء – مسقط، بتأريخ: 7 – 8 ديسمبر 2015، طبع البحث في كتاب: التّطرف الفكريّ ومدى تأثيره على المجتمع العربيّ، إعداد وتحرير: خميس بن راشد العدويّ، طبعة الجمعية العمانيّة للكتّاب والأدباء ودار الغشام/ مسقط، الطبعة الأولى 2017م.
19. الخواجة: محمد ياسر، **التّطرف الدّينيّ ومظاهره الفكريّة والسّلوكيّة**، نشر مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، المملكة المغربيّة.
20. محفوظ: نجيب، **حول التّدين والتّطرف**، الدّار المصريّة اللّبنانيّة، لا تأريخ.
21. السّيوطيّ: جلال الدّين، **الدّر المنثور في التّفسير بالمأثور**، ط دار الفكر لبنان/ بيروت، الطّبعة الثّالثة.
22. القرطبيّ: أبو عبدالله محمد، **الجامع لأحكام القرآن**، دار الفكر لبنان/ بيروت.
23. موقع فيدو على الشّبكة العالميّة.
24. مطر: أميرة حلمي، **فلسفة الجمال أعلامها ومذاهبها**، دار قباء للنّشر والتّوزيع، مصر/ القاهرة، ط 1998م.
25. عبد المحسن: رباب، **مذكرة في تعريف الفنّ والإبداع**، وزارة التّربيّة والتّعليم، جمهوريّة مصر العربيّة، مخطوط.
26. القضاة: أحمد مصطفى علي، **الشّريعة الإسلاميّة والفنون**، الطّبعة الأولى 1408هـ/ 1987م، دار الجيل، لبنان/ بيروت.
27. عمارة: محمد، **الإسلام والفنون الجميلة**، الطّبعة الأولى 1411هـ/ 1991م، ط دار الشّروق، مصر/ القاهرة.
28. عامري: مهدي، **مقالة المثال والابتذال في الفنّ**، جريدة هسبريس، جريدة إلكترونيّة مغربيّة.

ملف قاعض.indd 63 1/26/2019 9:24:15 AM

29. الزّهيريّ: توحيد، **التّحديات الّتي تواجه العالم الإسلاميّ**، القاهرة: دار الجميل للنّشر والتّوزيع والإعلام.
30. عبد البصير محمد: أحمد عبد التّواب، **ورقة الدّول العربيّة والتّحديات الاقتصاديّة**، كليّة الاقتصاد والعلوم السّياسيّة جامعة القاهرة. مخطوط.
31. حمداويّ: جميل، **مقالة المقاربة الثّقافيّة أساس التّنمية البشريّة المستدامة**، موقع ديوان العرب.

ملف قاض.indd 64 1/26/2019 9:24:15 AM

الرّحلة القميّة[1]

المحاضرة في جامعة المصطفى (ﷺ)

بدعوة كريمة من سماحة الشّيخ العلامّة نجف علي الميرزائيّ لإلقاء محاضرة عن التّقريب بين المدارس الإسلاميّة في سلطنة عمان، أرسل لي بذلك أستاذي أبو يوسف كمال بن حسن اللّواتيّ من ضمن الزّيارة العلميّة لقم في الجمهوريّة الإسلاميّة الإيرانيّة، حيث قام الأستاذ كمال بالتّنسيق معي ومع الميرزائيّ، فاقترح الأخير إقامة محاضرة، واقترح لها عنوانين، عنوانا عن المدارس الدّينيّة في عمان، وعنوانا عن تجربة التّقريب في المجتمع العمانيّ، فأخبرته الأفضل نتحدث عن تجربة التّسامح الفقهيّ في عمان لكوني كتبت بحثا في ذلك.

وقد حُجِزتْ تذكرة الطّائرة يوم الثّلاثاء 21/ 2/ 2017، على أن يكون الإقلاع السّاعة الثّانيّة ظهرا حسب التّذكرة، فالتقينا في المطار السّاعة الثّانيّة عشر ظهرا، فخلّصنا الإجراءات، فقال لي الأستاذ كمال نذهب إلى مقهى واستراحة رجال الأعمال بالمطار؛ وفجأة جاءنا أحد الأخوة من ظفار، ودخل فجأة في حوار سياسيّ، وأردنا البعد عن هذا الجانب فدخل في حوار

(1) بدأت كتابة المذكرات في قم بالجمهوريّة الإسلاميّة الإيرانيّة 23/ 2/ 2017م، وأنهيتها في الموالح بمحافظة مسقط/ سلطنة عمان يوم الثّلاثاء 7/ 3/ 2017م.

ملف قاض.indd 65 1/26/2019 9:24:15 AM

اقتصاديّ وديني ومذهبيّ، وقلت للأستاذ كمال: اقترب الوقت، فنظر إلى مذكرة الصّعود فتصور بالخطأ الطّائرة الثّانية والنّصف، عموما قبل الثّانية ذهبنا إلى الصّلاة، وصلينا الظّهر والعصر أربعا أربعا، لكوننا لا زلنا في الوطن، فذهبنا إلى القاعة الثّانية بالضّبط، وقالوا لنا الطّائرة أقلعت!!!

هنا تواصل الأستاذ كمال مع الطّيران، وتمّ تغيير الحجز إلى الواحدة والثّلث ليلا، فرجعنا إلى بيوتنا، ثمّ رجعنا اللّيل، وجلسنا في قاعة الانتظار، حتى جاء موعد الصّعود، وكانت الطّائرة شبه فاضية!!!

ثمّ التحق بنا الأستاذ أبو عمار نبيل محمد من دولة الكويت الشّقيقة ليرافقنا في السّفر، وهو رجل مثقف، وعنده تساؤلات كبيرة، وكان الأستاذان كمال ونبيل من المدرسة الإماميّة، بينما أنا نسبا من المدرسة الإباضيّة!!

وصلنا طهران السّاعة الثّالثة بتوقيتهم، ونحن نتقدم عنهم بنصف ساعة، وهنا لم تصل حقيبة الأستاذ نبيل فتأخرنا قليلا في المطار، وبعد التّواصل وصلت الفندق بعد يوم!!!

كان السّائق ينتظرنا في ساحة المطار، ودرجة الحرارة عندهم درجتان، إلا أنّ البرد لم يكن مؤذيا، وبسهولة تتكيف معه!!

وصلنا قم السّاعة السّادسة فجرا، وكان الفندق معدّا مسبقا، وبالسّرعة صلينا الفجر لأنّ الشّروق اقترب، ومن التّعب أخذنا النّوم، وكانت المحاضرة السّاعة العاشرة، فإذا بالسّائق المعدّ من الجامعة يضرب هاتف الغرفة عند العاشرة!!

وبسرعة تجهزنا دون أن نفطر، فوصلنا الجامعة، فاستقبلنا المعدّ لبرنامج معهد الدّراسات الإقليميّة لجامعة المصطفى الأستاذ أشرفيّ، وبعدها جاء سماحة الشّيخ العلامّة الميرزائيّ، وهو رجل كاتب ومعروف، وله لقاءات ثقافيّة وفكريّة وسياسيّة، كما له بعض المؤلفات مثل مطارحات في منهجيّة

إلى قاعة الانتظار.indd 66 1/26/2019 9:24:15 AM

الإصلاح والتّغيير، وفلسفة مرجعيّة القرآن المعرفيّة، وأكثر من مائة وخمسين مقالا بالعربيّة والفارسيّة.

دخلنا في قاعة حضرها العديد من العلماء والأساتذة والدّكاترة، وبدأ المقدّم بالتّعريف بي وبسماحته وبالحضور، ثمّ بدأ سماحته بالحديث عن الوحدة وضرورتها والتّقريب بين المدارس الإسلاميّة، وبعد عشرين دقيقة جاء دوري فتحدثت عن التّقريب والوحدة، والتّسامح في عمان وتحدثت عن ضرورة نقد الذّات والتّركيز على المشتركات، وأنسنة الخطاب الدّينيّ، ومراجعة التّأريخ، وترك الخلق للخالق، ومراجعة مفهوم اللّعن والولاية والبراءة والتّكفير والتّفسيق المذهبيّ، وأهمية التّعارف والتّواصل والحوار.

ثمّ حدث نقاش كبير استمر لفترة طويلة، لما طرح من قبل سماحته ومن قبلي، ويرتكز في غالبه في أهمية الحوار والتّعارف.

وبعد المحاضرة حدث تعارف جانبيّ، ومنها أخذني أحد الحضور وقال تعجبت من رجل دين يتحدث عن أنسنة المذاهب، قلت له أقصد أن يكون هدف المذاهب صناعة الإنسان لا جعل الإنسان يعيش في صراع طائفيّ ومذهبيّ، فهو بحاجة إلى البناء لا التّفرق والهدم!!

وبعدها طلب منا معدّ البرنامج مرافقته لشرب الشّاي في مكتب سماحة الشّيخ، فذهبنا وحدث حوار عام في ضرورة التّقريب والتّعايش، ثمّ التحق بنا سماحة الشّيخ الميرزائيّ، وتحدث بصراحة عن ضرورة المراجعة في الفكر الشّيعيّ، وأهميّة المراجعة القرآنيّة، حيث سماحته عنده مشروع في الانطلاقة القرآنيّة بين الأمّة، وله كتب ومقالات في هذا، وأسهب الحديث في قضية العصمة واللّعن والتّأريخ والمنطلقات القرآنيّة، كذلك أخذ حديث السّيد كمال الحيدريّ حيزا؛ لأنّه كما يقول سماحته فجّر في المجتمع الشّيعيّ قنابل لا زالت شظاياها مستمرة، وعموما السّيد كمال كان حديث المجالس في كلّ زيارة ومجلس!!

1/26/2019 9:24:15 AM 67 .indd.جلق ةءاضإ

بعدها أذن للصّلاة، وعندهم قبل الأذان يبدأ المؤذن بقراءة القرآن، وهنا ترى الجامعة في هرج، الجميع يذهب إلى الدّورات للاستعداد للصّلاة، وهنا توضأنا، ثمّ ذهبنا مرة أخرى إلى مكتب سماحته، وطلب مني أن أصلي بهم إماما، فرفضت، وأصر كثيرا، إلا أنّي رفضت لكوني ضيفا، ولا أعرف عادتهم في ذلك.

فصلّى بنا سماحته الظّهر، وكانوا يقرأون في الرّكعتين الأوليتين الفاتحة وسورة كغالب المذاهب السّنيّة، ويرفعون أيديهم ولا يضمون، ويقولون في الرّكوع سبحان ربي العظيم وبحمده مرة واحدة، وفي السّجود سبحان ربي الأعلى وبحمده مرة واحدة، ويقنتون في الركعة الثّانية قبل الرّكوع، ويكتفون بآية ربنا آتنا في الدنيا ... الخ الآية أو أي دعاء قصير ثمّ يختمون بالصّلاة على محمد وآله، وصلاتهم كانت خفيفة وذات خشوع وهدوء، ويسلّمون دون تحريك الرأس وإنّما يضربون أيديهم إعلاما بالخروج من الصّلاة مع التّكبير، ويسجدون على التّربة، وعموما جميع هذه الآراء موجودة في المدارس الإسلاميّة ليس الآن مجال تفصيلها، فالسّجود في التّربة مثلا يماثله الخلاف القديم هل يجوز السّجود على شيء مسته النّار، وعدم الحركة في التّسليم يماثله القول بجواز الإتيان بأيّ فعل للخروج من الصّلاة، والحركة في التّسليم ليس شرطا وإنّما سنّة مستحبة عند الأكثر!!

وبعد الصّلاة تصورت سيجمعون إلا أنّ سماحته لم يجمع وإنّما فرد الظّهر وهذا خلاف المعتاد عندهم، وهنا صلّيت العصر ركعتين، أمّا من معي من الأخوة من المدرسة الإماميّة يسلّمون بعد الرّكعتين، ثّم ينوون الرّكعتين التّاليتين العصر، وهو ما يفعله الآن الأخوة في المدرسة الحنبليّة!!

بعد الصّلاة أصرّ سماحته أن نشاركه في الغداء، فذهبنا إلى مطعم شعبيّ كبير، وكان مزدحما بالنّاس، وجلسنا إلى الرّابعة عصرا وكان نقاشا مطولا في جوانب كثيرة.

ملف عباض.indd 68 1/26/2019 9:24:15 AM

وهنا قال سماحته أنّ مؤسسة بين المليّ للدّراسات الإسلاميّة وهو مركز تابع لسماحة السّيد القائد آية الله الخامنائيّ مباشرة يديره مستشاره في قم سماحة الشّيخ الشّماليّ يطلب عقد جلسة حواريّة مفتوحة، فهل يوجد لديكم وقت صباح الغد أي الأربعاء فقلنا نعم، على أن تكون الجلسة السّاعة العاشرة صباحا. وعندما أردنا الخروج من الغداء قام سماحته بتجميع الأكل المتبقي وغير الممسوس وفرزه ليحمله إلى المحتاج والفقير، ثمّ قال لنا سيارتي قريبة سأحملكم بنفسي، فرفض الأخوة، وقال أجرة صاحب الأجرة عليّ أو أحملكم، فرفض الأخوة بقوة الأمرين، وتفارقنا، فعدنا إلى النّزل لنستعد لزيارة ضريح فاطمة المعصومة بنت الإمام الكاظم.

زيارة ضريح فاطمة المعصومة

بعد تناول الغداء مع سماحة العلامة نجف الميرزائيّ رجعنا إلى النّزل لنأخذ شيئا من الاستحمام والرّاحة، ولنصلي المغرب والعشاء.

بعدها ذهبنا لزيارة ضريح فاطمة المعصومة بنت الإمام الكاظم وأخت الإمام الرّضا، وقد سألتُ الخطيب الحسينيّ محمد الشّوكيّ في زيارتنا له كما سيأتي ذكره لاحقا لماذا سميت بالمعصومة، قال المعصومة بالإيرانيّة معنى البراءة وليست العصمة، فيقولون للطّفل معصوما بمعنى بريئا، ولكون فاطمة توفيت حسب المشهور وعمرها ثمانية عشر سنة، حيث أتت من المدينة وتوفيت هنا لوجود جماعة من العرب كبيرة بقم، وفرارا من الاضطهاد العباسيّ، إلا أنّ السّيد يرجح أنّها توفيت بين 25 إلى 30 سنة، وأتى بشاهد روائيّ في ذلك لا يحضرني الآن ذكره.

ونحن نمشي ودرجة الحرارة تقريبا درجتان تجد البائعين منتشرين يبيعون الفول أو الطّعميّة الطّبيعيّ ويضيفون إليها الفلفل والملح، وهي أكلة لذيذة مع البرد الشّديد.

1/26/2019 9:24:15 AM

والنّاس في هدوء شديد جدا وسكينة غريبة، على كثرة الزّحام لا تسمع ضجيج السّيارات، ولا أصوات النّاس، دخلنا في بداية (الحرم) حيث يسمونه بالحرم، والجنديّ المفتش يبتسم ويضحك لكلّ من يفتشه.

وصلنا خارج الحرم وكان المكان واسعا ومضيئا، وفيه أكياس خاصة للحذاء، تأخذها وترجعها في نفس المكان.

وفي داخل المبنى تجد الضّريح في مكان مليء بالنّقوش والزّخرفة، والنّاس يتحلقون حول الضّريح يدعون ويتوسلون، وبطبيعة الحال نحن في المدرسة الإباضيّة لا يوجد عندنا التّوسل بالأموات كما هو المشهور.

وعلى القاعات الجانبيّة للحرم هناك قبور كثيرة لعلماء الإماميّة خاصة بعد الثّورة الإيرانيّة، والنّاس ما بين مصلي ويدعو ويقرأ القرآن، وتوجد حلقات حوزويّة أغلبها على عادة الإجازة في قراءة كتاب، وحفظ القرآن، كما في الحرم المكيّ والمدنيّ.

وكنت جالسا أقرأ بعض ما كتب على القبر جاءني فتى في عمر الثّامنة عشرة كما أخبرني، ومعه ولدان في عمره أو أقل قليلا، قال السّلام عليكم، فرددت عليه السّلام، وكان معي الأستاذ كمال، قال أنا أتحدث العربيّة، وأنا من الأهواز، وصاحباي من هنا يتحدثان فقط الفارسيّة، وأحببنا أن نسلّم عليكم، فسألته هل تدرس هنا قال لا، أعمل لظروف ماديّة، حيث أعمل في تصليح السّيارات، ثمّ قلت له نساعدكم حاجة، وهنا مباشرة شكر بقوة وخرج.

والعجيب في قم على الرّغم من الوضع الماديّ لا تجد متسولا، الكلّ يعمل هنا الصّغير والكبير، ولا يقبلون في الجملة أن يأخذوا أكثر من حقهم إذا قدّموا لك عملا إلا بصعوبة جدا.

وفي المكان بنيت قاعة حديثة في العشر السّنوات الأخيرة للمحاضرات، ثمّ خرجنا ويوجد سوق كبير في المنطقة، سوق شعبيّ، وبنايات خاصة لبيع

ملف قاض.indd 70 1/26/2019 9:24:15 AM

الكتب، وأغلبها الكتب الدّينيّة والفلسفيّة، وبعض المكتبات متخصصة في الكتب الدّينيّة.

ثمّ ذهبنا نمشي في الزّقاق، ومع تأخر الوقت، إلا أنّك كأنك في وقت الصّباح، والمكان آمن جدا، والكلّ في سبيله بلا ضجيج أبدا، وهنا ذهبنا إلى مكان لبيع الخضروات والفواكه، وهي طبيعيّة عندما تأكلها تشعر بلذة؛ لأننا أردنا أن نتعشى بالفواكه حيث آثار الغداء لا زالت باقية، وعموما سنتعب في هذه الرّحلة من العزومات والكرم الغريب، وغالب زياراتهم يقدّمون فيها المشاوي بأنواعها من دجاج ولحوم وسمك، والسّلطة والفواكه، والعيش الإيرانيّ الأبيض مع الزّعفران، والحلويات والمشروبات، وبعضهم هنا يشربون البيرا الخالية من الكحول، حتى علمائهم ولا يرون فيها حرجا ما دامت لا توجد فيها كحول، وفي اليوم الأخير ونحن في عزومة العشاء وصلت إلى الدّرجة الّتي يصعب بعدها الأكل إلا تكلفا!!!

والفواكه والخضروات هنا أغلبها إيرانيّ، وبعضها حسب ما أخبرونا في السّوق تؤتى من باكستان وأفغانستان، وهي فواكه طازجة، تجد لذة غريبة في أكلها لا تشعر بالشّبع منها.

كذلك اللّبن هنا طبيعيّ، وبأنواع مختلفة كإضافة الزّعتر فيه، ويبيعونه بصورة كبيرة جدا.

رجعنا بعدها إلى السّكن لنستعد للجلسة الحواريّة في مؤسسة بيت المليّ.

زيارة مؤسسة بيت المليّ

كما أسلفنا آنفا ونحن نتغدى مع سماحة الميرزائيّ، جاءه اتصال بأنّ مؤسسة بيت المليّ تريد تعمل حلقة حوارية مفتوحة معنا، فاتفقنا نذهب يوم الخميس السّاعة العاشرة صباحا وحتى الثّانيّة عشر ظهرا.

وذهبنا هذه المرة مبكرين، وأرسلت لنا المؤسسة سيارة إلى الفندق،

ملف عاض.indd 71 1/26/2019 9:24:15 AM

فوصلنا تقريبا قرب التّاسعة والنّصف، وهنا استقبلنا سماحة الشّيخ مهدي مرتضى نائب سماحة الشّيخ الشّماليّ مستشار سماحة السّيد خامنائيّ الولي الفقيه للجمهوريّة الإيرانيّة.

وقال سماحته أيّ الشّماليّ يبلغكم السّلام ويعتذر لكونه الآن في لندن؛ لأنّ للمركز فرعا هناك.

والشّيخ مرتضى يتقن الإنجليزيّة مع الفارسيّة وقليلا من العربيّة، لذا هو يتحدث بالإنجليزيّة وهناك من يترجم له، فقد تحدث أنّ المركز تحت إشراف السّيد القائد الخامنائيّ مباشرة، وهدفه ما بعد الدّكتوراه حيث يوفر مدرسين لمن أراد ذلك كعقد دورات في أيّ دولة من دول العالم، وهم الآن يدرسون في جامعات غربيّة معروفة، كما يرسلون من يريد التّبليغ حول المشتركات الإسلاميّة، ولهذا الظّاهر نيللي بمعنى التّبليغ.

والمركز عمره لا يتجاوز سبع سنوات، ويدّرس أيضا الابتدائيّ والمتوسط وبحث الخارج، وبثلاث لغات الفارسيّة والعربيّة والإنجليزيّة، وأصدر العديد من المنشورات باللّغات الثّلاثة، والآن يتجه إلى التّرجمة، وعندهم مشروع كتاب الإسلام، يأخذ المشتركات من المذاهب، والكتاب يشتغلون عليه في خمس مجلدات، صدر الجزء الأول باللّغة الإنجليزيّة، وفي الطّباعة حاليا الجزء الثّانيّ، وهو مطبوع في طباعة فاخرة مليء بالصّور المعبرة.

ومشروع الكتاب سيكون باللّغة الإنجليزيّة ثمّ يترجم إلى الفارسيّة والعربيّة واحتمال أيضا الأورديّة.

عموما ذهبنا إلى قاعة الحوار وقد حضرها مجموعة من الباحثين والأكاديميين ورجال الدّين، وبدأ الحوار في التّعارف وأهميّة التّداخل المعرفيّ والحضاريّ، ثمّ فتح باب الأسئلة والحوار، ونوقشت العديد من الجوانب حول مثلا أزمة التّيارات الفكريّة، وقضية الفضائيّات واللّعن وإثارة الخلاف، وقضيّة التّأريخ ونقد المذهب، وقضيّة بناء الإنسان، والمشتركات

ملف عباض.indd 72 1/26/2019 9:24:15 AM

بين المذاهب، ثمّ تطرقنا للحديث حول الفرق في عمان والدّراسة الدّينيّة، وبعض التّيارات المعاصرة كالبهائيّة، وغيرها من الجوانب الكثيرة، استمرت أكثر من ساعتين.

ثمّ بعد ذلك كان تبادل الصّور والتّعارف الجانبيّ، وبعدها ذهبنا إلى مكتب سماحة الشّماليّ لتناول الشّاي، وقد ناب عنه الشّيخ مرتضى، وأحد الأخوة لا يحضرني الآن اسمه.

وكان من الحاضرين الشّيخ مقداد الطّهرانيّ وهو قد أنهى الآن تحضير رسالة دكتوراه حول الاستفادة من أعضاء المحكوم عليهم بالإعدام، وسألته ما الرّاجح الّذي خلصت إليه، قال: الجواز، والرّسالة باللّغة العربيّة.

وجاء وقت الصّلاة، حيث يوجد مصلى بالمؤسسة، وتجمع الجميع من إداريين وطلبة وأساتذة وباحثين للصّلاة، وهنا جاءني مرتضى بأن أصلي بهم فرفضت، وقال نتكلم بجد، قلتُ له أعرف ولكن الوضع لا يسمح، وذلك لأنّ العديد من الحضور قد لا يفقه صلاتنا، فنحترم المعمول به عندهم.

وهنا تقدّم بنا أحد الأساتذة وصلّى بنا الظّهر والعصر، وقبل الصّلاة اتصل خطيب المنبر الحسينيّ السّيد محمد الشّوكيّ بالأستاذ أبي عمار من الكويت وهو يعرفهم معاتبا لعدم معرفته بخبر المجيء، وأصر أن نتناول الغداء في بيته، لهذا اعتذرنا من المؤسسة أن نتناول معهم الغداء لارتباط قد حصل، ولإرضاء الجميع.

زيارة الخطيب الحسينيّ سماحة السّيد محمد الشّوكيّ وتناول الغداء معه

كما رأينا أنّ سماحة السّيد الخطيب الحسينيّ محمد الشّوكيّ اتصل بالأستاذ أبي عمار من الكويت لتناول الغداء معه، وقد أتى إلى عمان مرتين لإلقاء الخطب الحسينيّة، واتُصِلَ به قريبا واعتذر لظروف خاصة به.

ملف عباس.indd 73 1/26/2019 9:24:16 AM

والسّيد أصله عراقيّ، جاء إلى قم منذ عشرين عاما، مع العراقيين الّذين فروا من الاضطهاد في عهد النّظام السّابق، وصارت لهم أحياء كبيرة في إيران ومنها قم، ويُقال نسبة العراقيين في قم قبل فترة بسيطة نسبة كبيرة جدا، إلا أنّ العديد وربما الأغلب رجع إلى العراق بعد سقوط النّظام، ولكن أحوالهم لم تتحسن؛ بل بعضهم هاجر إلى سوريّة حتى حدثت الأحداث الأخيرة، لذا يمكن اعتبار من سكن في إيران الأفضل استقرارا حتى الآن، وهم يعملون بالتّجارة في جملتهم.

والعراقيون في إيران متمسكون بعاداتهم وثقافتهم وهويتهم ولغتهم العربيّة، وهم أصحاب كرم وجود كبير.

وعلى العموم مؤسسة بيت المليّ الّتي تحدثنا عنها أعدّت لنا سيارة، وأوصلنا السّائق إلى بيت السّيد بسهولة، والجميل في قم من العنوان بسهولة يصلك السّائق إلى المكان المحدد، وعندهم عادة جميلة لا توجد عندنا في عمان وهي وجود مكاتب لسيارات الأجرة، حيث من البيت تتصل بالمكتب وتأتيك السّيارة فورا وأنت في بيتك، دون الانتظار خارجا، وهذا يكسب الوقت ويعطي شيئا من الأمان خاصة للنّساء والأطفال.

وصلنا عند بيت السّيد في أحد الزّقاق، ووجدنا أخاه السّيد أحمد ينتظرنا في الخارج، وهو رجل كثير الابتسامة والصّمت معا، وفي قمّة الخلق والتّواضع.

عندما دخلنا البيت نزلنا في سرداب، حيث أنّ عادة العراقيين أن تكون مجالسهم في السّرداب، وهذه انتقلت إلى إيران والكويت، وهي عادة جميلة، حيث السّرداب عبارة عن مجلس كبير فيه حمام ومغاسل ومطبخ مفتوح، بينما الأسرة تسكن في الأعلى، وبالتّالي يأخذ الضّيف راحته، وأهل البيت يأخذون راحتهم.

ومنهم من حول السّرداب إلى ديوانيّة كبيرة، مزودة برافع الصّوت، تعقد

ةعاضبإ قلق.indd 74 1/26/2019 9:24:16 AM

فيها الحلقات الثّقافيّة والفكريّة والأدبيّة، خاصة للمثقفين والكتاب وشيوخ الدّين والأدباء ورجال السّياسة وغيرهم، ويقولون ميزة السّرداب أنّه دافئ في الشّتاء وبارد في الصّيف، وعموما كلّ منازل إيران مزودة بغاز التّدفئة، وأخبرني الأستاذ أبو عمار أنّ هذا المشروع من أوائل المشاريع الّتي أقامها الإمام الخمينيّ بعد الثّورة، حيث أوصل الغاز إلى جميع مناطق إيران عن طريق الأنابيب.

ولمّا نزلنا في السّرداب تذكرت أماليّ السّيد طالب الرّفاعيّ [معاصر] والّتي دونها رشيد الخيون [معاصر] في كتابه أماليّ طالب الرّفاعيّ، حيث يذكر الرّفاعيّ أنّ الشّهيد الأول محمد باقر الصّدر ألف كتابه الشّهير فلسفتنا في السّرداب، وكان يكتب كلّ جمعة، وذلك بعدما أصرّ الرّفاعي عليه أن يكتب لانتشار الفكر الشّيوعيّ والإلحاديّ بين الشّباب حينها، ووصف السّرداب بنفس الوصف، ولذا لمّا دخلت منزل السّيد الشّوكيّ تذكرتُ عبارة الرّفاعيّ، ولكوني أول مرة أدخل مجلسا في سرداب، وأخبرتُ السّيد الشّوكيّ بما كتبه السّيد الرّفاعيّ!!

وهنا تذكرت أيضا ما يروى عن الإمام أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة [ت 150هـ] من علماء الإباضيّة الأوائل، حيث كان يعلّم طلبته في سرداب في البصرة، فلعل عادة السّرداب عندهم قديمة جدا!!!!

نزلنا إلى الأسفل، وجلسنا، وبعد فترة جاء السّيد لأنّه كان مرتبطا بالحوزة، ثمّ جاء ولده الصّغير وسلّم علينا، والأكبر قليلا تبعه أيضا.

قدّم لنا الشّاي وله لذة غريبة، ويتقنون في صنعه، فالمشاوي بأنواعها والسّلطة وشربة العدس والخضروات والفواكه.

وكانت الجلسة مثريّة امتدت لثلاث ساعات تقريبا، تطرقنا فيها إلى العراق وأحداث العراق، والوضع الحاليّ، وناقشنا فيها قضيّة العصمة في القرآن والمرويات، وأهميّة التّقارب والتّسامح، والسّيد صاحب فلسفة وانصب حديثه في جوانب فلسفيّة عديدة، خاصة في إثبات الوجود وخلق الكون.

ةعاضإ_ملق.indd 75 1/26/2019 9:24:16 AM

كما ناقشنا بعض القضايا المعاصرة كالرّسول والنّبيّ، أو الرّسالة والنّبوة، وناقشنا أيضا قضيّة المهديّ، حيث للسّيد كتاب عنوانه الدّولة الأخيرة أي دولة المهديّ، وأهدانا كتابه، وأخبرته أنّ نظريّة المهديّ غير موجوده عند الإباضيّة في الجملة لا بالمفهوم الشّيعيّ ولا بمفهوم أهل الحديث وغالب المدارس السّنيّة وهو حسب رواية سيخرج المهديّ آخر الزّمان اسمه كاسمي واسم أبيه كاسم أبي.

ولأستاذنا الكبير محدث الدّيار الشّاميّة عداب الحمش [معاصر] كتاب نفيس في قضيّة المهديّ، وعموما احترم في الجملة رأي المدرسة الإماميّة كما أنني أحترم رأي المدرسة السّنيّة، والمسألة مسألة رأي واسعة، وإن كان أخوتنا الشّيعة يعتبرونها مسألة عقيدة، وكذا الظّاهر عند أهل الحديث، ممّن يثبت الاعتقاد بأحاديث الأحاد، والإماميّة وبعض أهل الحديث يرون الرّوايات فيها متواترة.

وكذا الحال في قضّية نزول المسيح، وأخبرته أنّ جملة الإباضيّة لا يرون نزول المسيح، ولهم رأيان في رفعه أو موته، وإن كان الظّاهر موته لقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾ [المائدة/ 117].

وعموما مثل هذه الآراء مسائل واسعة واجتهاديّة لا ينبغي أن تكون حاجزا والأخوة الإسلاميّة، وأن ننظر إليها بعين السّعة لا بعين الضّيق والشّحناء.

أصر السّيد أن نجلس معه وأن يأتي بفرش للنّوم لنأخذ شيئا من الرّاحة، وأخبرناه بقي نصف ساعة، وعندنا موعد مع السّيد كمال الحيدريّ السّاعة الرّابعة عصرا في بيته، وكان أيضا للسّيد الحيدريّ جزءا كبيرا من الحديث في الجلسة، حيث للسّيد الشّوكيّ نظرة أخرى لبعض آرائه.

قال له الأخوة نريد منك أن تطلب لنا سيارة أجرة، فرفض وقال سيقوم

ملحق عباض.indd 76 1/26/2019 9:24:16 AM

أخي السّيد أحمد بتوصيلكم بنفسه، وبعد إصرار استسلمنا لأمره، وأوصلنا السّيد أحمد، وهنا ذهبنا إلى الفندق لعشر دقائق ثمّ إلى منزل السّيد كمال الحيدريّ...

زيارة السّيد كمال الحيدريّ

بعد تناول الغداء مع السّيد محمد الشّوكيّ رجعنا إلى الفندق لمدة عشر دقائق، وهنا نزلنا أنا والأستاذ أبو عمار من الكويت، وجاء معنا أحد الأخوة الطّلبة ممّن يدرس في الحوزة الدّينيّة في قم، أمّا الأستاذ كمال فقد تأخر قليلا لظروف خاصّة.

وصلنا منزل السّيد كمال قبل الموعد بقليل، وقد كان ينتظرنا، فضربنا الجرس، فرحب بنا ترحيبا كبيرا، واستقبلنا في مكتبة منزله، وكانت غرفة مفتوحة في الأعلى، جميع جدرانها مع حائط في الوسط مليئة بالكتب، ومفهرسة حسب المعارف، وألحق بالمكتبة غرفة صغيرة مفتوحة مزودة بالكتب الفكريّة والنّقديّة المعاصرة ككتب محمد عابد الجابريّ [ت 2010م] وأركون [ت 2010م] وغيرهم من المعاصرين، وتضم عشرات الكتب الفكرّيّة والنّقديّة المختلفة، ممّا يدلّ على اطلاح سماحته على كلّ جديد.

جلسنا في مكتبه ولحق بنا الأستاذ كمال اللّواتيّ بعد نصف ساعة تقريبا، حيث قال لنا في البداية نبدأ أم ننتظر الأستاذ كمال، قال له الأستاذ أبو عمار الأفضل أن نبدأ.

دخل بداية في الحديث عن الإباضيّة والخوارج، وقضيّة النّهروان، وكان بعض الحديث حول هذا، والمشكلة أنّ الرّوايات في هذا سياسيّة، والرّؤية الإباضيّة ليست حاضرة، لذا السّيد بنفسه لاحقا طلب مصادر الإباضيّة في هذا وغيرها، ولعل أفضل من كتب في هذا الشّيخ ناصر السّابعيّ [معاصر] في كتابه الخوارج والحقيقة الغائبة.

ملحق عاض.indd 77 1/26/2019 9:24:16 AM

وبعدها دخلنا في موضوع المشروع الجديد الّذي يشتغل عليه سماحته وهو مشروع محوريّة القرآن، وقد بدأ في شرحه في قناة الميادين في حلقتين، وكان يأمل أن يكون له حلقات أكثر فيها بعد توقيفه من المواصلة في قناة الكوثر، وكان قد أصدر عدة كتب في هذا منها كتاب الموروث الرّوائيّ بين النّشأة والتّأثير، وكتاب ميزان تصحيح الموروث الرّوائيّ معالم نظريّة عرض الرّوايات على القرآن الكريم.

ثمّ بين لنا أنّه توجد ثمانون علّة في الرّوايات، وأشار في الجلسة إلى بعض هذه العلل كمخالفتها لصريح القرآن، وأشار هنا إلى كتاب أسباب اختلاف الحديث.

وتطرق في الحديث إلى قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [البقرة/ 113] وهنا ألغى اليهود النّصارى والعكس مع تلاوتهم للكتاب، كذلك الّذين لا يعلمون من المسلمين قالوا مثل قولهم، فتقول السّنة ليست الشّيعة على شيء، وتقول الشّيعة ليست السّنة على شيء، وهو ذكر السّنة والشّيعة وإن كانت المذاهب الأخرى تقول أيضا مثل قولهم!!!

ثمّ ذكرتُ له الهيمنة والتّصديق القرآنيّ في سورة المائدة وهنا أسهب فيها كثيرا، وبين أنّ الإشكاليّة في المذاهب تصورها أنّ الحق ينحصر فيها، ومن خالفها على باطل، وهنا بين أنّه لم يصح عنده من روايات المصادر الأربعة عند الإماميّة إلا خمسة بالمائة، وقبل الصّلاة سألته في الاعتداد بالسّند، فقال أنا لست ضد السّند، وضد إهمال المتن، ولكن لا يكفي عندي صحة السّند فلابد من قراءة المتن، وهنا أشرت إليه في أثناء اللّقاء إلى المدرسة التّفكيكيّة، فهو مع تفكيك المتن!!

كذلك تطرق الحوار إلى قضيّة الجنّة والنّار، فهو يرى باشتراكيّة الجنّة،

ملف عاض.indd 78 1/26/2019 9:24:16 AM

وانطلق من قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [البقرة/ 62] وبين أنّ الّذي ولد في بيئة هندوسيّة أو يهوديّة أو نصرانيّة وبحث وتبين أنّ هذا هو الموصل إلى الله فهو في حكم النّجاة؛ بل حتى الملحد الّذي يبحث عن الحق وعن الله تعالى وعنده برهان يحاج به الله يوم القيامة فهو في رحمته، وهو أشار إلى قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ [المؤمنون/ 117]، وقال القضيّة مرتبطة بالبرهان والبحث حسب الملكات والقدرات!!

وهنا أشرتُ إلى ما قاله كذلك حسن فرحان المالكيّ [معاصر] باشتراكيّة الفردوس، فقال أنا قلت قبله أكثر من خمس عشرة سنة، وقبل ظهوري في قناة الكوثر بكثير، وبين أنّ له تواصل مع حسن فرحان هاتفيا، وعلاقة كبيرة، إلا أنّ بعد الأحداث انقطع عن الاتصال بسبب الأوضاع السّياسيّة بين البلدين!!

وتطرق هنا الحديث إلى أنّه لا يوجد ضروريّ في هذا الجانب، حتى وجود الله تعالى، فهو ليس فطريّا أو ضروريّا وإنّما يكون بالبحث والتّفكر والتّأمل، وإلا فكل يقلّد البيئّة الّتي ولد فيها!!!

وتحدث عن حفظ القرآن، وأنّه نزل محفوظا، فهو مجموع في عهده ﷺ ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ [القيامة/ 17]، خلاف المرويات الّتي قامت على النّقل بالمعنى، وهنا أسهب في الحديث حول النّقل بالمعنى والأحوال المصاحبة للنّقل بالمعنى، ولذا لابدّ من البحث عن الطرق الأخرى، والتّصديقات، وهذا ما قاله أيضا حيدر حب الله.

أيضا أسهب في الحديث عن المصاديق، وأنّها مرتبطة بالزّمان والمكان، وضرب لنا مثال التّعدد في الزّواج فهو يعود إلى الظّروف الزّمانيّة والمكانيّة، وكذلك مثلا قضية الصّوم في المناطق الّتي يطول فيها النّهار، والمناطق

ملف قاصل.indd 79 1/26/2019 9:24:16 AM

القطبيّة، فهنا يدخل عنصر المكان، وهنا ذكرت له أنّ القرآن أجاب عن هذا في قوله تعالى: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ [البقرة/ 184] فوافقني الرّأي، علما أنني فصلت المسألة في كتابي أيام رمضان.

والحديث حول المصاديق أخذ حيزا كبيرا من الوقت وأتى بنماذج، وحدث فيه أخذ ورد مع الأخوة، يطول لذكره المقال، وإنّما نعطي هنا صورة وصفيّة عامّة، وكذا الحال في النّظريات العرفانيّة في كتب الشّيعة حول الخلود في النّار، وذكر أربع نظريات، وأتى بشاهد من أحد كتب جواد مغنيّة [ت1979م].

ويرى كذلك قضيّة الكفر ليست بالمعنى السّائد، فلا يوجد في الأصل أنّ الإنسان كافر بمخالفته الإسلام، حيث للإسلام معنيان، معنى عام يشمل النّاس والملل جميعا، ومعنى خاص بمعنى الإسلام الجنسيّ، فاليهود والنّصارى عنده ليسوا كفارا، وإنّما -فيما فهمته- أنّ الكافر هو المكابر والمعاند بعد ما عرف البرهان!! وهذه النّظريّة يقولها أيضا فيما أعلم حسن فرحان المالكيّ وبعض المعاصرين!!

وعليه هو يرى أنّه لا يمكن تحقيق وحدة الأمة إلا بالرّجوع إلى محوريّة القرآن الكريم، والحديث مع السّيد طال لأكثر من ساعتين ونصف، وهناك جوانب تأريخيّة وفلسفيّة لا يمكن الإسهاب فيها، ولهذا قلت له قبل أن نخرج أريد أن أكتب عن اللّقاء: فقال لي أكتب ما تشاء بفهمك أنت ولك الحريّة!!

وطلب منه الأخوة بعدما أذن المغرب أن يصلي بنا، فوافق بعد تكرار الطّلب، وأمرنا بالوضوء، وتوضأنا، وهنا قال لي ممازحا: سأذهب أحضر التّربة -أي تربة السّجود- للجماعة وليست لك!! لفقهه أننا لا نسجد على التّربة!!

فصلّى بنا المغرب والعشاء، وقرأ لنا في الصّلاتين سورتي الصّمد

ملف عاض.indd 80 1/26/2019 9:24:16 AM

والكوثر، صلّى بنا المغرب ثلاثا، والعشاء أربعا!! وبعد الصّلاة اختلى بنفسه يدعو ويسجد ثمّ أتى إلينا مرة أخرى!!

وهنا سألته عن كتاب أحمد صبحي منصور [معاصر] القرآن وكفى لأنني سمعته ذكره في أولى حلقات من إسلام القرآن إلى إسلام الحديث في قناة الكوثر، وقال نعم عندي وقرأته!!

وهنا طرح أبو عمار لسماحته بعض الأسئلة الشخصيّة رغم أنّ سماحته في البداية أظهر البعد عن الموضوع، ولكن أصرّ أبو عمار، وقال له كم تنام في اللّيلة، قال بيني وبين الله أنام مبكرا السّاعة العاشرة، وأستيقظ مبكرا السّاعة الثّالثة فجرا، ولا أنام في النّهار!!!

وسأله عن عدد ساعات القراءة يوميا، قال من خمس ساعات إلى سبع ساعات، إلا أنّه يهتم أكثر الوقت بالتّفكير، فهو يمشي ويفكر في مكتبته الواسعة أكثر الوقت، وأكثر من القراءة، وأنا أذكر له شخصيّا عبارة ذكرها عن الشّهيد الأول الصّدر [ت 1980م]، وسماحته من تلاميذ الصّدر في عبارة تشير أنّ وقت التّفكير عنده أكثر من القراءة، لا يحضرني الآن نص العبارة، وقد نشرتها منذ سنوات في صفحتي!!

وسألته عن أصول الفقه ونقده، وها أشار لي في مكتبته إلى مجلدات له في الأصول، قلت له شرح أم نقد، قال لي: لا، يوجد نقد في الدّاخل، وهنا سأله أحد الأخوة ألا تخاف أن يبتعد النّاس عنك وأنت تطرح هذا، فبين الغاية مرضاة الله تعالى وليس النّاس، على أنّ النّاس يتواصلون معه.

والجميل في إيران جملة لا يوجد إقصاء، فمع نظرياته الجريئة حتى في الإمامة والعصمة، إلا أنّ دروسه الحوزويّة باقيه، وفي معرض قم الّذي سنشير إليه في الحلقة الثّامنة قاعة كبيرة لكتبه، وتباع بكل حرية، بينما لو في دول أخرى قد يقصى ويهمش من وظيفته، فضلا أن يتصل بالنّاس

ملف عاض.indd 81 1/26/2019 9:24:16 AM

أو الطّلاب، وقد تمنع كتبه أو يشدد فيها أو يرمى في السّجن بتهمة إساءة الأديان!!!

والسّيد كثير الانفعال في الحديث، وكثير الشّدة، ولكنك تجده مع انفعاله وشدته يأتي بمثال فيضحك معه ويُضحك من يسمع له، وهنا قال الأستاذان كمال وأبو عمار مع كثرة زيارتنا لسماحته في السّنوات الماضية وشدته لكن لم نره منبسطا ويضحك كثيرا مثل اليوم!!

وللسّيد مؤلفات كثيرة تفوق المائة، وهناك مسودات عديدة، منها ما كتب عن طريق تلاميذه، وبعضها دراسات عنه تنتظر التّصحيح منه للنّشر!!

وهو لا يحب البحث عن طريق الجهاز، وإنّما البحث في الكتاب مباشرة، وذكر أنّه له تلميذ يطلبه متى يشاء للبحث الالكترونيّ!!

وهو أيضا لا يحبّ السّفر، حتى مشهد لم يزرها منذ سنوات حسب ما ذكر إن لم تخني الذّاكرة!!!

وعند التّوديع قال له الأستاذ كمال ممازحا: أين الشّاي؟!! قال أنا هنا أسكن بمفردي، وفقط كما ترى على البحث والكتب، ولا يوجد هنا من يطبخ لي!!

وفي الختام اعتذرنا له عن إطالة الوقت، ولأنّه ارتبطنا بموعد للعشاء مع الشّيخ حيدر حب الله، وطلب مني التّواصل عن طريق الهاتف، وطلب بعض المراجع الإباضيّة المهمة، فودعناه لضيق الوقت ولارتباطنا....

زيارة الشّيخ حيدر حب الله

بعد الانتهاء من زيارة سماحة السّيد كمال الحيدريّ ذهبنا مباشرة إلى الموعد المسبق مع الشّيخ المفكر الإسلاميّ المعروف حيدر حبّ الله، وحيدر حبّ الله أصله لبنانيّ يعيش في قم، ويدرس في مركز العروة الوثقى، وهو رئيس تحرير مجلة نصوص معاصرة، والاجتهاد والتّجديد، والمجلتان من أهدافهما التّقارب

ملف قاض.indd 82 1/26/2019 9:24:16 AM

بين المدارس الإسلاميّة، لذا فيها لجنة استشاريّة من السّنة ومن الإباضيّة أيضا، فمن السنّة المفكر الإسلاميّ المصريّ الدّكتور محمد سليم العوا [معاصر]، ومن الإباضيّة المفكر العمانيّ الشّيخ خميس العدويّ [معاصر].

ولحيدر حبّ الله إصدارات عديدة منها التّعدديّة الدّينيّة، نظرة في المذهب البلورالي، وكتاب نظريّة السّنة في الفكر الإماميّ الشّيعيّ، التّكون والصّيرورة، وآخر كتبه حجيّة الحديث، ويكتب حاليا عن أحاديث الأحاد، لذا طلب كتاب السّيف الحادّ لمن أخذ بأحاديث الأحاد في الاعتقاد للعلامة سعيد بن مبروك القنوبيّ [معاصر]، وتكفل الأستاذ كمال اللّواتيّ بتصويره وإرساله؛ لأنّه نفد من المكتبات، وفي معرض الكتاب الحاليّ نشرت له الجمعيّة العمانيّة للكتّاب والأدباء بالتّنسيق مع دار الغشام بحث أوجه التّعصب في المجتمع العربيّ العلمانيّ والمذهبيّ أنموذجا، ضمن كتاب التّطرف الفكريّ ومدى تأثيره في المجتمع العربيّ، إعداد وتحرير الأستاذ الجليل خميس بن راشد العدويّ، ولي شخصيّا في الكتاب بحث فكرنا الإسلاميّ والقيم الإنسانيّة، وهذه الأبحاث مقدّمة لمؤتمر التّطرف الفكريّ بجمعيّة الكتّاب والأدباء، سلطنة عمان/ مسقط من 7/ 12 وحتى 7/ 12/ 2015م، ولم يتمكن حيدر حبّ الله من الحضور؛ وقد سألناه عن السّبب، فأجاب أخبرت بموعد النّدوة قبل أربعة أيام والتّأشيرة هنا يحتاج لها فترة، وليس من السّهولة أخذها في هذه الفترة، وذلك لأنّ الجمعيّة حصلت على الموافقة على المؤتمر بعد فترة قصيرة، عموما ورقة حيدر حبّ الله قرئت في المؤتمر، وهو أتى إلى عمان مرتين، ومعجب كثيرا بالتّعايش في السّلطنة.

وحيدر حبّ الله قامة علميّة وفكريّة في الوقت معا، فهو باحث وكاتب أيضا، ويسمع للآخر، مع قمّة التّواضع، والابتسامة لا تفارقه حتى عند سماعه للآخر أو حديثه.

وصلنا إليه تقريبا في تمام السّاعة الثّامنة مساء، وهو يعيش في بيت

ملف عاض.indd 83 1/26/2019 9:24:16 AM

متواضع جدا، ومجلسه أيضا في سرداب، وفي السّرداب مكتبه ومكتبته، وفيه دورة المياه ومطبخ مفتوح للسّرداب.

استقبلنا بتواضع وسألنا عن بلادنا ورحبّ بنا، ثمّ بدأ الحديث عن السّيد كمال الحيدريّ، وخاصة عن المصاديق وارتباطها بالزّمان والمكان، وحيدر حبّ الله يرحب بأيّ رأي واجتهاد، وأن يسمع له، ويعطى الحريّة؛ لأنّ الأفكار تتدافع، والمنهج العلميّ والنّقديّ هو الّذي نحتاج إليه حاليا وليس المنع والصّريخ والإقصاء.

وتحدثنا في مجلسه عن الرّواية بالمعنى، ويقول جملة الرّوايات مروية بالمعنى، لذا لابدّ من البحث عن طرق الرّواية ومداراتها؛ لأنّ الرّواية من طريق واحد معرضة للتّحريف أمّا زيادة أو نقصانا.

وهو يرى أنّ الرّواية لابدّ أن تكون مشتركة بين المدارس الإسلاميّة، وحسب علمي له مشروع في هذا، في تجميع الرّواية حسب المذاهب الإسلاميّة.

وهنا تحدثنا عن الإباضيّة والرّواية عندهم، وهو مطلع على مسند الرّبيع، إلا أنني أخبرته أنّ الإباضيّة في الأصل المذهب عندهم يقوم على العمل، وممكن اعتبار مدونة أبي غانم الخرسانيّ [ت 200هـ] أقدم مصدر في هذا؛ لأنّها وثقت العمل في القرن الأول الهجريّ وبدايات القرن الثّانيّ خصوصا عن طريق التّدوين المبكر، ممّا يعطيها قيمة علميّة كبرى.

ورأيتُ في مكتبته كتاب السّنة الوحي والحكمة للأساتذة خميس العدويّ وزكريا المحرميّ [معاصر] وخالد الوهيبيّ [معاصر].

ثمّ دخلنا في موضوع الصّحابة عند الإباضيّة، وقضيّة البراءة من الإمام عليّ [ت 40هـ]، وهنا أسلفت له أنّ الإباضيّة مع حدة الأوائل إلا أنّ القضيّة كانت سياسيّة في الأصل، ورواية الإباضيّة في قضية النّهروان وحروراء غير عن رواية الشّيعة والسّنة، فرواياتهم تفيد أنّهم لم يخرجوا على الإمام عليّ،

ملف عاض.indd 84 1/26/2019 9:24:17 AM

وإنّما خرجوا عن الإمام عليّ، ومع هذا تجاوزوا إلى قضيّة الوقوف وفق قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولا﴾[الإسراء/ 36]. والإباضيّة يجلّون الإمام عليّ، ويتبركون بتسمية أولادهم به، ولا تجد أسرة في عمان من الإباضيّة وغيرهم إلا واسم عليّ حاضرا بينهم في النّسب أو العائلة، والعديد من مسائل فقههم ومروياتهم عنه رضي الله عنه.

وسألني هل توجد كتب في هذا، فأخبرته أفضل من كتب في هذا الشّيخ بيوض [تـ 1980م] رحمه الله تعالى، وأخبرته سأرسل له، وهي في الأصل محاضرات مدونة له من قبل تلاميذه، وذهبت إلى مكتبة التّراث بالمعرض ولقيت الشّيخ الأديب ناصر بو حجام [معاصر]، وأخبرني أنّ الكتاب نفد، وفي نيتهم إعادة طباعته، وعندي نسخة قديمة، سأقوم بتصويره وإرساله بإذن الله تعالى، كما لسماحة الشّيخ أحمد الخليليّ [معاصر] محاضرة في هذا بعنوان رأي الإباضيّة في عثمان [ت 35هـ] وعليّ.

وعموما المسألة عندنا تجاوزها الزّمن، والصّفحة الماضيّة أصبحت أشبه بالتّراث، ومع هذا يجب نقده، وأخبرته بمقالي: قصاصات الكتب الصّفراء، ووجدت الشّيخ مطلعا على العديد ممّا أكتبه، ومنه مقالي الأخير ألوهية المذهب[1].

وأثناء العشاء سألنا الأستاذ عن رأيه في نظام الدّولة، فهو يرى أنّ الدّولة لابدّ أن تكون دولة الإنسان، لا المذاهب والأيدلوجيات، وهذه الرّؤية قريبة من رؤية السّيد محمد حسين فضل الله [ت 2007م] رحمه الله تعالى، ودولة الإنسان لا تتعارض أو تتخاصم مع الدّين، وفي الوقت نفسه دولة مدنيّة تفتح الآفاق للجميع، وتراعي القيود الاجتماعيّة، وهوية المجتمعات.

(1) أضيف هذان المقالان إلى كتابي فقه التّطرف، طبع الجمعيّة العمانيّة للكتّاب والأدباء، ودار مسعى/ لبنان، 2018م.

ملف عاض.indd 85 1/26/2019 9:24:17 AM

ويقول المشكلة عندنا لا توجد دولة إسلاميّة؛ بل دولة مذاهب، فالدّولة المذهبيّة هي السّائدة عندنا، ومع هذا أيّ خطأ يتهم به الإسلام، ممّا شكل مع تردي الخطاب الدّينيّ ردّة نفسيّة في نفوس الشّباب، ممّا جرّ العديد إلى الإلحاد، والإلحاد في أغلبه سببه نفسيّ أكثر منه علميّا.

وهنا تطرق الأستاذ إلى بعض القضايا العلميّة كقضيّة خلق الإنسان، وأنّه ليس ضد النّظريات العلميّة المعاصرة كنظريّة دارون [ت 1882م].

ويرى أنّ النّاس في الغرب يعانون من خواء روحيّ، ويرى أنّ الأغلب يتجه إلى الهندوسيّة وممارسة اليوجا؛ لأنّه يبحث عن بديل روحيّ دون إلزامات كثيرة. ويرى أنّ الاختلاف سنّة طبيعيّة، والقرآن أقره، ولابدّ من نقد المذهب والذّات، وله آراء في العصمة، ولم يكن سلبيّا مع أطروحات أحمد الكاتب [معاصر]، ويثني على كتابه الأول تطور الفكر الشّيعيّ من الشّورى إلى ولاية الفقيه.

ويرى أنّ المرجعيّات عند الشّيعة فكرتها متأخرة، بدأت بعد الدّولة الصّفويّة، وذلك أنّ الدّولة الصّفويّة كانت في الأصل دولة سنيّة ثمّ تبنت الإماميّة، وتعصبت للمذهب الإماميّ، ومارست العنف ضد المخالفين كالسّنة، وهنا وضعوا وظيفة شيخ الإسلام، أو قاضي القضاة، ثمّ بعدها كانت نظام المرجعيات، وهو ينقد نظام المرجعيات، وبين بعض السّلبيات.

ويرى أنّ المرجعيّة الأولى والأخيرة للقرآن، ويجب أن ترجع إليه الرّوايات والفتاوى لا العكس، وهنا أخبرته أنّ العديد من روايات الشّيعة موجودة عند المذاهب الأخرى إمّا إسنادا إلى الرّسول أو الصّحابة أو التّابعين، وضربت له مثلا ما ذكرته في بحثي زكاة الفطر قراءة في المذاهب الثّمانيّة، وقال يشتركون في نفس الرّواية أو بألفاظ قريبة مالا يقل عن خمسين بالمائة، والسّنة يرون أنّ الشّيعة أخذوا مروياتهم ونسبوها إلى أئمتهم، والشّيعة يرون العكس أنّهم أخذوها ونسبوها إليهم وفق منهجهم الرّوائيّ!!!

ملحق عاض.indd 86 1/26/2019 9:24:17 AM

وعليه يرى أنّ المشترك بين الجميع هو القرآن، فهو يعطي المنطلقات العامّة، ويرى أن آية: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الحشر/ 7]، لا تفيد حجيّة السّنة؛ لأنّها في سياق توزيع الفيء!!!

وله رسالة في الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر، وأتصور رسالة الدّكتوراه الثّانيّة له، بعد رسالته الأولى في جامعة المصطفى عن حجيّة السّنة، والثّانيّة أتصور في جامعة الأديان.

ويرى أنّه لا يوجد شيء اسمه الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر باليد، وإنّما يكون عن طريق البلاغ كما في القرآن، إلا إذا كانت عليه عقوبة منصوصة، وإلا فالأمر يرجع إلى رأي الأغلبيّة.

وفي مجلته الاجتهاد والتّجديد العدد قبل الماضيّ كانت له مقدمة عن الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر، كما لأستاذنا أحمد النّوفليّ [معاصر] كتاب نفيس عن هذا طبع منذ فترة.

عموما تناولنا وجبة العشاء مع الأستاذ، وكانت وجبة خفيفة، تضمنت البيض والفطائر بالزّعتر والجبن والدّجاج، مع الشّاي واللّبن والسّلطة، وقد عقد أيضا مع الأخوة أنّ الغداء يوم الجمعة معه، وهنا خرجنا السّاعة الحادية عشرة، وطلب لنا سيارة، فأتت بسرعة، فرجعنا الفندق بعد يوم كثيف باللّقاءات، ومع هذا مشينا لمدة نصف ساعة قبل النّوم.

وفي السّاعة الثّانية عشر ظهرا يوم الجمعة ذهبنا إليه مرة أخرى، وفي قم لا تقام الجمعة إلا في مسجد واحد، يقوم بها من ينوب عن السّيد القائد الخامنائيّ.

وصلنا إلى الأستاذ حيدر وكان ينتظرنا، فنزلنا إلى السّرداب، وقدّم لنا الشّاي والحلويات، ثمّ توضأنا، وأمرني أن أصلي بهم، فقلت له: لا يؤم المرء

ملف عاض.indd 87 1/26/2019 9:24:17 AM

في سلطانه، فصلى بنا صلاة خاشعة الظّهر أربعا والعصر أربعا، ويدعون بينهما وبعدهما.

وهنا لحقنا السّيد عباس وهو لبنانيّ في العشرينيات من عمره، من مؤسسة الثّقلين، وهذا سنتحدث عنها بعد قليل. والأستاذ عباس قدّم رؤيته الجديدة كمذكرة للمركز، وكما قدّم أيضا مشروعه كدورات في تطوير المنبر الحسينيّ.

عموما جاء الغداء وكان منوعا بالمشاوي بأنواعها لحما وسمكا ودجاجا، والسّلطات والعصائر، ثمّ كان الشّاي، ويطبخونه بآلة عجيبة وهي عبارة اسطوانة معدنيّة على شكل مخروط كبير في الوسط وضيّق في الجانبين، وفي الأعلى اسطوانة أصغر، في الأكبر يكون الماء، وفي الأعلى الشّاي، وذلك لكي يقيس المرء الشّاي على راحته، ويتركونه يتخمر فترة طويلة، وله لذة عجيبة، ويقول الأستاذ إنّ هذه الآلة معه من عام 1995م، ولا زالت باقية، وهي تعمل عن طريق الكهرباء.

استمرت الجلسة حتى الرّابعة عصرا، وكانت مليئة بالنّقاش، وما ذكرته من باب الإشارة لا غير، وبعدها ذهبت مع السيّد عباس إلى مركز العروة الوثقى، بينما اعتذر الأستاذ كمال وأبو عمار لارتباط خاص بهما.

زيارة مؤسسة الثّقلين ومعرض قم للكتاب

بعد تناول وجبة الغداء مع الأستاذ والمفكر الإسلاميّ حيدر حب الله ذهبت مع السّيد عباس، وهو رجل متواضع جدا، وفي العشرينيّات من عمره، أصله من لبنان، ودرس في قم، والآن يعيش ويعمل بها، كما أنّه يواصل دراسته أيضا.

ذهبت معه إلى مؤسسة الثّقلين، وهي مؤسسة مجاورة لمنزل الإمام الخمينيّ [ت 1989م] في قم، والّذي أصبح الآن مزارا، والعجيب في إيران بيوت علمائهم وكبارهم متواضعة جدا، والإمام الخمينيّ كان بإمكانه أن

ملف عباس.indd 88 1/26/2019 9:24:17 AM

يجعل من قصور الشّاة قصورا له، ولمّا طلب منه أن يُبنى له بيتٌ أكبر؛ رفض، ومات وبيته لا يزيد عن غرفتين!!!

وسابقا قرأنا من خصومهم أنّهم أغنياء بأموال الخمس؛ ولكني وجدت من جالستهم حالتهم ليس جيدة، والخمس يذهب إلى المكاتب، ولها وثائق، ويتمّ صرفها بشكل مؤسسيّ، ولا يحق للمرجعيّة التّلاعب بها!!!

ومن هذه الكتب المحرفة للأسف كتاب: لله ثمّ للتّأريخ، وهو كتاب وضعه خصومهم، ولا يعني عدم وجود أخطاء، ولكن الأخطاء موجودة في جميع الأديان والمذاهب من خلال استغلال الدّين لمصالح شخصيّة كما أخبر سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [التّوبة/ 34]، وهذا لا يعني أيضا عدم وجود ربانيين ومخلصين في كلّ مذهب ودين وملّة!!

وصلنا إلى مؤسسة الثّقلين، وهي أصلها بيت قديم جدا، يحوي على قاعة كبيرة مفتوحة في الوسط، وعلى جوانبها أربع غرف صغيرة، غرفة وضعت للإدارة وفي الوقت نفسه تكون صفا.

أمّا القاعة الكبرى المفتوحة فقد سكرت في الأعلى، ووضعت للمحاضرات والدّورات العامة، خاصة الأستاذ حيدر حبّ الله، كما وضع فيها ركن للمكتبة، وتضمّ كتبا عديدة باللّغة العربيّة؛ لأنّ المؤسسة أو المركز يدرس فيه باللّغة العربيّة، إلا أنّه لاحظت وأنا أقلب الكتب أنّها تخلو من الكتب الفكريّة والنّقديّة، وطالب العلم بحاجة أن يطلع عليها، خاصة في مؤسسة أرادت أن تكون حاضنة للفكر المتنور والمعاصر.

وأضيف في المؤسسة حصة أسبوعيّة للرّياضة، يمارس فيها الطّلاب الرّياضة كعلم يدرس، وليس مجرد هواية، ويدرس فيها مجموعة من الأكاديميين والباحثين، وهدفها كما أسلفت نشر التّنوير والبحث العلمي، ولا تخلو من معارضة، لكنها تشق طريقها بكل أمل وتفاؤل.

ةءاضبا ملق.indd 89 1/26/2019 9:24:17 AM

عموما بعدها ذهبت إلى النّزل وأخذت قيلولة صغيرة، وبقي لي شيئا من الوقت، حيث أنّ سماحة الشّيخ نجف الميرزائيّ عنده ضيف من المملكة المغربيّة، ويريد أن نشاركه العشاء، وقد نسّق موعدا مع الأستاذ كمال اللّواتيّ، فما بقي من لوقت ذهبتُ فيه لزيارة المعرض، وكان في يومه قبل الأخير.

والمعرض مقابل للفندق الّذي أقمنا فيه، وهو عبارة عن مجمع كبير من أربع طوابق، وغالب مبيعاته بالفارسيّة، ولكن توجد كتب كثيرة بالعربيّة، ومكتبات متخصصة للعربيّة، ومنها المترجم من الفارسيّ إلى العربيّ.

وأخبرنا العلامة الميرزائيّ أنّ في إيران يترجم إلى الفارسيّة سنويا مالا يقل عن ألفين كتابا، ومن الثّورة حتى الآن ترجم بمعدل مليونين كتابا.

وسألت الأستاذ حيدر حبّ الله هل الرّوايات الأدبيّة لها أقبال في إيران، قال نعم وبقوة، خاصة بين الشّباب، ولكن بالفارسيّة.

ذهبتُ إلى مكتبة، والمكتبات عندهم في المعرض معدة سابقا مفتوحة من الجانبين في الوسط، وأنا أقلب كتبها فاجئني صاحبها يحدثني بالعربيّة، قلتُ من أين: قال من العراق، وهنا اشتريت عنده كتاب الشّهيد الثّانيّ محمد صادق الصّدر [ت 1999م] من خلال لسان تلميذه اليعقوبيّ [معاصر]، وأخبرني عندهم تخفيض لكلّ كتاب عشرين بالمائة، وعليه قال لي قيمة الكتاب كذا، وبعد التّخفيض قيمته كذا، ثمّ قال لي اذهب بالفاتورة عندما تنتهي إلى إدارة المعرض، وحسب ما فهمت منه أجد تخفيضا أكبر، كذا فهمت، ثمّ أخذنا الحديث عن عمان، وكان يحب عمان كثيرا!!!

ذهبتُ إلى مكتبة أخرى ووجدت فيها كتبا فلسفيّة إيرانيّة مترجمة إلى العربيّة، وعندهم مجلات فلسفية باللّغة العربيّة ولكن للأسف لا تصلنا!!

وهنا جاءني شاب في بداية العشرين، وظلّ يترجم له، فتصورته يعمل هنا، فأخذت مجموعة، ولما أردت محاسبته قال أنا لا أعمل هنا، ولكن وجدتك لا

ملف عاض.indd 90 1/26/2019 9:24:17 AM

تعرف الفارسيّة وأردت خدمتك، قلت له من أين: قال أنا من البحرين أدرس في قم، وهنا انتظر زميلي، والمشكلة الّتي واجهتها أنني لا أملك عملتهم الرّيال حينها لأنني صرفت ما عندي، ويسمون الرّيال الخمينيّ، وعندي دولارات، لكن صاحب المكتبة رفض أخذ الدّولارات!! وسألتهم عن أقرب صراف، قالوا: عند الحرم، أي مزار فاطمة المعصومة.

كذلك وجدت مكتبة متخصصة لكتب السّيد كمال الحيدريّ، واشتريت الكتابين الأولين في مشروعه محوريّة القرآن سبق الإشارة إليهما، كذلك توجد كتب متخصصة للقرآن والأدعية في طبعات أنيقة!!

والمعرض ليس صغيرا، ومزدحما بالزّوار، وهنا أنهيتُ زيارتي له لضيق الوقت، ولقرب موعد العشاء مع الميرزائيّ...

جلسة حواريّة على مائدة العشاء عند العلّامة الميرزائيّ

لما رجعتُ من المعرض جاءنا الأخوة وقالوا صاحب الأجرة ينتظرنا في الأسفل، نزلتُ وكان في الأسفل أبو عمار وأبو يوسف كمال اللّواتيّ.

أخذنا صاحب الأجرة إلى مكان في السّوق، وهناك لحق بنا سماحة الشّيخ الميرزائيّ بسيارته، وكان معه الأستاذ والمفكر المغربيّ إدريس هاني، وقد شارك في مؤتمر القدس في طهران، والّذي شارك فيه أكثر من سبعين وفدا من العالم، وقد قرأتُ في جريدة الوفاق الإيرانيّة النّاطقة باللّغة العربيّة عن مشاركة الوفد العمانيّ في المؤتمر برئاسة الشّيخ خالد بن هلال المعوليّ رئيس مجلس الشّورى، وذكرت شيئا من كلامه، والمؤتمر ذاته تحت رعاية السّيد آية الله الخامنائيّ، وحضره الرّئيس روحانيّ رئيس الجمهوريّة الإيرانيّة.

ورأيت الجريدة كثيرا ما تذكر عن الشّأن العمانيّ، وخاصة عن زيارة روحانيّ لعمان، وزيارة أمير الكويت للسّلطنة أيضا، وعن معرض الكتاب في مسقط، ومقالات مخصصة عن السّلطنة، رغم قلة عدد أوراق الجريدة!!

ملف عاض.indd 91 1/26/2019 9:24:17 AM

نزلنا من سيارة الأجرة وذهبنا مع الميرزائيّ في سيارته، وهنا ذهب بنا سماحته إلى مطعم في قمة الجمال والنّظافة، وكان الجو باردا جدا، إلا أنّ القاعة الكبرى مغلقة ببلاستيك أو زجاج شفاف، كأنّك تعيش في حديقة المطعم، ويوجد فيها آلات التّسخين عن طريق الغاز، لذا لا تشعر بالبرد.

وفي الجلسة لحق بنا الأستاذان أحمد راحدار، وحبيب الله بابائيّ، والأخير كان قبل أسبوعين في السّلطنة.

والجلسة تضمنت جوانب عديدة، وناقشنا لمدة ساعتين محاور متعددة، لما يمر به العالم الإسلاميّ اليوم من تحديات يجب على الجميع الوقوف يدا واحدة في ظلّ دعوات العنف والكراهيّة، مع مراجعة الذّات.

وفي آخر الجلسة طرحت ما يشاع في إيران في قضيّة زواج المتعة، وأنّه العهر الخفيّ باسم الدّين، فبين الميرزائيّ أنّ ما يشاع ليس صحيحا، والهدف منه التّشويه أكثر منه ذكر الحقيقة.

فزواج المتعة لا يحصل هكذا، فلابدّ من عقد وشهود ومحكمة، وفسخه لابدّ من عدة، وهو لا يختلف عن الزّواج الدّائم إلا في الميراث، فلا يرث أحد الزّوجين الآخر في الزّواج المؤقت، والولد ينسب إلى الأب تماما كالدّائم، وللمرأة حقوقها الكاملة.

على أنّه العادة لا يتقبل هذا في العرف العام إلا عند المرأة المطلقة أو الأرملة، وبعض الشباب يتزوجون في البداية زواجا مؤقتا ليتعرفون على بعضهم، دون ممارسة الجنس، ثمّ يحولونه إلى دائم، ولا يكون في الأمرين إلا في المحكمة وشهود وإشهار!!

وقال زواج المتعة هو إسقاط حق الدّيمومة، وهذا ما أجازه بعض الفقهاء من غير الشّيعة كزواج المسفار، أو إسقاط حق السّكنى كزواج المسيار!!

ملف عباض.indd 92 1/26/2019 9:24:17 AM

ثمّ عندهم جرى العرف والقانون أنّه من حق المرأة اشتراط أن لا يتزوج عليها زوجها لا مؤقتا ولا دائما!!!

ولا يمكن بحال في الفنادق أو الشّقق أن يدخل رجل مع امرأة في غرفة واحدة إلا بأوراق عرفيّة وقانونيّة تثبت الزّواج، وهذا ما وجدته في تونس العام المنصرم، وكذا في الجزائر كما أخبرني بعض الأخوة الجزائريين.

وفي الجلسة تناولنا العشاء فالمشاوي بأنواعها والمشروبات الطّازجة والحلويات واللّبن والشّاي، والسّكر عندهم في أنواع متعددة وبألوان مختلفة، منه على شكل مكعبات، ومنه مجمد في خشبة صغيرة كخشبة الأيسكريم عندنا، ومنه كالّذي عندنا السّكر المطحون.

وفي نهاية اللّقاء ودعنا الأستاذين أحمد راحدار وحبيب الله بابائيّ، وفي الطّريق ذكر أحد الأخوة لمقطع جديد لشيخ شيعيّ كبير في السّن يُسيء إلى الشّيخين أبي بكر [ت 13هـ] وعمر [ت 23هـ]، وهنا غضب الميرزائيّ، وقال هؤلاء مشكلة عندنا، يشوهون ويزيدون في الفجوة بين المسلمين، علما في إيران القانون يجرم اللّعن والإساءة إلى رموز المسلمين وغيرهم.

وفي الطّريق سألته عن الطّرق في قم وصعوبة السّياقة فيها، وقال هذه مشكلة تحيرني كثيرا، فالمناطق الّتي يغلب فيها التّيارات العلمانيّة أكثر نظاما ونظافة وتقيدا بقوانين الطّرق، بخلاف الأماكن الدّينيّة والمقدّسة، مع أنّ الإسلام يأمر بذلك، إلا أنّك تجد في الواقع العكس، ممّا يتطلب علينا مراجعة أدبياتنا والخطاب الدّينيّ عندنا. وصلنا النّزل، وودعنا سماحته والأستاذ هادي، واكتشفنا أنّ الأستاذ هادي يسكن عندنا في نفس الفندق.

وهذه اللّيلة لم نمارس رياضة المشي لرجوعنا متأخرين، ولأنّ الأستاذ أبا عمار طائرته فجرا، فلابدّ أن يخرج من قم الواحدة والنّصف، ولم يبق له إلا الوقت القليل.

إلى قاعة.indd 93 1/26/2019 9:24:17 AM

هنا أخذنا قسطا من الرّاحة، والأصل أنّ السّيد عباس يريدنا أن نتناول الفطور في بيته، فجاءني الأستاذ أبو يوسف كمال، فأخبرته الأفضل نعتذر له؛ لأنّه لا طاقة لنا من الأكل وجنوده، وهنا أعتذر له أبو يوسف، ومع هذا رافقنا صباح اليوم في السّوق لشراء بعض المكسرات....

التّسوق والرّجوع إلى الوطن

كما أسلفتُ أنّ أبا عمار سبقنا بالرّجوع إلى الوطن لارتباط عائليّ، فقد خرج من قم السّاعة الواحدة والنّصف ليلا؛ لأنّ طائرته فجرا.

بعد الفطور وقراءة الجريدة قمتُ أكتب بعض المذكرات، وهنا اتصل بي كمال أنّ السّيد عباس موجود وسيفطر في المطعم؛ لأنّ الأصل نفطر معه في بيته فاعتذرت لهم، فقرر السّيد كمال أن يفطر معنا في الفندق، ولكن سبقتهم إلى الفطور لتعودي أفطر مبكرا.

ثمّ نزلت بعد فترة ووجدت الأستاذين السّيد عباس وكمال في الأسفل، وقد وفر لنا السّيد عباس سيارة!!

ذهبنا إلى سوق المكسرات بالجملة، وهو سوق كبير، يبيع مختلف أنواع المكسرات من فستق وجوز وغيرها بالجملة، ويبيع أيضا بالكيلو، وهي طازجة، يقومون بتنظيفها وفرزها في أكياس كبيرة.

ويقولون هذه الآن واصلة وهي طازجة، وفعلا عندما تتذوقها تجد لذة ليست كالّتي عندنا، ويبيعون الزّبيب، وله جمال كبير في تذوقه وأكله.

والمكسرات عندهم ليست غالية في الجملة ولا بالتجزئة، والتّاجر لو اشترى من عندهم وباعه في الخليج لاستفاد كثيرا، خاصة أنّ الخليج قريب من إيران، وممكن شحنه عن طريق البحر!!

أمّا الزّعفران فيبيعونه بثمن مرتفع، ولكن مقارنة بسعرنا يظلّ منخفضا، وعموما على شدة الحصار على إيران إلا أنّك تجد الحياة طبيعية،

ملف عاض.indd 94 1/26/2019 9:24:17 AM

والنّاس معتمدون على أنفسهم، والكلّ يعمل صغيرا وكبيرا، ولا تجد -كما أسلفنا- متسولا يمدّ يده، وبأنّهم معتزون بأنفسهم، وهذا لا يعني عدم وجود معارض لسياسة النّظام الحاليّ، ومع هذا تجد الجميع متكيفا مع الوضع!!

ومع هذا هناك من المشاريع موقفة لسنوات، كتكملة مشروع القطار، حيث أنّ صوت القطار يؤذي النّاس لكبر المدينة واتساعها يوما بعد يوم، فأرادوا إخراجه بعيدا عن المباني، وكذا بعض الجسور، حيث يعملون ببطئ؛ لأنّهم يقدّمون حاجات النّاس الضّروريّة، ولكي يستمر التّوازن الاقتصاديّ في المجتمع!!

بعدها ذهبنا إلى حلويات إيران، والّتي تسمى بسوهان، وهم يصنعونها بأنواع مختلفة، وأشكال متنوعة، وليست بغالية، واشترينا مجموعة منها!!

ثمّ ذهبنا إلى محلات بيع الكعك والأخباز، فهم يصنعون الخبز على أشكال عجيبة، وكذلك الكعك والمعجنات!!

وأخيرا رجعنا إلى الفندق لنستعد لصلاتي الظّهر والعصر جمعا، ثمّ النّزول الواحدة والنّصف، فنزلنا قبل الموعد، ووجدنا السّائق الّذي أعدّه الأستاذ حب الله ينتظرنا، وهو في قمة الخلق!!

وفي الطّريق ألقينا النّظرة الوداعية على قم لعلنا نعود إليها، ورأينا تحدي الحياة، والفرق بين زيارتي لقم 2008 والآن فرق كبير جدا، فالعمران في تزايد، والطّرق تتوسع، والمدينة تمتد بصورة أكبر.

والعمارة في قم تصميم عربي خلاف مناطق بعض الشّمال، ولما تعيش في قم أو طهران أو أصفهان فكأنّك تعيش في مدينة عربيّة!!

والطّريق بين قم وطهران يمر في صحراء، وهو طريق سريع من ثلاث حارات، ويأخذون للسّياقة فيه مبلغا بسيطا، وللشّاحنات طريقها الخاص.

إلى قاعة المطار.indd 95 1/26/2019 9:24:17 AM

وفي الطّريق مررنا على بحيرة مالحة جدا، وأخبرونا أنّ الشّاة كان يرمي بعض المعارضين في هذه البحيرة من الأعلى ليموتوا فيها!!

وصلنا المطار تقريبا قرب الثّالثة عصرا، وهنا كان المكان فاضيا، وبسهولة وجدنا الطيّران العمانيّ فارغا، ووجدنا في المكان نفسه الدّكتور محسن اللّواتيّ، أحد المتخصصين في جانب الجراثيم والميكروبات سابقا بالمستشفى السّلطانيّ، ومعه زوجته وأمّه، والرّجل في قمة الخلق والتّواضع.

ذهبنا إلى قاعة الانتظار، ووجدته في تصميمه داخليا يشبه مطار ميونخ في ألمانيا، فأخذنا وجبة سريعة، ثمّ ذهبنا نتمشى في السّوق الحرة.

وبعدها جلسا في الكراسيّ، وفجأة امتلأت بالنّاس، فإذا بنساء كبيرات في السّن، فلعلهن أتين للزّيارة، والعديد يذهب إلى مشهد لأنّ فيه مزار الإمام علي بن موسى الرّضا [ت 203 هـ]، الإمام الثّامن عند الشّيعة الإماميّة، ومشهد ثاني أكبر مدينة بعد طهران في إيران!!

المهم أنّ النّسوة لم يجدن مكانا في هذه القاعة، فهنا طلبت من الأستاذ كمال أن نترك المكان لهن، ولما طلبن منهن رفضن في البداية، ولكننا قمنا، والطّريف كنت أحمل كيسا فلمّا حملتها في الأعلى تمزق الماسك، فتعوذن من الحسد، وأتين بجملة معناها الله يصرف عنك عين الحسد....

هنا ذهبنا إلى قريب دخول قاعات الطّيران، وكانت البوابات 11 و12 و13 معا، وحينها كان طيران دبي والطيّران العمانيّ في هذه القاعات، دخلنا القاعات وكانت كبيرة جدا، ومزودة أيضا بالحمامات والمقاهي ومصلى وكراسي كثيرة، والجميل في مطار طهران وغيرها الخراطيم المتصلة بالطّائرة، وهي أسهل من الحافلات النّاقلة إلى الطّائرة!!

وكانت الطّائرة أكثر ازدحاما، وكان العديد من لبنان، وهم غالبهم من الرّحلات المحولة، فمن طهران لمسقط إلى بيروت، ويوجد بعض العمانيين

ملف عاض.indd 96 1/26/2019 9:24:18 AM

والهنود وشرق آسيا والإيرانيين!! وعلى ذكر شرق آسيا وجدت بعض النّاس في قم عيونهم صغيرة، فتصورت يعملون هنا، فقالوا لي هؤلاء إيرانيون، حيث إيران ممتدة إلى أفغانستان وأذربيجان وأرمينيا وتركيا والعراق وباكستان وتركمنستان، لذا تجد العديد من الأعراق يجمعهم اللّون الأبيض في الجملة!!

أقلعت الطّائرة الخامسة والثّلث عصرا، ووصلنا مطار مسقط الثّامنة مساء، وأنهينا الإجراءات، وتناولنا الحقائب، فأردت توديع الأستاذ كمال لأنّ أجرة المطار يسرت مع غلاء سعرها قليلا، فتوصلك أينما تريد دون تكليف لأحد، ومع هذا أصر الأستاذ كمال على توصيلي لأنّ ابنه ينتظرنا في الخارج.

وصلت البيت في الموالح الجنوبيّة السّاعة التّاسعة مساء، وهنا نصل إلى نهاية الرّحلة وصفا.

وقفة مصارحة

تحدثنا في هذه الرّحلة كجانب وصفي في الجملة، وكما رأينا الود الفطريّ بين النّاس، بعيدا عن منغصات السّياسية، وعداء المتعصبين من المذاهب.

هذا الأمر رأيته العام الماضي عندما زرتُ الحجاز والقصيم والرّياض، والتقيت ببعض شيوخ المملكة ممّن يحسبون على التّيار السّلفي؛ فرأيت النّاس على الفطرة، لا كما يصوره لنا المتمذهبون والمتعصبون للمذاهب!!!

إنّ مشكلة المتعصبين يصورون الآخر تصويرا سوداويّا، ويجعلون من الحبة قبة، فيحصرون الحق في ذواتهم، والنّجاة في دائرة مذهبهم، فمن وافقهم رفعوه ولو كان مخالفا لمنهجهم، ومن نقدهم جعلوه في أسفل سافلين!!

ومن الأسئلة الّتي وجهت إليّ في الجلسة الحواريّة في مؤسسة بيت المليّ ما علاقتكم بالمملكة العربيّة السّعوديّة؟ فأجبتهم علاقتنا بالمملكة علاقة

ملحق عاض.indd 97 1/26/2019 9:24:18 AM

إنسان مع أخيه الإنسان، فضلا عن العروبة والثّقافة والأخوة والدّين؛ بل بيننا رحم ومصاهرة، ليس وليد اليوم، فجدي أنا شخصيّا عاش في المملكة العربيّة السّعوديّة مالا يقل عن خمسة وأربعين عاما....

ثمّ قلت لهم: علاقتنا مع المملكة هي ذاتها علاقتنا مع إيران، فأنا لا أنظر إلى الإيرانيّ الشّيعيّ أو السّنيّ بقدر ما أنظر إلى الإيرانيّ الإنسان، وعلاقتنا بإيران أيضا علاقة أخوة ونسب وجوار!!!

إنّ مشكلتنا كما أسلفتُ مع التّعصب المذهبيّ الّذي يلغي الآخر، ثمّ مع تبعية السّياسة، وهنا لابدّ أن يتحرر عقل الإباضيّ والزّيديّ والسّنيّ السّلفيّ والأشعريّ والماتريديّ والشّيعيّ الإماميّ من السّياسة ومصالحها!!!

وهذا ليس لعالم الدّين فحسب؛ بل حتى على مستوى المفكر والمثقف بما يشمل كلّ الخطابات الدّينيّة والثّقافيّة والفكريّة وغيرها!!!

لقد قال العلامة ابن باز [تـ 1999م] -رحمه الله تعالى- كلاما جميلا عن السّادة الزّيديّة، وللأسف لما ساءت العلاقة مع اليمن ساء الكلام عن الزّيديّة!!

وأنت عندما تقرأ مصر في بداية القرن العشرين وترى التّناغم الكبير بين المفكر جمال الدّين الأفغانيّ [تـ 1897م] وهو محسوب على الأشهر بانتمائه الشّيعيّ الإماميّ وقد نادى بفكرة الوحدة، حيث تناغم مع الإمام محمد عبده [تـ 1905م] المحسوب على الانتماء السّنيّ المعتزليّ وقد نادى بفكرة التّقريب، وأخرجا مجلّة العروة الوثقى.

كذلك تناغم الإمام أبو إسحاق أطفيش الإباضيّ [تـ 1965م] مع محب الدّين الخطيب السّنيّ السّلفيّ [تـ 1969م]، والّذي أعان كلاهما الآخر، وقد شارك أطفيش في تحقيق كتاب تفسير القرطبيّ [ت 671هـ] وهو مالكيّ المذهب، كذلك محب الدّين الخطيب أعان أطفيش في مجلته الشّهيرة المنهاج!!!

أيضا تناغم العلامة السّنيّ الشّافعيّ محمود شلتوت [تـ 1963م] مع

ملف عاض.indd 98 1/26/2019 9:24:18 AM

العلامة الشّيعيّ الإماميّ محمد تقي القميّ [تـ 1990م]، وقد ناب الأخير عن آية الله السّيد حسين البروجرديّ [تـ 1961م] في الدّعوة إلى التّقريب بين المدارس الإسلاميّة، وفي عام 1949م أصدروا مجلة رسالة الإسلام حتى وقفت سنة 1972م بعد إصدار ستين عددا.

ولقد عاش سماحة الشّيخ طالب الرّفاعيّ الشّيعيّ الإماميّ والّذي يعيش الآن في أبو ظبيّ مع عشرات العلماء السّنة في مصر، وعلماء السّنة في مصر ساهموا بشكل كبير في نشر كتب الشّهيد الأول محمد باقر الصّدر [ت 1980م]، خاصة كتاب فلسفتنا، كما يشير بذلك الرّفاعي في أماليه الّتي دونها رشيد الخيون!!

كذلك تناغم أيضا العلامة الإباضيّ إبراهيم بن سعيد العبريّ تـ 1975م المفتي السّابق للسّلطنة مع العلامة السّنيّ السّلفي عبد العزيز بن باز ت 1999م المفتي السّابق للملكة السّعوديّة، والّذي قال الأول للثّاني في رسالة له: ونخبركم أنّ إخوانكم أهل عمان يقبلون على كتبكم كلّ الإقبال، ويقرؤونها وبراجعونها في مهمات المسائل، وهكذا ينبغي لكلّ من معشر المسلمين، ونسكت عما بيننا من خلاف في المسائل البسيطة، وإنّ الإسلام يجمعنا، والحق هدفنا، وجميع أعداء هذا الدّين القويم أعداؤنا، وعلينا جميعاً أن نجاهد عن كيانه، ونذود عن حياضه، والله معنا ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾[العنكبوت/ 69].

ولولا ضيق المقال لأتيت بعشرات الأمثلة للتّناغم بين المسلمين، فالجزيرة لم تعرف يوما هذا إباضيّ أو سنيّ أو شيعيّ، وكذا اليمن والعراق، فعاشوا بينهم في حب وسلام، حتى خربت المذهبيّة والسّياسة ما خربته، فضاع العرب، فما بقي لنا، فأين عراق العروبة، وأين يمن الحكمة، وأين شام الجمال والتّعدد الدّينيّ، وأين ليبيا وتونس والسّودان والصّومال، فما بقي إلا القليل، أم يريد السّياسيون والمتمذهبون القضاء على ما بقي!!

ملف عاض.indd 99 1/26/2019 9:24:18 AM

إنّ السّياسة لا يهمها إلا مصالحها، وإنّ أمريكا وإسرائيل لا يهمهم العرب ولا إيران ولا تركيا ولا غيرها، فبالأمس سقطت العراق، وإذا سقطت إيران سيسقط الخليج، وقد سبق أن سقطت فلسطين، ففوضى الشّرق أكبر مصلحة للعدو، وما تقوم به القنوات الطّائفيّة المتضرر منه المسلمون جميعا!!!

والمصالح السّياسية متقلبة، إلا أنّ الإنسان ذاته واحدة، فلطالما حلمنا أنّ أن نجد الإنسان العربيّ مكرما كغيره، وهكذا الإنسان الفارسيّ والتّركيّ وغيرهم!!

إننا نشعر بعزة عندما نسافر إلى دبيّ أو تركيا أو إيران أو ماليزيا أو أندونيسيا، ونرى الإسلام يعاصر الأمم، فنرجو ذلك قريبا ونحن نسافر إلى مصر والعراق واليمن وسورية وليبيا وتونس والسّودان والصّومال وغيرها، لنرى الإنسان العربيّ والمسلم يساهم في البناء لا في الهدم والإفساد في الأرض!!! وكذا الحال في باكستان وأفغانستان وغيرها!!!

ثمّ هناك مشكلتان مشكلة التّدخل السّياسيّ، ومشكلة التّبشير المذهبيّ، أمّا التّدخل السّياسيّ فينبغي أن يرفضه الجميع، من أيّ دولة كانت ولو وافقت المذهب والتّوجه!!

أمّا التّبشير المذهبيّ فلا أدري ما فائدته، أليس الجميع يوحد الله، ويؤمن بمحمد وبأنبياء الله، ويستقبلون قبلة واحدة، ويعملون الصّالحات، فلا معنى من التّبشير الشّيعيّ في مصر، ولا معنى من التّبشير السّني في الأماكن الشّيعيّة في إيران، لنترك النّاس على حالهم، فهذه نيجيريا كانت أمّة واحدة، فلما دخلها التّبشير المذهبيّ أصبحت أمما متناحرة!!!

ثمّ هذه الأموال والّتي تهدر في التّبشير هلا استثمرت في البناء والعمارة، وتحقيق كرامة الفقير واليتيم والمشردين في الأرض بسبب الحروب والأعاصير!!

ةءاضبإ_ملق.indd 100 1/26/2019 9:24:18 AM

من حق الإنسان أن يبلغ عن فكره؛ لكن أن تهدر الأموال في التّبشير لا معنى له!!!

ولهذا أرجو من الدّول الإسلاميّة والحوزات الدّينيّة تدريس جميع المذاهب في جامعاتها وكلياتها وحوزاتها لنفهم الآخر!!!

ولا بأس من نقد الذّات والغير نقدا علميا، ومجاوزة الماضي لنعيش في الحاضر!!!

ولابدّ من الخلطة والتّواصل، وهذا ما اقترحته للأخوة في قم، فليأت الجميع حتى السّلفيّة إلى قم لفهم الشّيعة، وهكذا في باقي بلدان المسلمين!!!

وأقول بصراحة أنا ضدّ التّدخل الإيرانيّ في الدّول الأخرى، ولكني لست ضد الإنسان الإيرانيّ، فلا أقطع علاقتي مع إيران سنة وشيعة وغيرهم لخلاف سياسيّ أو تعصب مذهبيّ، وصدق الله تعالى عندما قال: إنّما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم.

وختام هذه الرّحلة أوجه شكري لمن تواصل معي من العراق ومصر والشّام وبلاد المغرب وبريطانيا والخليج من المملكة والبحرين، حتى طلب بعضهم إخراجها في كتاب مستقل، ولكن ليس الآن وقته[1]، وطلبهم في تجميعها في ملف واحد سيكون الغد بإذن الله تعالى، والحمد لله رب العالمين.

(1) يسر الله والحمد له تجميعها وإضافتها إلى هذه السّلسلة الأولى من إضاءة قلم.

ملف قاعض.indd 101 1/26/2019 9:24:18 AM

الرّحلة الكويتيّة[1]

الغاية والذّهاب

بعد نجاح الرّحلة القميّة –أي إلى قم في إيران– في 21 فبراير 2017م[2] قررنا نقل التّجربة إلى منطقة أخرى لتحقيق مبدأ التّعايش بعيدا عن الجو الرّسميّ المليء بالمجاملات، ولتحقيق دائرة التّعايش والحوار من داخل الدّائرة الثّقافيّة ذاتها، وتواصلنا مع العديد من الأخوة في أكثر من جهة فجاء التّرحيب بالفكرة، وهنا وصلتنا دعوة كريمة من الأستاذ أبي عمار نبيل المسقطيّ من الكويت نيابة عن ديوانيّة تجمع الميثاق الوطنيّ.

والأستاذ أبو نبيل شاركنا في رحلة قم، وهو من الطّائفة الإماميّة، وصاحب خلق كبير جدا، كما أنّه صاحب نكتة ومزحة، لا يكف عن المزح في الطّريق والسّيارة والسّوق والمطعم، ويسعفه لذلك حفظه لحكايات وقصص كثيرة مضحكة، خاصة في مجالس المتدينين لخلطته بهم، وهو يقرب لسماحة العلامة كمال الحيدريّ، وبينهما رحم عن طريق أمّه، وأصله عمانيّ، إلا أنّه عاش بالكويت مع أهله وأبيه، ولا زال أكثر أرحامه بعمان، وسمى شركته باسم الكويت وعمان، وخاله الأستاذ كمال اللّواتيّ من عمان، والأخير

(1) الرّحلة الكويتيّة: تدوين لرحلتي إلى الكويت، من الثّلاثاء 8 مايو وحتى الجمعة 11 مايو 2018م.

(2) أدرجت في هذه الحلقة من سلسلة هذا الكتاب.

ملف عباض.indd 103 1/26/2019 9:24:18 AM

لا يقلّ عنه خلقا وكرما وجودا، والاثنان يحملان عقليّة منفتحة على الآخر، ولهما غاية في تحقيق التّعايش بين الجميع، والانفتاح على الحضارة والعلم والمعرفة، ولهما شهرة كبيرة عند العديد من الرّموز الدّينيّة الشّيعيّة في لبنان والعراق وإيران والكويت والقطيف والبحرين وعمان، ومن خلال خبرتي بهما وصحبتي معهما شهادة لله تعالى أنّهما يحملان إرادة صادقة في توسيع دائرة التّعايش بين المدارس الإسلاميّة، وينفقان في ذلك ويبذلان مالهما ووقتهما.

وبالتّشاور مع الأستاذ إبراهيم بن أحمد الصّلتيّ من عمان، وهو رجل فاضل معنا في لجنة الفكر، وداعم كبير لنا في القناة اليوتيوبيّة، وصاحب قراءة ومعرفة، حيث قررنا الذّهاب أواخر مارس، إلا أنّه بسبب ظروف الأستاذ أبي عمار تأخرت الرّحلة إلى شهر مايو.

وضعنا الجدول على هذا التّأريخ، وقرر مشاركتنا الأستاذ خميس بن راشد العدويّ، والطّالب من الكليّة التّقنيّة يونس بن محمد الحبسيّ، وهو شاب هادئ خلوق قليل الكلام كثير التّأمل، ثمّ لاحقا قرر أن يلتحق معنا الطّالب مهديّ عياشيّ، وهو يحمل الجنسيّة الفرنسيّة، ويدرس في عمان، وبدأ دراسة العربيّة عندنا، حيث لا يعرف العربيّة، فأبوه أصله من الصّحراء الجزائريّة، وهاجر إلى فرنسا منذ السّبعينات من القرن العشرين، وأمّه فرنسيّة، وكانوا يتحدثون الفرنسيّة، لذا هو يتحدث الفرنسيّة كلغة أم والإنجليزيّة بإتقان، وهنا عندما كان طالبا بإحدى الجامعات الفرنسيّة في باريس تخصص العلوم الاجتماعيّة اقترح عليه دراسة العقلانيّة في عمان، حيث أنّ أحد الباحثين والعلماء الفرنسيين سمع تداول هذه اللّفظة أثناء زيارته لعمان تقريبا عام 2009م، ولهذا أرسل مهديّ إلى عمان في مرحلة الماجستير حيث كانت رسالته عن العقلانيّة الإباضيّة في عمان، وفي الوقت نفسه يدرس اللّغة العربيّة، ولما أتمّ الماجستير قرر مواصلة دراسته في الدّكتوراه في عمان بحيث يدرس الحالة الثّقافيّة بشكل عام، ومهدي رجل اتصلت به منذ البداية، وهو

ملف عباض.indd 104 1/26/2019 9:24:18 AM

رجل فاضل، وصاحب خلق كبير، يحب عمان وأهلها، وصحح لي الكثير من المعلومات الخاطئة في أذهاننا عن الحياة الأوربيّة والفرنسيّة خصوصا، وقرر أن يسافر معنا باللّباس العمانيّ.

كذلك قرر أن يأتي معنا الأستاذ أحمد بن مبارك النّوفليّ، والأستاذان العدويّ والنّوفليّ غنيان عن التّعريف، وذهابهما معنا مكسب؛ لأنّهما يحملان مشعل التّنوير والتّعايش عن إيمان وقناعة وتضحيّة لا عن رسميات ومجاملات.

كان السّفر يوم الثّلاثاء 8 مايو 2018م، وهنا انطلقتُ بسيارتي إلى المطار ومعي الأستاذ أحمد النّوفليّ والفاضل سالمين الجابريّ تنزانيّ الجنسيّة يعمل كقائم في جامع الدّعوة بالموالح الجنوبيّة، حيث يرجع سيارتي بعدها إلى البيت.

وصلنا المطار قرب الثّانية عشر ظهرا، وهنا وجدنا يونس الحبسيّ سبقنا، ثمّ التحق بنا إبراهيم الصّلتيّ والأستاذ خميس العدويّ وأخيرا الأستاذ كمال اللّواتيّ.

وهذه أول مرة نسافر على مطار مسقط الدّوليّ الجديد، حيث افتتح في 20 مارس 2018م، وهو قريب من المطار القديم الّذي افتتح عام 23 ديسمبر 1973م، إذ يقع في ولاية السّيب بمحافظة مسقط، والمطار الجديد تحفة معماريّة كبيرة، ومنظم وواسع بشكل كبير جدا، وقمّة الجمال والنّظافة، ويتسع حسب التّصريحات لعشرين مليون مسافر سنويا، وعلى العموم لا زالت المراحل الأخرى قيد الإنشاء، ونأمل أن يحقق استثمارا كبيرا بالبلد، ويساعد على ذلك، فعمان تستحق ذلك، والنّظرة الاستثماريّة مهمة، خاصة أنّ عمان واجهة في الخليج العربيّ والمحيط الهنديّ، وذات استقرار داخلي وخارجيّ، وهذا يساعدها كثيرا على تحقيق ذلك إذا ما استغلت عقول وطاقات الشّباب العمانيّ.

ملف عاض.indd 105 1/26/2019 9:24:18 AM

ذهبنا إلى منضدة تخليص إجراءات السّفر إلا أننا تأخرنا قليلا لسببين: الأول أنّ ثلاثة أشخاص مكتوبون في تذكرة واحدة وهم العبد الفقير والصّلتيّ وكمال، حيث أنا سبقتهم في المنضدة والاثنان في المنضدة الأخرى، ثمّ إنّ إبراهيم حمل معه الموسوعة العمانيّة في حقيبته وكانت ذات ثقل كبير، والطّيران العمانيّ لا يقبل أنّ تزيد الحقيبة الواحدة عن ثلاثين كيلو، ولعلّه رحمة بالعمال الّذين يحملون الحقائب، ولضمان سلامة الجميع، لهذا اضطر أن يفتح حقيبته، ويوزع الحقائب بين الجميع، ثمّ أنّ هناك سبب ثالث أنّ آلة الطّباعة على المنضدة الّذي كنت فيه توقف عن الطّباعة عندما جاء دور مهديّ عياشيّ من بعدي، وهذا أحدث خللا وتأخرا.

بيد أنّ الأمر تمّ بعد تأخير والحمد لله تعالى، ثمّ ذهبنا إلى البوابة رقم Y6، وقبل أن نصل صلّينا الظّهر والعصر، بالنّسبة لي ولكمال والصّلتيّ والحبسيّ صليناها أربعا أربعا لأننا في الوطن، أمّا البقيّة فركعتين ركعتين لأنّهم مسافرون، وبعدها وصلنا إلى القاعة، وجلسنا فترة بسيطة حتى جاء الثّانية والرّبع ظهرا ففتحت البوابة إلى الطّائرة، وكان أغلب من كان معنا هنود، حيث مروا مسقط ترانزيت، والقليل جدا من العمانيين، وهنا استخدمنا أول مرة الخرطوم في مطار مسقط فقد تعودنا على الحافلات في المطار السّابق، وفي الطّائرة جاء أحد المضيفين فسلّم على النّوفليّ بحرارة ويعرفه، وقال لي أنت لست غريبا عني، فهو متابع للكتابات في وسائل التّواصل الاجتماعيّ، وبهذا انطلقنا إلى دولة الكويت الشّقيقة.

الوصول إلى مطار الكويت والذّهاب إلى فندق سفير انترناشيونال

في قرب السّاعة الثّالثة والنّصف عصرا وصلنا إلى مطار الكويت الدّوليّ، وهو مطار قديم إلا أنّه حدّث أكثر من مرة، والآن يبنون مطارا كبيرا حيث يؤمل أن يفتتح عام 2021م، والمطار مزدحم جدا، مقارنة بمطار مسقط، وكأنّك من كثرة السّائحين في مطار دبي أو الدّوحة.

ملف عاض.indd 106 1/26/2019 9:24:18 AM

ذهبنا إلى منطقة الجوازات، بيد أنّ مهدي مع الأستاذ كمال ذهبوا إلى التّأشيرات؛ لأنّ مهدي فرنسي، والفرنسيّ كغيره لدخول الكويت لابدّ له من تأشيرة، إلا أنّهم لم يتأخروا، وهنا الكلّ دخل بسهولة إلا النّوفليّ؛ لأنّه ولد في الكويت، ولم يزرها، فطلب منه أن يذهب إلى مكتب في الأعلى ليحدّث البيانات، وعموما هو لم يتأخر أيضا.

ثمّ ذهبنا لاستلام الحقائب، فاستلم الجميع إلا العبد الفقير، حيث لم تصل حقيبتي، فانتظرنا حتى تتوقف آلة تدوير الحقائب، فذهبنا إلى المسؤول وقال انتظروا لعل بعض الحقائب لا زالت في الطّائرة للتّأكد، فانتظرنا فقال لنا بعد اتصال معهم لا توجد، وهنا لست الوحيد فمعي مجموعة من المسافرين ومنهم مصريّ وبعض الهنود لم تصل حقائبهم أيضا، وكانوا ترانزيت، بينما أنا مباشر، والعادة يحصل كثيرا في التّرانزيت، والأستاذ مصطفى اللّواتيّ قال لي لاحقا تكرر الأمر معي في الطّيران العمانيّ ثلاث مرات، وهنا تذكرتُ الأستاذ عبد الله العليان عندما ذهبنا بصحبة الأستاذ خميس العدويّ إلى الأردن في مؤتمر الدّين والشّرعيّة والعنف، من تنظيم مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدّراسات والأبحاث في 4 سبتمبر 2015م في الطّيران العمانيّ حيث تأخرت حقيبته، ولم تصل إلا قبيل الرّجوع، وظل على ثوب واحد، والدّكتور العليان طويل البنية، بيد أنني والعدويّ عكسه تماما، لذا كان في وضع محرج جدا، لهذا تعلّمت من هذه السّفرة، خصوصا إذا كنت مشاركا في مؤتمر أو محاضرة أن أحمل معي حقيبة صغيرة أحملها داخل الطّائرة، أضع معها لوازمي من ملابس ليوم أو يومين تحسبا لمثل هذه الأحوال!!

ذهبنا إلى مكتب تقديم البلاغ، وكان مزدحما بسبب تماثل الحالة، ولا أدري هل جميعهم كانوا معنا أم من نوافذ متعددة، وللأسف فقدّتُ الورقة الصّغيرة في الطّائرة [السّكيتر] وهذي أول مرة أفقدها لأنّي استخدمتُ البطاقة، وعادة أضعها داخل الجواز، وهنا أخذ الأستاذ كمال بطاقتي؛

ةعاضبإ_ملق.indd 107 1/26/2019 9:24:18 AM

لأنّه يتقن الانجليزيّة، وقالوا نتصل فيهم ثمّ نتواصل معكم وأعطونا رقم M-2198، مع رقم الهاتف، فذهبنا إلى الخارج، وهنا استقبلنا الأستاذ أبو عمار نبيل، وأعدّ لنا سيارتين، سيارة يقودها هو، وسيارة يقودها رجل أردنيّ من أصل فلسطينيّ، فذهبنا مع الرّجل الفلسطينيّ ومعي السّلطيّ والحبسيّ، والباقي ذهب مع أبي نبيل، وهنا سألتُ السّائق عن مكوثه في الكويت، فقال نحن بالكويت منذ أكثر من ثلاثين عاما، وقلت له ممازحا: أين هواك الآن الكويت أم الأردن، فقال أبي فلسطينيّ وأمّي لبنانيّة وزوجتي مصريّة ولي منها ثلاث بنات، فهواي لم ينحصر في منطقة، قلتُ له: عندنا مثل [عند ترزق ما عند تخلق] فوافقني، ثمّ سألته عن نكبة 1991م، عندما حارب صدام حسين [تـ 2006م] الكويت، قال كنتُ موجودا، ولم أخرج، فقلتُ له: هل كان جنوده يمارسون الاغتصاب والدّخول داخل البيوت للقتل كما يشاع، قال لا، ولكن من قاومهم قتلوه، ولكن أصعب ما واجهناه عدم وجود المياه والكهرباء، وصعوبة توفر المعيشة، واستمر الحال لمدة ثلاثة أشهر، إلى درجة ذهبنا إلى البيوت والشقق الّتي تركها من خرج من الكويت وأخذنا منها الماء، وهنا حاولتُ أن آخذ بعض الشّهادات عن هذه المرحلة المظلمة في تأريخ الكويت والمنطقة العربيّة ككل، وليت صدام لم يكن وسيلة وطعما في حربه لإيران ثمان سنوات، ثمّ الكويت، فترك العراق في حالة من البؤس والشّقاء، والّتي لا زال يعاني منها حتى اليوم، خاصة وقد بدأ قويا في التّعليم والصّحة والأمن والعسكر، فانتعشت العراق، إلا أنّه خرّب بيته بيده!!

وفي الطّريق رأيتُ الكويت وناطحات السّحاب، وكنتُ قد جئتها سابقا في شهر فبراير 2011م بسيارتي، وبصحبتي الأساتذة عبد الله المشيقريّ وسامي المعمريّ وابن عمّه عبد الله المعمريّ ويوسف الحبسيّ، جئتها قاصدا وزارة الأوقاف والمكتبات لأخذ بعض الكتب كالموسوعة الفقهيّة الكويتيّة، وفتاوى هيئة الافتاء الكويتيّة، كما ذهبت حينها إلى مكتبات قطر والبحرين،

ملف عاض.indd 108 1/26/2019 9:24:19 AM

إلا أنّ هذه المرة الرّحلة لها طعم آخر كما سنراه في المذكرات. رأيتُ البنية التّحتية في الكويت على عظمتها إلا أنّها شبه توقفت، خلافا عن مثيلاتها الإمارات وقطر مثلا، وهنا أخبرني أبو عمار أنّ الكويت بدأت بالتّوقف بعد عام 1985م، إلا أنّها بعد الغزو العراقيّ 1991م تراجعت في كلّ شيء!!

وأنا في الطّريق تذكرتُ الشّيخ الوالد علي بن عبد الله السّعيديّ من سكان ولاية السّويق، وحاليا الموالح الجنوبيّة، فقد عمل سائقا في الكويت من عام 1965م وحتى 1975م، حيث يتذكر أيام الكويت ويتذكر سورها وأبوابها، والمرقاب وخيطان والشّرق والرّميثيّة وحولي، المناطق الّتي ارتبط فيها، وطالما ذكر مسجد عبد الله المبارك، والّذي على دوار المرقاب، وقد رأيته وقد تطور المكان، وهو يرجو زيارة الكويت، وعسى أن يكون ذلك قريبا، ولو رجع لكان مثل أصحاب الكهف حيث سيرى العمران وناطحات السّحاب وكثرة الطّرق وعظم الحياة فيها!!

وصلنا فندق سفير انترناشيونال في الصّفاة، والأصل أننا نسكن في شقة في الدّسمة، إلا أنّ السّعر كان مرتفعا، فلهذا سكنا في هذا الفندق، وسعر الغرفة 45 دينارا للّيلة للشّخصين في الغرفة الواحدة أي ما يعادل 57 ريالا عمانيا، وأسعار السّكن في الكويت مرتفعة جدا مقارنة بعمان، وهذا ما يعانيه المقيمون فيها، وسألتُ أحدهم من المقيمين: لماذا لا تقل الأسعار إذا كان الطّلب أكثر، فقال المستثمرون في هذا معدودون، ويتفقون في الجملة على السّعر، كما أنّ سعر الدينار مرتفع، فالدّينار الكويتيّ يساوي وقت ذهابنا ريالا وثلاثمائة وعشرين بيسة، والفارق بين الدّينار الكويتي والبحرينيّ عشرون بيسة، إذ الدّينار البحرينيّ يساوي ريالا وثلاثمائة بيسة.

وصلنا الفندق، ورأينا الأخوة رتبوا كلّ شيء، والفندق كبير ومرتب ونظيف، وشخصيا كنتُ محبطا قليلا بسبب الحقيبة، ولأنّ النّدوة ستبدأ الثّامنة ليلا، ولا أمل للحصول عليها، حيث الطّائرة القادمة للطّيران العمانيّ

ةعاضإ_قلق.indd 109 1/26/2019 9:24:19 AM

تصل الثّامنة والنّصف، ومع هذا رضينا بما حصل، وما عند الله خير وأبقى، وهنا ذهبنا للّراحة حتى موعد النّدوة.

الّذهاب إلى ديوانيّة تجمع الميثاق الوطنيّ وندوة التّسامح [عمان أنموذجا]

بعدما أخذنا قسطا من الرّاحة في فندق سفير انترناشيونال إلا أنني لم يأتني النّوم لعدة أسباب منها أنني لست مرهقا كعادة السّفر، ولتفكيري كيف أقابل النّاس بهذا اللّباس، ولأنّ عمامتي كانت في الحقيبة، لهذا قلت استغل الوقت لعلي أجد محلا لبيع الملابس قريبا، على الأقل أجد شيئا يناسب الحالة، وفي الوقت نفسه أمارس الرّياضة واكتشاف المنطقة، فقد كان الجو رائعا، حيث الرّذاذ الخفيف، إلا أنّه يوجد بعض الغبار في الجو ولكن ليس كثيرا، وهذه الحالة طبيعيّة في الكويت.

وللأسف لا يوجد محلات قريبة؛ لأنّ المنطقة منطقة فنادق، ومع هذا وجدتُ مركز سلطان قريبا، ومركز سلطان شركة كويتيّة مساهمة تأسست عام 1976م، ولها أكثر من ستة وعشرين فرعا في الكويت، ولها فروع في الخليج والوطن العربيّ ومنها بطبيعة الحال عمان، ولي بطاقة شرائيّة لتسوقي منه في عمان، إلا أنّهم لم يقبلوها هنا!!

إلا أنني لم أجد ضالتي معهم، ومع هذا اشتريت معجون الأسنان والفرشاة وبعض الماء والحاجات الخفيفة، وسألتهم عن مكان يبيع الملابس حتى ولو كانت كويتيّة، فقالوا: لا يوجد إلا أن تذهب إلى كارفور [ستي سنتر] وهو قريب من هنا بالسّيارة عشر دقائق بسبب الزّحمة، وبالمشي ربع ساعة، فأردت الذّهاب ولكن قررتُ الرّجوع خوف ذهاب الوقت والتّأخر على الجماعة.

المهم رجعت القهقرى، إلا أنّه خطرت لي فكرة كنا نعملها وقت

ملف عارضة.indd 110 1/26/2019 9:24:19 AM

العزوبيّة، ولا تحتاج إلى وقت طويل، وهو أن نغسل الملابس بسرعة ثمّ نقوم بتدوير نصفيها بشكل مناقض يمينا وشمالا، وبهذا نعصرها بقوة، ثمّ نضعها في الشّمس لفترة بسيطة، وهذا يحتاج إلى مكواة، وهنا طلبت من يونس الحبسيّ أن يطلب لي مكواة من الأسفل، وأحضرت بعد حين، فغسلّت مكان الاتساخ، وكانت والحمد لله ليست متسخة كثيرا، ثمّ قام الأخ العزيز بكويها، فانحلّ أمر اللّباس، وبقي أمر العمامة، فاضطررت إلى لبس المصر، إلا أنني أخر مرة لبست المصر عام 2000م أي قبل ثمانية عشر عاما، وكنتُ ألبس مصرا أبيضا، ولم ألبس المصر الملون، والّذي يسميه المطاوعة السّابقون بمصر ابن بور أي محمد بن نور الوالي العباسيّ الّذي غزا عمان في أواخر القرن الثّالث الهجريّ، الملقب عند العمانيين بابن بور لكثرة فساده والدّمار الّذي فعله كما يقول الرّواة، حيث يرون أنّ ابن بور هو من أدخل المصر إلى عمان، والعديد ينقض هذه الدّعوى، فالمصر تطور للعمامة، أو سابق عنها، أو تأثر بالأمم الأخرى القريبة كالكمة والوزار والعباية ونحوه.

وهنا لبستُ المصر، وقام بتمصيري الأخ يونس، ولما نزلتُ ضحك علي من جاء معنا، ثمّ ذهبنا قبل الثّامنة إلى منطقة الدّسمة في سيارتين، سيارة يقودها أبو نبيل وكنتُ معه ومعي الأخ يونس الحبسيّ، والباقي كانوا في سيارة يقودها الأستاذ كمال اللّواتيّ، والأصل معنا الصّلتيّ إلا أنّه تأخر فذهب في سيارة كمال!!

ذهبنا إلى منطقة الدّسمة، وهي منطقة سكنيّة تتبع محافظة العاصمة، جاء في ويكبيديا سميت هكذا لأنّها كانت منطقة ذات ربيع أخضر تربتها دسمة، وأغلب سكانها من الشّيعة الإماميّة.

وفي هذه المنطقة يوجد بيت أبي عمار نبيل المسقطيّ، حيث حول سرداب بيته إلى ديوانيّة كبيرة، وهذه العادة وجدتها في قم بإيران عند العرب العراقيين، وتحدثت عنها في الرّحلة القميّة، وسيأتي الحديث لاحقا عن الدّيوانيات في

ملف عاض.indd 111 1/26/2019 9:24:19 AM

الكويت، وأثرها المعرفيّ والثّقافيّ. والأستاذ أبو عمار بنى ديوانيّة كبيرة، ولهم نشاط ثقافيّ فيها باسم تجمع الميثاق الوطنيّ، والأصل فيها أنّه تجمع لمناقشة الأوضاع السّياسيّة والاقتصاديّة، وأحيانا يناقشون الجوانب الفكريّة والثّقافيّة، ولا يحتاجون إلى ترخيص إذا كان الشّخص من خارج الكويت، والأمور الثّقافيّة أكثر مرونة ونشاطا عندهم مقارنة بما عندنا في عمان.

والتقينا في البداية بمجموعة كانوا حاضرين منهم وزير التّجارة ثمّ وزير الشّؤون الاجتماعيّة والعمل معالي عبد الوهاب الوزان، والمقدّم للأمسية الأستاذ حسن الخواجة، ثمّ التحق بنا مجموعة كبيرة منهم الدّكتور مصطفى الموسويّ رئيس زراعة الكلى، والأستاذ على الجديّ، والشّيخ حسين المعتوق، والدّكتور أحمد حسين محمد، والشّيخ حسين قنبر، وغيرهم كثير، كذلك التحق بنا الباحث والكاتب والأديب محمد البغيليّ وهو ابن أديب وشاعر الكويت المشهور حمود البغيليّ، فقد تعرّفت عليه في عمان لما جاء إلى عمان 22 يناير 2018م للمشاركة في المؤتمر الثّاني للفكر والّذي كان بعنوان الفكر ودوره في بناء الوعي بمنطقة الخليج العربيّ من تنظيم الجمعيّة العمانيّة للكتّاب والأدباء مشاركة مع مهرجان مسقط، حيث قدّم ورقة بعنوان مؤسسات المجتمع المدنيّ ودورها في البناء الفكريّ في الخليج العربيّ، وتعرفت في هذا المؤتمر أيضا على الأستاذ خالد العضاض من أوثال بريدة من المملكة العربيّة السّعوديّة صاحب كتاب التّدين السّعوديّ، وكتب مقالا بعنوان من أوثال إلى بهلا والرّستاق، ومقالا عن عمان والتّسامح أتحدث، ونشرت الوطن السّعودية المقالين، كما أعادت شؤون عمانيّة الالكترونيّة نشر المقال الأول مع الإشارة إلى المصدر، والأستاذ العضيدان في فكره ونقده قريب من الأستاذ منصور النّقيدان، كذلك تعرفت فيه على الأستاذ والباحث عيسى الشّارقيّ من جمعية التّجديد البحرينيّة، وهي جمعيّة قرآنيّة تهتم ببلاد السّراة، وترى أنّ الأنبياء لم يخرجوا من جزيرة العرب، ولهم كتاب شهير بعنوان: اختطاف جغرافيا الأنبياء.

ةءاضبإ_ملق.indd 112 1/26/2019 9:24:19 AM

ثمّ انتظرنا سماحة الشّيخ العلّامة حسن الصّفار، وهو من القطيف من المملكة العربيّة السّعودية، وهو علم معروف عند جميع المذاهب الإسلاميّة، وهو من أسس النّشاط الاجتماعيّ والدّعويّ في مسجد الرّسول الأعظم بولاية مطرح في عمان، وشارك في إنشاء مجلّة الوعي في السّبعينات من القرن العشرين في مسقط، وهي أول مجلّة دينيّة شيعيّة عمانيّة، وزارني المنزل في الموالح الجنوبيّة في 14 يناير 2018م وسجلنا حلقة معه بعنوان تأملات في بعض جوانب التّفكير الدّينيّ وهي موجودة على قناتي اليوتيوبيّة.

ولما وصل سماحة الشّيخ الصّفار وسلّم على الجميع جلسنا في مكان واحد مقابلين الجمهور بداية من الأستاذ المقدّم حسن الخواجة فالأستاذ خميس العدويّ فسماحة الشّيخ حسن الصّفار فالعبد الفقير.

وبدأ المقدّم الحديث عن التّسامح وعن عمان والتّعريف بالحضور، ووجه سؤاله الأول إلى الشّيخ الصّفار: ما معنى التّسامح الشموليّ والخاص، وما دور الإسلام في التّسامح وهل يوجد فرق بين العفو والتّسامح أم كلاهما شيء واحد؟ فبدأ الصّفار حديثه بأمنيته أن يستمع من العدويّ والعبد الفقير لكونه حاضرا في هذا المكان العديد من المرات، ثمّ بين أنّ معنى التّسامح اكتسبت في الثّقافة الحديثة معنى أوسع من اللّغة العربيّة والتّراث الإسلاميّ، بحيث تقبل الرّأي الآخر وتعترف به، ولا تعتقد أنّك تحتكر الحق والحقيقة، فلك الحق أنّ تعتقد ما تراه حقيقية، ولكن من حق الآخر أيضا له الحق أن يعترف به، ويرى أنّ هذا المصطلح شاع في أروبا بسبب هيمنة الكنيسة المتحالفة مع السّلطات الحاكمة في أروبا حينها، فجاء المصطلح لنقل المجتمع الإنسانيّ من الهيمنة والتّعصب الفكريّ والثّقافي والدّينيّ، ثمّ قرر أنّ ديننا وقرآننا يدعو إلى التّسامح والاعتراف بالآخر، وترك الحساب لله؛ لأنّه فرق بين القاصر والمقصر والمعاند، ومع هذا كفل للجميع حق الاعتقاد.

ثمّ أراد المقدّم الخواجة إعطائي الكلمة لكنني أردّت أن يتقدّم الأستاذ

ملف عاض.indd 113 1/26/2019 9:24:19 AM

خميس، فهو أستاذي يكبرني علما وعقلا ثمّ سنّا، ولكن رفض الأستاذ خميس، وحزم المقدّم الموقف فوجه السّؤال إلي، وكان الحديث حول التّسامح، فتطرق المقدّم من يوم التّسامح العالميّ في 16 نوفمبر من كلّ عام ميلاديّ، وكذا ندوة تطور العلوم الفقهيّة السّنويّة، والّتي توقفت بسبب الأوضاع المادّية، أو لأنّها أدّت رسالتها، وسببها معروف يعود إلى نهاية الثّمانينات بسبب الفتوى الشّهيرة المعروفة في عدم صحة الصّلاة خلف الإباضيّة، وكفر من يقول بعدم رؤية الله في الآخرة، وحدثت ردّة فعل من قبل سماحة الشّيخ أحمد الخليليّ [معاصر] مفتي عمان وكان الرّد مباشرا في التّلفزيون العمانيّ حينها، عموما التفتت الحكمة العمانيّة إلى عقد ندوة يشارك فيها جميع المذاهب الإسلاميّة سنة وإماميّة وزيديّة وإباضيّة، فعقدت في البداية في جامعة السّلطان قابوس، وقد أرخ الصّحفيّ والكاتب المصريّ فهمي هويديّ [معاصر] لهذه الحادثة في مقال له، وكان شاهد عيان للنّدوة الأولى، ثمّ تولت وزارة الأوقاف والشّؤون الدّينيّة هذه المهمة حتى عام 2015م، وكانت بعنوان فقه العصر: مناهج التّجديد الفقهيّ والدّينيّ، وكنتُ شاركت معهم 2010م في ندوة الفقه الحضاريّ فقه العمران، في ورقة عمل بعنوان آداب الطّريق بين التّأصيل الفقهيّ والتّطبيق العمليّ، طبع في أعمال النّدوة عام 2010م، واختصر في كتيب آداب الطّريق طبعته دائرة الوعظ 2010م، وعموما النّدوة خرجت بأسفار مهمة للباحثين، ونتائج تسامحيّة كبيرة، إلا أنّها توقفت عند هذا ولم تتحول إلى مشروع بحثي له عمره الطّويل كمؤسسة تسامحيّة بحثيّة، ولعل ذلك يكون في المستقبل بإذن الله تعالى.

أمّا حديثي في اللّقاء فكان من خلال ورقة بحثيّة صغيرة كتبتها بعنوان التّسامح الفقهيّ في سلطنة عمان[1]، وهنا أبرزت الجانب الإيجابّي، مع علمي

(1) أضيف إلى هذه السّلسلة الأولى من إضاءة قلم.

ةءاضإ_ملق.indd 114 1/26/2019 9:24:19 AM

بوجود بعض السّلبيات، والورقة مقدّمة للجمعيّة العمانيّة للكتّاب والأدباء 2016م، وكان هدفهم إصدار كتاب عن التّسامح إلا أنّه تأخر المشروع ولم يخرج، وتحدّثت فيه باختصار عن خريطة المذاهب والأديان في عمان بصورة سريعة، مع نماذج من التّسامح في المذاهب الثّلاثة المعروفة، وأثر التّسامح العمانيّ على السّائح والتّاجر، وبيان التّسامح السّياسيّ مع الفقهيّ، ومستقبل التّسامح الفقهيّ في عمان.

ثمّ وجه المقدّم الخواجة سؤال ثالثا وأخيرا إلى الأستاذ خميس العدويّ وهو كيف نوجه أبنائنا إلى التّسامح، فبدأ العدويّ بشكر الكويت، وعلاقة الكويت بآبائنا العمانيين الّذين عملوا فيها، ثمّ أشار إلى المشتركات والسّمات الواضحة بين عمان والكويت، وبين أنّه في عمان لا نحتاج إلى الحديث حول التّسامح بسبب الانسجام الطّبيعي بين المذاهب، وأثر هذا على المساجد والزّواج، كذلك بيّن أنّ المذهب رؤية وتمظهر اجتماعيّ وليس دينا، وسبب الخلاف الصّراع السّياسيّ الّذي أثر على المذاهب، وأثر هذا على التّراث منذ الصّراع الأول، لذلك نادى بنقد التّراث، وعليه الصّراع هو من داخلنا ولابدّ أن نعترف بهذا، ويرى أنّ جميع المذاهب داخلة في التّكوين المعرفيّ لأي مسلم، فعلينا أن ننفتح للآخر، بل ننفتح حتى لغير المسلم، كذلك بين أنّ التّسامح في عمان طبيعيّ إلا أنّه بدأ يشعر بالخوف نتيجة نمو السّلفيّة عند جميع المذاهب وليس عند أهل السّنة فحسب، إلا أنّه في عمان أغلقت هذه النّوافذ المؤثرة على التّسامح والنّسيج الاجتماعيّ منذ فترة مبكرة، حتى جاء عهد الفضائيات والانترنت حيث بدأ النّاس يدخلون في الجدل المذهبيّ، بيد أنّ المنظومات الدّينيّة بقت في رؤية صادمة ضدّ أيّ نقد جديد، ولكن مع مرور الأيام يحدث التّقبل شيئا فشيئا، ويقول إننا في عمان بسبب وسائل التّواصل نعيش اليوم حالة التّمازج وليس فقط التّسامح، على الأقل على المستوى المعرفيّ.

ملحق عاض.indd 115 1/26/2019 9:24:19 AM

ثمّ فتح المقدّم باب النّقاش والمشاركة للحضور، وتسجيل الحلقة بما فيها الحوارات موجودة على قناتي اليوتيوبيّة لمن أراد، وبعد الجلسة قدّم بعض الفطائر السّريعة مع العصائر، ثم كانت الأحاديث الجانبيّة، وهنا كان معي حديث مع الدّكتور أحمد حسين محمد، والّذي طلبت منه تسجيل حلقة يوتيوبيّة في برنامجي حوارات كما سيأتي، كذلك أصر محمد حمود البغيليّ بصورة كبيرة على زيارته، والجدول كان مزحوما، ولا يوجد فراغ إلا الخميس عصرا أو الجمعة صباحا، فاتفقنا الخميس عصرا نزورهم في ديوانيتهم، كما ذكرته بوعده لي بتسجيل الحلقة، فاتفقنا أن يكون التّسجيل صباحا في الفندق.

وأهل الكويت أصحاب ابتسامة لا تفارقهم، ويحترمون إخوانهم العمانيين، والجميل معهم أنّك تجد في الدّيوانيّة من مختلف الرّتب والعمر والمكانة العلميّة، الكل يقدّم وجهة نظره، وهنا خرجنا من ديوانيّة أبي عمار، والكل فرح لهذا اللّقاء التّعايشيّ الجميل، ثمّ رجعنا إلى الفندق، ومع أحداث ما قبل الذّهاب إلى مركز الشّيخ عبد الله السّالم الثّقافيّ.

وصول الحقيبة والذّهاب إلى مركز الشّيخ عبد الله السّالم الثّقافيّ

تحدّثنا في الحلقة الماضية عن جلسة التّسامح: عمان أنموذجا في ديوانيّة تجمع الميثاق الوطنيّ بمنطقة الدّسمة بالكويت، وبعد انتهاء الجلسة ومسامرة الأحبة رجعنا إلى الفندق، وهنا لمّا وصلنا قرر الأخوة ممارسة الرّياضة وشراء بعض الحاجيات، وكانت السّاعة تقترب من الحادية عشرة ليلا، وكنتُ في الحقيقة متعبا من السّفر، وأريد دبلجة التّسجيل ورفعه إلى القناة اليوتيوبيّة أي جلسة التّسامح، ومع هذا قررت الذّهاب معهم، فذهبنا جميعا عدا الحبسيّ فقرر البقاء في الفندق.

كان الجو رذاذا، ويسقط المطر بين فترات، إلا أنّ الغبار يملأ الجو، ودرجة الحرارة منخفضة، فالجو كان رائعا جدا، فذهبنا إلى مركز سلطان

ملف عاض.indd 116 1/26/2019 9:24:19 AM

وتسوّق الأخوة، إلا أنّه في الرّجوع قررنا الإسراع قليلا بسبب زيادة المطر والغبار.

ولمّا وصلنا إلى الفندق بعد التّسوق والرّياضة قررت النّوم لأستيقظ قبل الفجر لكي أرفع الحلقة، وتحتاج إلى بعض الوقت، ولأنني أعمل ذلك عن طريق هاتفي، وشبكة النّت في الكويت قوية جدا مقارنة بما عندنا، وخدمات الاتصال عندهم أرخص وأفضل بكثير من شبكاتنا، وفعلا المشتغل بالتّحميل والرّفع يشعر بالفرق الشّديد، وشراء الشّريحة يكفي لمدة السّفر اتصالا وتحميلا عكس الّذي عندنا تماما!!

استيقظت فجرا مبكرا، وقمت بالدّبلجة والرّفع، وبعد الصّلاة أخذت سيارة أجرة، يقودها بنجلاديشيّ، عاش في الكويت منذ أكثر من عشرين سنة، ومعاناتهم في بلادهم كمعاناتهم في بلادنا، وهو ارتفاع المعيشة، مع تفاوت الأجور، والرّجل على مكوثه في الكويت هذه السّنوات إلا أنّه لا يتحدّث العربيّة إلا مفردات، بيد أنّه يتحدّث الانجليزيّة بطلاقة، فحاولت التّفاهم معه مع ضعفي في الإنجليزيّة ....

قلتُ: أريد أن أذهب إلى أي مجمع لشراء ملابس، فقال نذهب إلى مجمع سلطان في منطقة أخرى، وإن لم نجد نذهب إلى [ستي سنتر] مركز التّسوق في السّالميّة، ذهبنا إلى مركز سلطان، وقبل الدّخول إلى المجمع وجدت شابين في بداية العشرينات يتسامران أتيا إلي للسّلام، وهذه الصّورة الجميلة سوف تتكرر في الكويت كما سنرى لاحقا، دخلت المجمع وهو من طابقين، إلا أنني لم أجد بغيتي، ثمّ رجعت إلى صاحب الأجرة وكان ينتظرني، فذهبنا إلى ستي سنتر السّالميّة، وكان أكبر من مجمع سلطان، وكذلك لم أجد بغيتي، وقال لي من يعمل هنا هذه تجدها في الأسواق الشّعبيّة كالمباركيّة!!

أخذنا جولة في المناطق القريبة بسرعة، وشربنا شاي الكرك، وكانت الطّرق فاضيّة لأننا في أول الصّباح، والجوّ رائع جدا، والطّرق أصبحت في

ةءاضبإ_ملق.indd 117 1/26/2019 9:24:19 AM

جمال نظافتها وتشجيرها، وساحل البحر يعطي الكويت جمالا وإشراقا، حتى رجعنا إلى الفندق، والسّيارة عندهم بالعداد، وبدأ تقريبا بستة فلس، ولما رجعنا كانت التّكلفة 9 دنانير أي ما يقارب إحدى عشر ريالا وثلاثمائة بيسة...

وفي الطّريق اتفقتُ مع الأستاذ الصّلتيّ الّذهاب سويا لتناول الفطور، فقلت له انتظرني قليلا، فلمّا وصلتُ أعلمته، فذهبنا إلى المطعم وكان في الطّابق التّاسع عشر، ثمّ التحق بنا مهديّ، وهنا طلبتُ منه الاتصال بالمطار بشأن الحقيبة لأنّه يتقن الانجليزيّة، ولأنّهم وعدونا بالتّواصل بعد الثّامنة والنّصف ليلا ولم يتصلوا، ولما اتصلنا بهم على الرّقم الّذي كتبوه لنا كان رقم المكتب خطأ، وهنا كلّمته المرأة بغضب شديد، ثمّ أعطته رقما آخر للاتصال به، فاتصلنا أكثر من ثلاث مرات ولم يردوا، ثمّ عاود الاتصال بالرّقم الأول وكانت أكثر هدوءا، فحوّلته إلى رقم آخر، فكلّمته امرأة، فقالت وصلت حقيبة بالأمس مع الطّيران العمانيّ لكن لا يوجد فيها رقم، ولا اسم الشّخص، ولما ذكرت وصفها قلتُ هي حقيبتي وإن كنت لستُ متأكدا عكس الصّلتيّ ومهدي الّذين أكدّا أنّها حقيبتي، ولعلّه من باب الدّعم النّفسيّ!!!

ولما نزلنا بسرعة طلبنا من رجل الأمن سيارة أجرة، فأحضر لنا شخصا من مصر وكانت سيارة خاصة، وهنا للعجلة ذهبنا معه، وفي الطّريق سألته عن العداد، وقال لا يوجد، المسافة قريبة، والعادة في الأسفار شخصيّا لا أذهب في سيارة لا يوجد فيها عداد، أو نتفق على السّعر مسبقا، ولكن للعجلة هنا لم ننتبه سلفا!!

وصلنا إلى المطار ثمّ ذهبنا إلى مكتب الحقائب، وكان في آخر المطار، وفي الطّريق وقف شخص كويتيّ الظّاهر في الثّلاثينيات أو أكثر قليلا من عمره يرحب بنا، وإذا كانت ثمة خدمة يساعدنا فيها، فشكرناه وأخبرناه بوضعنا، فأرشدنا إلى أحد العاملين هناك، وحملنا العامل إلى مكتب الحقائب

1/26/2019 9:24:20 AM 118 .indd ةءاضبا قلح

في آخر المطار عند المواقف، ووجدت حقيبتي في الواجهة فعرفتها وشكرتُ الله وحمدته، إلا أنّه كتب في السّكيتر اسم صاحبي الصّلتيّ، ولا يوجد فيها رقم، لهذا رفض في البداية العامل بالمكتب تسليمنا الحقيبة لعدم وجود تطابق البيانات، وبعد حين من الجدل وافق وسلّمنا إيصالا مع التّوقيع، وأخذ رقم هاتفي في عمان!!

خرجنا من عنده ووجدنا نفس الكويتيّ، ورحب بنا لزيارته، فشكرناه لضيق الوقت، ولمّا وصلنا الفندق طلب منا المصريّ أربعة وعشرين دينارا كويتيّا أي ما يعادل ثلاثين ريالا وأربعمائة بيسة، فقلنا له السّعر مرتفع والمسافة قريبة، فنزّل إلى عشرين دينارا أي خمسة وعشرين ريالا وثلاثمائة بيسة!!!

وفي قرب الحادية عشر نزلنا جميعا إلى الأسفل، وكان ينتظرنا الأستاذان نبيل وكمال، وقد لبست العمامة هنا، وقالوا اليوم ستكون الرّحلة ترفيهيّة في مركز الشّيخ عبد الله السّالم الثّقافيّ، ويقع في منطقة الشّعب بدولة الكويت، تأسس عام 2014م، وافتتح في 5 فبراير 2018م حيث افتتحه أمير الكويت الشّيخ صباح الأحمد الصّباح، جاء في ويكيبيديا: [مركز الشّيخ عبد الله السّالم الثّقافيّ أحد أكبر مناطق العرض المتحفيّ في الوطن العربيّ والعالم، وصمم المركز ليكون متكاملا من جميع الجوانب، تلبية للباحثين والمهتمين بمختلف الشّؤون الثّقافيّة والفنيّة، وليعكس الوجه الحضاريّ للكويت ... وأسس في موقع مدرسة عبد الله السّالم وهي من أوائل المدارس النّظاميّة في الكويت ... ويضمّ المركز ستة متاحف: متحف التّاريخ الطّبيعيّ، ومتحف علوم الفضاء، ومتحف العلوم، ومتحف العلوم العربيّة والإسلاميّة، ومتحف جسم الإنسان، بجانب إنجازات وتاريخ الكويت، والمسرح والحديقة العلميّة].

وسمي المتحف تيمنا بالشّيخ عبد الله السّالم المبارك الصّباح [ت 1965م]،

ملف عاض.indd 119 1/26/2019 9:24:20 AM

وهو الأمير الحادي عشر للكويت، وفي عهده استقلت الكويت، حيث عيدهم الوطنيّ السّنويّ في 25 فبراير من كلّ عام.

وفي الحقيقة حقّ للكويت بل للخليج الاحتفاء بهذا المعلم الكبير، وقد جمع بين المرح والمعرفة، حتى صار قبلة سياحيّة ومعرفيّة ووجهة لكلّ سائح وزائر، وجميل أن يكون من الأهداف السّياحيّة للأسرة إذا ما أرادت لأبنائها المعرفة والتّرفيه في الوقت ذاته.

وصلنا أثناء الحادية عشر ظهرا، وتذكرة الفرد ثلاثة دنانير كويتيّة أي ثلاثة ريالات وثمانمائة بيسة، وعند الدّخول قام الأستاذ أبو عمار نبيل بشرح مبسط للمركز ونشأته، وهنا جاءنا أحد المسؤولين في المركز، فرحب بنا ترحيبا كبيرا، وقام أيضا بإضافة بعض الفوائد، وكان الأستاذ مهدي عنده كامرا تصوير رقميّة، وهنا ممنوع التّصوير عن طريق الكامرا الرّقميّة، وممكن التّصوير عن طريق الهاتف، ويوجد مكتب خاص للأمانات توضع فيه مثل هذه الحاجيات، إلا أنّ هذا المسؤول رفض جعلها هناك وقال ستكون عندي حتى تنتهون، وفعلا قام بمرافقتنا وتسهيل الأمور لنا.

والعاملون في المركز كويتيون وأجانب، والكلّ يرحب بالزّائر، والابتسامة لا تفارق محياهم، ولزيارته ببطئ يحتاج أكثر من ثلاث ساعات، ونحن لا يوجد لدينا هذا الوقت لازدحام الجدول، لذا قررنا أن نقتصر على ثلاثة متاحف، فبدأنا متحف التّأريخ الإسلاميّ، وكان متحفا رائعا جدا، يوصل لك المعرفة حسب طرق مختلفة، من الخرائط والتّصاميم والنّقوش، والكتاب الالكترونيّ، والعروض، والسّماع باللّغة الّتي تناسبك، وبالمجسمات والمخطوطات وغيرها.

ثمّ ذهبنا إلى متحف الفضاء والنّجوم والكواكب والأقمار الصّناعيّة، وبطرق ووسائل مختلفة ومتقدّمة، فهناك تتعرف على النّجوم والكواكب والمكتشفات المعاصرة، وجهود العرب فيها والأمم الأخرى، وما توصل

جلق ةءاضإ.indd 120 1/26/2019 9:24:20 AM

إليه العلم الحديث، وكيف يتركب القمر الصّناعيّ، وكيف يمارس من يركبه حياتهم، وكيف يأكلون ويغيرون ملابسهم ويمارسون الرّياضة وهم في الفضاء.

بعدها ذهبنا إلى المتحف الطّبيعيّ، وهو لا يقلّ جمالا ومعرفة عن غيره، وقد صمم وكأنّك تعيش عالم الطّبيعة والغابات والأسماك والبراريّ، وهنا من حسن الطّالع أرسلت لي الأخت وهي تدرس في جامعة السّلطان قابوس وكان مشروعها عن تصميم متحف، حيث عرضت تصميما لها لمتحف، ولقي إعجاب الدّكاترة، فقلتُ لها نحن الآن في متحف بالكويت!!

ولما خرجنا من المتحف الكويتيّ جاء مسؤول آخر يرحب بنا بحرارة، ويريد أن يعرف انطباعنا عن المتحف، فذكرنا له، وهنا حبذ لنا زيارة باقي الأقسام، فقلنا له الوقت ضيّق، فذهبنا إلى مكان خصص للصّلاة، فقدّمت إماما، فصلّيت بهم الظّهر والعصر، وصلّى خلفي سنة وشيعة وإباضيّة في جو من الانسجام والجمال، وبعدّ الصّلاة ذهبنا إلى سوق المباركيّة.

الذّهاب إلى المباركيّة وتسجيل حلقة مع الدّكتور أحمد حسين محمد

بعد الانتهاء من زيارة مركز الشّيخ عبد الله السّالم الثّقافيّ في السّاعة الواحدة ظهرا، قرر أبو عمار نبيل أن نذهب إلى سوق المباركيّة لتناول الغداء، وهو سوق يجمع بين الأصالة والمعاصرة، ويذكرنا بسوق واقف في قطر، وسوقي مطرح ونزوى في عمان. وهذا السّوق سابقا ملتقى التّجار الكويتيين، ويضمّ أسواق الذّهب والسّلاح والتّمور والسّمك واللّحم والبهارات والملابس كأيّ سوق شعبيّ، جاء في ويكبيديا: [سوق كويتي يقع في منطقة القبلة .... تمّ تسميته بهذا الاسم نسبة إلى الشّيخ مبارك الصّباح [ت 19015م]، ونشأ سوق المباركيّة على يد التّجار الكويتيين، الّذين كانوا يجلبون بضاعتهم من العراق والهند وإفريقيا عبر السّفن ويلتقون في هذه السّوق لتبادل البضائع].

ةءاضبلا قلح.indd 121 1/26/2019 9:24:20 AM

ونحن نمشي في سوق المباركيّة مع الرّذاذ والجو الجميل، ولمّا اقتربنا من سوق السّمك سقط الغيث بقوّة، حيث الجو مع سكون المكان وجماليته، ومع الغيث وسكينته أضفى للنّفس سكينة وراحة، وتوقفنا قليلا ثمّ ذهبنا إلى مطعم الشّمم وهو مطعم كبير مزدحم بالنّاس، ويقدّم كافة المأكولات والعصائر، وعلى رأسها الأسماك المشويّة، ومن الأسماك المشهورة في العراق والكويت والخليج سمك الزّبيديّ، ويقال يعود تسميته إلى عالم سويديّ في عام 1788م، ويتميز بجسمه العريض، وحقيقة لم أسمع عنه بكثرة في عمان، مع أنّه منشر في الخليج!! وبعد تناول الغداء والأحاديث الجانبيّة قررنا الرّجوع، وكنتُ والسّلطيّ والحبسيّ مع الأستاذ كمال في سيارته، وكان الجوّ ماطرا حتى وصلنا إلى الفندق السّاعة الرّابعة عصرا، وكان لدي تسجيل مع فضيلة الدّكتور أحمد حسين محمد السّاعة السّادسة مساء في الفندق، وهنا من التّعب أخذني النّوم فلم أستيقظ إلا على ضرب الباب من قبل أستاذي النّوفليّ بأنّ الدّكتور ينتظرني في الأسفل، وقرر مهدي أن يقوم بالتّصوير.

والدّكتور باحث كويتيّ من الطّائفة الإماميّة، له أبحاث في الوقف، ورسالة ماجستير في المواطنة بين الشّريعة والقانون، ورسالة دكتوراه في وقف الحقوق والمنافع دراسة وتحقيق أصوليّ، وله معرفة ببعض العمانيين ممّن التقى بهم في أحد مؤتمرات الجزائر.

وكان الحديث المسجل في برنامج حوارات الحلقة التّاسعة عشر على قناتي اليوتيوبيّة، والّذي بعنوان إنسانيّة الخطاب الدّينيّ في رمضان، حيث يرى أنّ الأصل في شهر رمضان يعنى بتغيير الذّات الإنسانيّة، من خلال التّأمل في المستقبل، وهنا يؤكد على ضرورة التّأمل إلانسانيّ في رمضان، لطبيعة الإنسان المتقلبة بين الصّواب والخطأ، ولهذا يمكن أن نعتبر حسب نظره رمضان بداية السّنة الإنسانيّة وليس السّنة الهجريّة أو الميلاديّة؛ لأنّ رمضان مرتبط بنزول القرآن، والقرآن جاء بدور إصلاحي كبير في المجال الإنسانيّ، ثمّ أشار أنّه

ةءاضبإ_ملق.indd 122 1/26/2019 9:24:20 AM

لابدّ من الانطلاق من الوحدة الإنسانيّة وليس الوحدة الإسلاميّة؛ لأنّ الثّانية تدعو إلى الأولى، مستشهدا بقول الإمام علي بن أبي طالب [ت 40هـ]: الإنسان إمّا أخ لك في الدّين، أو نظير لك في الخلْق.

ثمّ تطرقنا إلى بعض الخلافيات بين الإماميّة وباقي المذاهب، وبين المذاهب نفسها المتعلّقة برمضان، والّتي تتعلق أولا برؤية هلال رمضان، وثانيا بصلاة التّراويح، وثالثا بالفطور وقت طلوع النّجم وغياب الحمرة المشرقيّة، فيقوله سماحته إنّ الخلاف عند الشّيعة في المسألة الأولى هو ذات الخلاف عند باقي المذاهب الإسلاميّة، وإن اتفقوا على أنّ الرّؤية في الرّواية تعني العلم لكن اختلفوا في إدراك هذا العلم، فقيل بالرّؤية البصريّة، وقيل بالعين المسلحة كاستخدام التّلسكوب، وقيل بالحساب الفلكيّ، ويرى أنّ الرّؤية البصريّة هي المصداق الأتمّ في عصر النّص، حيث لا توجد آلات لتحقيق العلم بالرّؤية إلا عن طريق الجارحة، وبما أنّ المصداق يتغير فيجب على الحكم الشّرعيّ أيضا أن يتغير، والحساب الفلكيّ لم يكن مطروحا قديما بين الفقهاء لارتباطه بالتّنجيم، أمّا الآن فتغير الأمر.

وأمّا مسألة الغروب فيقول الإماميّة عندهم قولان: المشهور ما ذكر، وقول آخر كقول باقي المسلمين بسقوط قرص من الشّمس، والإشكاليّة أنّ النّاس لا تقرأ، فيتولد الجهل، فإذا تولد الجهل ساد التّعصب، ثمّ لو قرأوا ما انتقدوا تراثهم فيجمد النّاس على الماضي.

أمّا صلاة التّراويح فيقول نحن نسميه قيام اللّيل، ونافلة رمضان حسب الأدبيات الرّوائيّة لا تصلى جماعة، ويقول إنّ في إقرار عمر وترك علي بن أبي طالب لها سعة؛ لأنّ المسألة واسعة.

ثمّ تطرق إلى الوقف فقال هو تشريع إسلامي ذو منزع إنسانيّ، فهو موجود عند الأمم السّابقة، والأوقاف ليست مرتبطة فحسب على الإنسان بل تعمّ حتى الحيوانات.

ملف عاض.indd 123 1/26/2019 9:24:20 AM

وأخيرا تطرق إلى قضيّة المواطنة فيرى أنّ المواطنة عبارة عن علاقة بين الفرد والآخر، ويرى نحن ارتبطنا مع الغرب نظريّا في مفهوم المواطنة، لكنهم سبقونا عمليا، والمواطنة لا ترتبط بالجنسيّة أو مجرد الولاء القبليّ، فهي ترتبط بالالتزام القانونيّ المتمثل في الحقوق والواجبات المتعلقة بالإنسان مسلم أو غير مسلم في ظلّ العدل والعدالة.

وبعد هذا اللّقاء مع الدّكتور أحمد حسين محمد إذا بالأستاذين كمال ونبيل ينتظران للذّهاب إلى جلسة مفتوحة في مطعم السّاحة يحضرها العديد من المثقفين والعلماء والكتاب.

الذّهاب إلى مطعم السّاحة

بعد تسجيل الحلقة اليوتيوبيّة مع الدّكتور أحمد حسين محمد وجدت الأستاذين أبا عمار نبيل وأبا يوسف كمال ينتظرانا، فنزل جميع الأخوة للذّهاب إلى مطعم السّاحة، والمطعم قريب من النّزل الّذي نزلنا فيه، وتصميمه لبنانيّ في قمة من الإبداع والجمال، حتى الحجارة الّتي يزهو بها المطعم أحضرت من لبنان، ولما تدخله تتذكر بيروت ومطاعمها، وما أجمل لبنان وبيروت!!

والمطعم أصله شراكة تقاسميّة بين كونه وقفا لأيتام لبنان بنسبة ربح أكبر من 50 بالمائة، وبين استثمار بعض التّجار الكويتيين بنسبة بضع وأربعين بالمائة، والّذي ساهم في إقامة هذا المشروع الوقفيّ سماحة العلامة محمد حسين فضل الله [ت 2010م]، وقد ولد سماحته في النّجف في العراق، وعاش وتوفي في لبنان، ويعتبر من أكثر علماء الشّيعة انفتاحاً على التّيارات الأخرى، وله العديد من المؤلفات والمشاريع الخيريّة، والآراء النّقديّة داخل مدرسته ونقد الوضع الإسلاميّ بشكل عام.

وسماحته ينطلق من البعد الإنسانيّ المتجاوز للخطاب الطّائفيّ والمذهبيّ، فهو يتعامل بكل إنسانيّة مع إخوانه من الطّوائف الأخرى الّذين شاركوه في

ملف عباض.indd 124 1/26/2019 9:24:20 AM

لبنان مثلا، مع البعد الوحدويّ الّذي يتعامل به مع إخوانه المسلمين من المدارس الإسلاميّة، ويركز على المشتركات بينهم، بجانب انطلاقته القرآنيّة الّتي يسعى إلى تحقيقها والانطلاقة منها، وسمى موقعه بينات، وله تفسيره الكبير في القرآن في عشرين جزءا سماه من وحي القرآن، ويركز على الخطاب العصريّ الّذي يقترب من الشّباب ويجيب عن تساؤلاتهم، مع نشر ثقافة المحبة، وأنّ الدّين في الأول والأخير هو المحبة لا الكراهيّة، فحبوا من خالفكم وأحبوا أعداءكم.

وشخصيّا بعد شخصيّة محمد الغزاليّ [ت 1996م] تأثرت كثيرا بشخصيّة فضل الله وكتبه، وكنت أتابع موقعه بينات، ومغرم بخطبه وخطاباته، وهو بحق سابق عاصره، وتعرّض للكثير من الإيذاء والتّهميش، ولكنّ كلمته عمّ نفعها، وتجاوزت ثمرتها حدود بلده ومذهبه، فرحمه الله تعالى رحمة واسعة.

قررنا أن نذهب مشيا حيث يبعد المطعم عن النّزل سبع دقائق فقط، وكان الجو رائعا جدا، والرّذاذ يتساقط بين حين وآخر، وكنتُ في الطّريق أسامر الأستاذ أبا عمار عن النّهضة والتّنوير في العالم الإسلاميّ، والمجتمع الشّيعيّ على وجه الخصوص.

وصلنا إلى المطعم، وحضر مجموعة كبيرة من الكتاب والعلماء والمثقفين وبعض الشّخصيات السياسيّة والاجتماعيّة في الكويت، وبعض العلماء من القطيف من المملكة العربيّة السّعوديّة، وعلى رأسهم سماحة الشّيخ حسن الصّفار.

ومن الّذين حضروا مثلا أسعد خريبط ناشط اجتماعيّ، والدّكتور عبد الواحد خلفان دكتور في معهد التّطبيقيات وناشط سياسيّ، وحسين المعتوق إمام وخطيب، وجابر بهبهاني ناشط وكاتب اجتماعيّ، والدّكتور أحمد محمد حسين إمام وخطيب، وعبد الأمير الخرس معلم أول، وعبد المطلب الوزان

ملف عباض.indd 125 1/26/2019 9:24:20 AM

ناشط اجتماعيّ، وحبيب الشّهريّ، ومن عمان التقينا بمصطفى محسن اللّواتيّ، وغيرهم كثير.

كذلك التحق بنا معالي الدّكتور عبد الهاديّ الصّالح وزير الدّولة لشؤون مجلس الأمّة 2006م، ودار بيني وبينه حديث طويل حول الوقف خصوصا، واتفقت معه على تسجيل حلقة يوتيوبيّة سنتحدث عنها لاحقا.

والجلسة تناولت جوانب عديدة، على رأسها الجوانب الفلسفيّة والفكريّة، مع تناول وجبة العشاء والحلويات، واستمرت ما يقرب من الثّلاث ساعات، وتمّ فيها تبادل المؤلفات بين الكتاب والباحثين، وكان في الأخير الحوار ساخنا مع حسين المعتوق حول بعض القضايا الفلسفيّة ومصاديقها الخارجيّة، إلا أنّ الوقت كان ضيقا، ولكوني شخصيّا كنت متعبا بعد يوم مزحوم من الأعمال المتواصلة، فاستأذنا فرجعتُ بصحبة الأستاذ الصّلتيّ، والتحق بنا مهدي عياشيّ مشيا، لنستعد ليوم جديد وفي زيارة إلى الأستاذة إيميلي جوشيّ.

زيارة الباحثة إيميلي جوشن

تعرّفت على الباحثة الأمريكيّة إيميلي جوشن في القرم بالعاصمة العمانيّة مسقط، وهي زوجة شاب كويتي لطيف اسمه حامد، وكان معهم ابنتهم سلمى في السّنة الأولى من عمرها، وهذا قبل عام وزيادة قليلا.

إيميلي جوشن تحضر أطروحة الدّكتوراه في إحدى الجامعات الأمريكيّة حول الإباضيّة العقلانيّة، وعلاقة الإباضيّة بالسّلفيّة، والتّجديد المعاصر عند الإباضيّة، ورؤيتهم للإنسان والملل الأخرى، وهذه ليست الأولى من الرّسائل أو الأطروحات حول العقلانيّة والثّقافة بصورة عامّة، ففي الفترة الأخيرة هناك من يأتي للبحث في هذا إمّا للماجستير أو الدّكتوراه أو للبحث الخاص، والغرب يهتمون كثيرا بكلّ جديد في الشّرق، ومن هؤلاء

ملحق عاض.indd 126 1/26/2019 9:24:20 AM

الأستاذ مهدي عياشيّ من فرنسا والّذي كانت رسالته في الماجستير أيضا حول العقلانيّة الإباضيّة، والآن يحضر الدّكتوراه حول الثّقافة بشكل عام في المجتمع العمانيّ.

وفي عمان تناقشنا طويلا مع الباحثة حول موضوع العقلانيّة والإباضيّة والرّؤية القرآنيّة للإنسان خصوصا وقيمه الكبرى، وأسباب النّظرة السّلبيّة إلى الإسلام خصوصا في الذّهنيّة الغربيّة، وشيوع التّطرف والإرهاب ونسبته إلى الإسلام.

والأصل أننا نذهب إلى الكويت في نهاية مارس وبداية أبريل، وتواصلتُ حينها مع الباحثة وقالت ستكون هذه الفترة في الولايات المتحدة الأمريكيّة، ولما تأجلت الرّحلة إلى مايو رحبت بالزّيارة، حيث تسكن في منطقة الشّعب بالعاصمة الكويتيّة، واتفقنا على أن تكون الزّيارة صباح الخميس السّاعة التّاسعة والنّصف صباحا.

نسقت مع مهدي لمرافقتي، ففرح بذلك، وبعد الفطور في بداية الثّامنة انطلقنا للذّهاب، وخرجنا قبل ساعة حتى نحصل على سيارة أجرة وحتى لا نتأخر، إلا أننا تفاجئنا أننا وصلنا بسرعة؛ لأنّ هذه المنطقة قريبة منا جدا، لهذا كان عندنا أكثر من ساعة، فأرسلت للباحثة لعلّ الوقت يسمح بالتّقديم، فأسرت لذلك، وما هي إلا دقائق إلا وهي بالخارج تنتظرنا.

رحبت بنا كثيرا، ودخلنا في مجلس مفتوح وهنا التقينا بوالد زوجها عبد الحسين فكري، ثمّ حضر حامد وابنته سلمى، وعبد الحسين من الباحثين والكتاب البهائيين، وأهدانا نسخة من كتابه آفاق في فهم الهداية الإلهيّة، وفيه يتحدث عن وحدانية الله ووحدة الجنس البشريّ ووحدة الأديان واستمرارية الهداية الإلهيّة ومجيء اليوم الموعود.

وهذه العائلة عائلة بهائيّة، والبهائيّة تركز كثيرا على الإنسان ووحدة

ملف عاض.indd 127 1/26/2019 9:24:20 AM

الجنس البشريّ من خلال وحدانية الله ووحدة الدّين والإنسان، وهي ترجع في أصلها إلى الشّيخيّة عند الشّيعة الإماميّة، وتأسيسها يعود إلى حسين علي النّوريّ الملقب ببهاء الله [ت 1892م] في إيران، وهو الّذي آمن بدعوة الباب علي محمد الشّيرازيّ [ت 1850م]، وأنّ حسين النّوري هو من بشره الباب بأنّه من يظهره الله، وموعود الظّهورات السّابقة، وأتى بكتاب الأقدس، وفيه نسخ للعديد من الأحكام القرآنيّة كالصّلاة والصّيام والميراث، وهذا الكتاب هو المقدّس عند البهائيّة، ولهم كتاب آخر له قيمته الدّينيّة وهو الإيقان والوديان السّبعة، وجاء من بعده وواصل مسيرته عبد البهاء عباس أفنديّ [ت 1921م].

المهم كانت الجلسة في مجملها حول أطروحة الأستاذة، وهنا أخبرتها أنّ رسالة مهديّ عياشي في الماجستير قريبة من أطروحتها، ففرحت كثيرا، خاصة وأنّها على مشارف الانتهاء من الأطروحة ومناقشتها.

كذلك كان الحديث حول الإنسان وقيمه الكبرى، وما يحدث حاليا من تشويه له باسم الأديان ومنها الإسلام، وقلّة المراجعات والقراءات الجديدة، وكنتُ قد كتبت مقالات حول القيم الخلقيّة والإنسان من خلال الرّؤية القرآنيّة، طبعت في دار سؤال بلبنان 2016م، وكان بعض الحديث حول هذا الجانب في الكتاب؛ لأنّي أهديتها الكتاب في عمان!!

كذلك تمّ الحديث حول اليهود، والفرق بينهم وبين الصّهيونيّة، وكيف تمّ تشويه صورتهم كما تشوه داعش والجماعات المتطرفة صورة المسلمين والإسلام اليوم!!

كانت الجلسة سريعة لأنّي على موعد مع سماحة حسن الصّفار لتسجيل حلقة يوتيوبيّة معه، وكذا الذّهاب إلى زاخر مول، لهذا استأذنا على إصرار منهم للبقاء، وهنا أصر أبو حامد أن يحملنا بسيارته إلى النّزل، وبعد إلحاح منه وافقنا، وفي الطّريق كان الحديث حول ترجمته لأحد المصادر المهمة الّتي

إلى قاضي.indd 128 1/26/2019 9:24:20 AM

تتحدث عن البهائيّة، وهو كتاب الدّين البهائيّ لدوغلاس مارتن [معاصر] ووليام هاتشر [معاصر] الصّادر عن دار البديع والنّشر عام 2007م.

تسجيل حلقة مع سماحة الصّفار وزيارة المجمع التّجاري أفنيوز مول

بعد زيارة الباحثة إيميلي جوشن رجعنا إلى النّزل، حيث عندي موعد مع سماحة الشّيخ حسن الصّفار لتسجيل حلقة يوتيوبيّة حواريّة حول تأملات في وحدة وإنسانيّة الصّيام، وكان موعدنا العاشرة والنّصف صباحا، إلا أنّ الموعد تأخر لثلاثة أسباب: الأول أنّ للشّيخ جلسة فكريّة ومراجعات للفكر الدّيني مع الأستاذين خميس العدويّ وأحمد النّوفليّ وإبراهيم الصّلتيّ، والثّانيّ حضور أخوة من مملكة البحرين للتّسليم على سماحته، مقدّمين له بعض الكتب، وأحدهم كان من عائلة العصفور، وله طريقة في طريقة تعليم التّجويد عن طريق القصة، وأحفظ من هذه العائلة الشّيخ محسن آل العصفور رئيس الأوقاف الجعفريّة في مملكة البحرين، وله سلسلة علوم القرآن التّمهيديّة، صدر منها اثني عشر كتيا منها تفسير التّلاوة، وفقه آيات الأحكام، والقراءات القرآنيّة في كتاب العين، والثّالث حضور معالي الدّكتور عبد الهادي الصّالح، وقد أحضر لنا بعض كتبه، وله موعد خاص مع الشّيخ، وبما أنّ موعد خروج الشّيخ من النّزل إلى المطار السّاعة الحادية عشر، لهذا اضطررنا إلى تسجيل حلقة سريعة معه وقصيرة في الوقت نفسه لم تتجاوز الثّلث ساعة.

وأشرنا سابقا أننا سجلنا معه حلقة يوتيوبيّة في منزلي بمسقط بعنوان: تأملات في بعض جوانب التّفكير الدّينيّ، وأخبرني الأستاذ عبد الباري من مكتب الشّيخ في القطيف[1] بالمملكة العربيّة السّعوديّة بأنهّم قاموا بكتابة

(1) تمّ نشرها مكتوبة في موقع سماحة حسن الصّفار بالشّبكة العالميّة، وكذا ملخص هذه الحلقة من تأملات في وحدة وإنسانيّة الصّيام.

ةءاضبا.indd 129 1/26/2019 9:24:20 AM

اللّقاء وسينشر في موقع الشّيخ، وفي كتاب مسارات الّذي يوثق نتاج الشّيخ طول العام.

حلقة تأملات في وحدة وإنسانيّة الصّيام هي الحلقة العشرون من برنامج حوارات حيث سجلت الخميس 10 مايو 2018م، وتمّ بثها يوم الخميس 8 رمضان 1439هـ يوافقه 21 مايو.

وفي البداية تحدث سماحته أنّ من رحمة الله تعالى أن جعل شعائر المسلمين موحدة من صلاة وصيام وحج، وهذا الشّعائر توحد المسلمين؛ لأنّهم يتفقون في فرضيتها، ويتفقون بنسبة كبيرة في تفاصيلها العمليّة، والخلافات في مسائل فرعيّة ومحدودة، فمن المساوئ أن نترك المشترك الكثير، ونركز على المختلف القليل، والعقل يدعو إلى التّركيز حول المشترك، وهو منهج القرآن الكريم: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ [آل عمران/ 64].

ثمّ تطرق إلى مصطلح الجدل العقيم، فالجدل في أصله حالة إنسانيّة: ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلا﴾ [الكهف/ 54]، فالإنسان تكوينا يمر بحالتي جدل: حالة جدل داخليّ؛ لأنّه لا يقرر رأيا إلا بعد جدل مع نفسه، مع عقله وشهوته، وحالة جدل خارجي بينه وبين الآخرين، إلا أنّ الجدل يكون أحيانا هادفا، كهدف الاستفادة من الآخرين، أو بهدف إفادتهم لفكرة وصل إليها، وهناك جدل غير هادف كجدل الانتصار للذّات، أو استعراض العضلات.

وبعد هذا دخلنا في موضوع الصّيام وعلاقته بالتّربيّة الإنسانيّة، وذلك لأنّ الصّائم عندما يترك الطّعام والشّراب وهو مباح؛ هذا يربي لديه قوّة الإرادة، حيث يكون هو الحاكم على رغباته وشهواته، فللجسد تكوينا حاجات، إلا أنّ تحقيقها يكون وفق العقل ومراعاة الآخرين، ووفق المصلحة العامّة، وفي الوقت نفسه يتحقق من خلال الصّيام الإحساس بالآخرين الّذين لا يستطيعون تحقيق هذه الحاجيات.

ملف قاعض.indd 130 1/26/2019 9:24:21 AM

وبما أنّ شهر رمضان حدثت فيه واقعة بدر الكبرى في السّنة الثّانية من الهجرة، لهذا سيكون الحديث من جديد حول مصطلح الغزوة والسّبي والجزية، وهنا سماحته يرى أنّ المشكلة أنا نريد أن نقرأ أحداث الماضي بلغة وعقليّة وثقافة اليوم، فالمجتمعات البشريّة في مسيرة تطور تصاعديّة، فهذه المصطلحات والأحكام وفق بيئة وزمان معين، وللحروب أيضا ثقافات وأعراف يتوافقون عليها حينها بين جميع الأطراف والقبائل، واليوم نعيش عصرا متقدّما فيه منظمات دولية لها قوانينها ومواثيقها حول الحروب، فيجب أن نلتزم بها بصيغتها الإنسانيّة المعاصرة.

وبعد هذا اللّقاء السّريع ودعنا سماحته، وأصرّ أن يكون اللّقاء المقبل في القطيف بالمملكة العربيّة السّعوديّة، وهنا ذهبنا لصلاتي الظّهر والعصر، ثمّ نزلنا للذّهاب إلى مجمع الأفنيوز مول في منطقة الرّي الصّناعي، وهو أكبر مجمع تجاري بالكويت، وكما جاء في الموسوعة العالميّة ويكبيديا أنّه افتتح في أبريل 2007م، افتتحه أمير البلاد صباح الأحمد جابر الصّباح، وهو موزع على سبعة مناطق حسب أشهر العلامات التّجاريّة: فرست أفنيو، سكند أفنيو، غراند أفنيو، برستيج، سوكو، المول والسّوق.

والمول كبير جدا، لا يوجد له مثيل في الخليج من حيث التّنظيم والجمال، يصلح للتّسوق والسّياحة والمشي والرّياضة والتّرفيه، ولمّا دخلنا استوقفنا رجل متقدّم في العمر، ومعه طفل صغير، ورحب بنا ترحيبا كبيرا، وأثنى على أهل عمان، وله ذكريات معهم، ورحب لزيارته، إلا أنّ الأخوة اعتذروا لضيق الوقت.

وهنا اقتصرنا لزيارة الفرست، ثمّ ذهبنا إلى مطعم زوارة، وهو فرع من المطاعم الكويتيّة، مستلهم في بنائه وأكلاته وطاقمه من التّراث الكويتيّ، وهو مطعم رائع مزدحم بالنّاس، خاصة في الممر الخارجي.

ةعاضإ_ملق.indd 131 1/26/2019 9:24:21 AM

زيارة ديوانيّة الأحد وتسجيل حلقة مع معالي الدّكتور عبد الهادي الصّالح

بعد الانتهاء من زيارة مجمع أفنيوز مول ذهبنا إلى ديوانيّة الأحد، وأضيفت إلى الأحد لأنّ موعدها أسبوعيّا كلّ أحد، وهذه الدّيوانيّة لها اهتمام فكري وبالشّأن العام، وفي الكويت أكثر من مائتي ديوانيّة كما أخبرت، في كافة المجالات والتّخصصات، ولها تيسير قانوني كبير، خاصة إذا عندهم ضيوف من الخارج لا يحتاجون إلى ترخيص كالّذي عندنا، ولها إيجابيات كبيرة في نشر الوعي بشكل عامّ، خاصّة فيما يتعلّق بالدّولة ومؤسساتها المدنيّة والأهليّة، وفي نشر التّنوير في المجتمع، وفي تطور النّقاش بين المتخصصين في كافة المجالات وبين الشّباب، وفي التّلاقي بين أطياف المجتمع، إلا أنّ لها بعض السّلبيات أيضا؛ كالكثرة تؤثر في الحضور كمّا وكيفا، وفي استغلال بعضها استغلالا سلبيّا، إلا أنّ الإيجابات كثيرة جدّا، وبعضها لها نتاج وأثر حتى في الجانب الكتابيّ والإعلاميّ، كما رأينا في ديوانيّة تجمع الميثاق الوطنيّ.

وصلنا إلى منزل الأستاذ محمد البغيليّ في منطقة الرّحاب في السّاعة الخامسة عصرا، وذكرنا سابقا هو ابن أديب وشاعر الكويت المشهور حمود البغيليّ، فقد تعرّفت عليه في عمان لما جاء إلى عمان 22 يناير 2018م للمشاركة في المؤتمر الثّاني للفكر والّذي كان بعنوان الفكر ودوره في بناء الوعي بمنطقة الخليج العربيّ من تنظيم الجمعيّة العمانيّة للكتّاب والأدباء مشاركة مع مهرجان مسقط، حيث قدّم ورقة بعنوان مؤسسات المجتمع المدنيّ ودورها في البناء الفكريّ في الخليج العربيّ، وحضر ندوة التّسامح في ديوانيّة تجمع الميثاق الوطنيّ، وأصرّ على زيارته، فأعطيناه هذا الموعد لضيق الوقت، وكان يرجو أن يكون الأحد لأجل الدّيوانيّة أو يقدّم، ولكن قضي الأمر، وسدل ستار الجدول المعدّ!!!

ةءاضبا ملق.indd 132 1/26/2019 9:24:21 AM

وفي المجلس حضر شاعر الكويت الكبير حمود البغيلي والد أستاذنا، وأخوه صالح بن حمود البغيليّ، والدّكتور عايض البراك، والدّكتور محمد الشّريكة، والأساتذة سعود الرّاجحي وعادل الرّشيديّ ورشيد الفعم، وبعض الأخوة الآخرين، ولا ننسى الأخ المصريّ القائم بالخدمة، والّذي لا تفارقه ابتسامته!! وقد حدث نقاش في جوانب متعددة سياسيّة واقتصاديّة واجتماعيّة، وخاصّة ما يتعلّق بالخليج ومستقبله، والجانب الثّقافيّ والفكريّ، ومستقبل الشّورى والبرلمانات في الخليج، مع الإشادة بتجربة الكويت البرلمانيّة والدّيمقراطيّة، وضرورة التّداخل بين المثقفين والمفكرين والاستفادة من بعض خاصّة في الفترة الرّاهنة، وما يمر به العالم العربيّ من تراجع!!!

كان النّقاش شديدا، مع الأخذ والرّد وتبادل الأفكار والرّؤى، خاصّة مع الدّكتور البراك، وقد غمرونا بكرمهم وعظيم ضيافتهم، حتى جاء وقت صلاة المغرب، فصلّينا جماعة وكانت صلاة مشتركة الإمام سنيّ، ومن خلفه إباضيّة وشيعة وسنة، ثمّ تقدّمت بهم إماما لصلاة العشاء، وغرّد فيها هذا أستاذنا الدّكتور محمد البغيليّ في تويتر إذا يقول: مع نخبة النّخبة العمانيين وأعضاء ملتقى الأحد في ديوانيتنا بالرّحاب حيث الحوارات الفكريّة ثمّ صلاة الجماعة إذ اجتمع فيها السّنيّ والشّيعيّ والإباضيّ!!!، وغرّد عن الجلسة قائلا: تموت المذهبيّة مع العقول النّيرة، والنّية الصّادقة نحو المعرفة والإيمان، الإخوة العمانيون والمواطنون وبجانبي مسيحي فرنسيّ –أي يقصد الأستاذ مهدي عياشيّ– أثرو لقاء اليوم بالرّحاب!!

وبعد صلاة المغرب الأصل نذهب لحضور ديوان البدو وجلسة عن التّوافق المذهبيّ، وهو ديوان توافقيّ بين السّنة والشّيعة، إلا أنّ الأستاذ حمود السّند، وهو ناشط تويتريّ، ومعجب بالأستاذ خميس العدويّ، فلمّا سمع بوجود في عمان جاء إلى النّزل، وأصر أن يزوره العدويّ في بيته، والجدول مزدحم جدّا، ولم يجد العدويّ بدّا إلا الإجابة، فاعتذر لنا أن يذهب هو

ملحق عاض.indd 133 1/26/2019 9:24:21 AM

والأستاذ أحمد النّوفليّ لإجابة الدّعوة، وفي المقابل أيضا أستاذنا إبراهيم الصّلتيّ ارتبط بموعد مع بعض الأخوة الكويتيين في سوق المباركيّة، لهذا رجعت أنا ومهدي عياشيّ ويونس الحبسيّ إلى النّزل لتسجيل حلقة يوتيوبيّة مع الدّكتور عبد الهادي الصّالح.

وأمّا الأستاذان العدويّ والنّوفليّ ذهبا مع السّند إلى منطقة أبو فطيرة، وهي تبعد عن العاصة الكويتيّة ستا وعشرين كيلومترا، ومروا على منطقة القرين لرؤية بيت الشّهداء في غزو صدام حسين للكويت، حيث اجتمع هنا تسعة عشر جنديا، قتل منهم اثني عشر، ونجا سبعة، ونزلوا في ديوانيّة الأستاذ بدر النّجار، وشارك فيها مجموعة من الأساتذة والشّباب منهم عبد الوهاب الخاطريّ، وعبد الله الحميديّ، وعبد الرّحمن فلاح السّبيعيّ، وفصل الشّمريّ، وحميد الفيلكاويّ، وخالد الدّعيج، وعبد العزيز النّصار، كما التحق بهم المفكر الكبير ناصر الدّشتيّ، وكان الحديث حول القضايا الثّقافيّة ومؤسسات المجتمع المدنيّ، وتحدث العدويّ عن تجربة جمعيّة الكتاب والأدباء، بينما تحدّث النّوفليّ عن تجربة شبكة المصنعة الثّقافيّة، فقد تأخرت الجلسة إلى الثّانية عشر ليلا!!

المهم لما وصلنا النّزل أتى بعد فترة بسيطة معالي الدّكتور عبد الهادي الصّالح وزير الدّولة لشؤون مجلس الأمّة 2006م، فقمنا بتسجيل الحلقة في نفس اليوم في النّزل 10 مايو 2018م السّاعة التّاسعة ليلا، وبثت في القناة 24 مايو في برنامج حوارات الحلقة الواحدة والعشرين بعنوان التّعدديّة والحوار في ظلّ المواطنة وانتشار الطّائفيّة.

والدّكتور من مواليد الكويت 1951م، وله ماجستير في المشروعات الكويتيّة من الجامعة الإسلاميّة – لندن، ودكتوراه في الأوقاف الجعفريّة من الجامعة نفسها، وهو عضو في الجمعيّة الاجتماعيّة التّربويّة، والجمعيّة الكويتيّة للاتحاد الوطنيّ، والجمعيّة الكويتيّة لحقوق الإنسان، من كتبه تعال

ةءاضبلا قلق.indd 134 1/26/2019 9:24:21 AM

نتفاهم حوار رمزي بين سني وشيعي دعيج وجعفر، وكتاب الأمّة وأهل البيت، وهو مهتم كثيرا بالأوقاف وتنميتها.

ويرى الدّكتور أنّ الطّائفية من أكبر الأمراض في البيت المتعدد مذهبيّا، ومن أكبر أسبابها الجهل بالآخر، فيتولد التّقول على المخالف، والتّعصب في التّعامل معه، لهذا التّعدديّة في الأصل شيء إيجابيّ، وتعميق الحوار ضرورة وفهم الآخر ضرورة أيضا للحفاظ عليها، فنحن بحاجة إلى الحوار والتّسامح والإعذار.

وأمّا عن الدّيمقراطيّة في الكويت فيرى أنّها قديمة حتى قبل الدّستور 1962م، فظهر ذلك لمّا تمّ اختيار الأمير الأول صباح الأول [ت 1762م] عن طريق المجتمع، بجانب تميز الكويت بالمجالس كمجالس الأوقاف، ومجالس البلديّة، وهي قائمة على التّشاور، ثمّ تطورت حاليا إلى الدّيوانيّة، وهي ملتقيات متنوعة ومفتوحة للجميع، مع وجود بعض التّطرف والتّعصب في بعضها ممّا يؤثر نوعا ما على العلاقات المجتمعيّة، إلا أنّ المنفعة والفوائد أكثر بكثير، خصوصا أنّ الدّستور الكويتيّ يحمي الجميع كما في المادّة 34 الّتي تحمي حريّة الرّأي، والمادّة 35 الّتي تحمي حريّة العبادة وممارسة الشّعائر.

ويرى أنّ في الكويت حقيقة لا توجد أقليات؛ لأنّ الدّستور الكويتيّ يساوي بين الجميع، إلا أنّ المشكلة في التّطبيق عندما ينظر البعض إلى الآخر على أنّهم أقليّة؛ فيحاول مصادرة حقهم، وهنا تكمن الإشكاليّة في نظرة البعض لا في الدّستور!

ثمّ تحدث عن الصّراع بين السّلطتين: التّشريعيّة والتّنفيذيّة، وبيّن هذا شيء طبيعيّ، إلا أنّ المشكلة عندما يكون الصّراع خصوصا في التّشريعيّة لخدمة قضايا شخصيّة وفئويّة، وفي التّلاعب أو مخالفة الدّستور الحامي للجميع.

ملف عاض.indd 135 1/26/2019 9:24:21 AM

وأمّا عن موضوع المواطنة والإسلام فيرى لا تناقض؛ لأنّ الوطن فطريّ وطبيعيّ، والإسلام أقرّ ذلك، والرّسول عليّه الصّلاة والسّلام لما هاجر إلى المدينة حنّ إلى وطنه مكة، إلا أنّ المواطنة الحقيقيّة ليست شعارات وأغانيّ؛ بل مبادرات يبادر بها الفرد في خدمة ورقيّ وطنه، مع احترام دستور بلاده، والدّفاع عن دياره، وفي الوقت نفسه يحترم أوطان الآخرين ودساتيرهم، ويسعى إلى تحقيق التّكامل مع الآخر لا الصّراع معه.

وفي قضيّة الوقف يرى أنّ الوقف يساهم بقوّة في الاقتصاد الوطنيّ، خاصّة عندما يفعل بصورة حضاريّة، وفي أوقاف خدميّة وإنشائيّة وتنمويّة، وفق عمل مؤسسيّ، حيث هناك أوقاف للصّحة والتّعليم ورعاية الأيتام والمساجين والسّياحة مثلا، ومن الجميل في القديم كانت أوقاف مثلا للعاملات في المنازل، حيث لّما تكسر العاملة الصّحون بدون تعمّد منها يعوّض ذلك الوقف.

والوقف في حقيقته يحدث تكاملا بين الدّولة ومؤسسات العمل المجتمعيّ، كما يحقق الشّراكة بينهما في البلد الواحد، خصوصا في الجانب الخدميّ، ثمّ إنّ الوقف يستطيع أن يحقق ما تنتجه الدّولة من النّفط إذا فُعّل، والوقف عموما قديم حتى عند الفراعنة، وليس مرتبطا بدين؛ بل موجود من القدم عند جميع الأديان، وأن تطور في مصطلحه، إلا أنّ الصّورة في الجملة واحدة مع اختلاف الوسائل والغايات.

وبعد هذا اللّقاء اليوتيوبيّ مع معالي الدّكتور كان آخر برامج هذا اليوم لنستعد ليوم جديد نسجل فيه حلقتين يوتيوبيين في الكويت كما سنرى في الحلقة القادمة.

تسجيل حلقتين مع النّوفليّ والبغيليّ

في صباح يوم الجمعة 11 مايو، والأصل أنّ هذا الوقت معدّ للتّسوق؛

ملف عاض.indd 136 1/26/2019 9:24:21 AM

لأنّ السّفر ظهرا، ولهذا رأيته فرصة مناسبة لتسجيل حلقتين يوتيوبيتن، الأولى مع الأستاذ أحمد النّوفليّ، والثّانية مع الدّكتور محمد البغيليّ الّذي أشرنا إليه سابقا.

وقبل تسجيل حلقة مع الأستاذ النّوفليّ إذا برجل من القطيف اسمه أحمد حسن مكي يأتي للسّلام علينا بحرارة، وأثنى على عمان وأهلها، ثمّ أعطانا رقم هاتفه لزيارته في القطيف، قلت له ربما نأتي قريبا؛ لأنّ سماحة حسن الصّفار طلب منا ذلك أكثر من مرة، فوعدناه أنّ الزّيارة قريبة بإذن الله تعالى.

بدأتُ تسجيل الحلقة اليوتيوبيّة مع الأستاذ أحمد النّوفليّ السّاعة التّاسعة صباحا في نفس النّزل، وكانت بعنوان: مراجعات في جوانب من التّراث، وبثت في رمضان في برنامج حوارات الحلقة 22، وإذ نحن نبدأ التّسجيل إذا برجل كويتيّ يظهر أنّه في الخمسينيات من عمره يتقرب إلينا، وجلس حتى نهاية اللّقاء، وأعجبه الحديث، وأثنى كثيرا، ثمّ قال: لماذا شيوخنا لا يقولون مثل هذا؟!!!

في البداية تحدّث عن التّراث، وقال لا توجد أمّة لا يوجد فيها تراث، سواء كان ماديّا أو معنويّا أو شفهيّا، والتّراث من اسمه قديم، والسّنة الطّبيعيّة أنّ القديم يبلى، فإذا كان التّراث ماديّا كانت التّعريّة والظّروف المناخيّة تؤدي به إلى التّآكل، وإذا كان معنويّا أو شفويّا فإن تقدّم العمران والحضارة، وتطور العقول والأفكار سوف تؤثر فيه، فهناك من يمجد التّراث تمجيدا لا نظير له؛ فهذا كأنّه يعيش في التّراث والماضي، فهذا لا يعيش واقعه، ومن الصّعب أن يتقدّم، وهناك فريق معاكس يرى لابدّ من القطيعة مع التّراث، إلا أنّ هذه الرّؤية ليست سليمة، بسبب أنّ التّراث ليس كلّه سيئا، فجزء منه مفيد، فلماذا لا نأخذ بالمفيد منه، بما لا يتعارض والواقع، وعليه التّراث لا يقبل كلّه، ولا يترك أيضا كلّه، فهنا نحن نتعامل معه وفق الغربلة والنّقد والتّحليل، ثمّ

137 .indd ةعاضإ قيرط 1/26/2019 9:24:21 AM

إنّ التّراث في النّهاية إنتاج بشريّ، وبما أنّ البشر يصيبون ويخطئون؛ فعليه التّراث أيضا يكون فيه الصّواب والخطأ.

ثمّ تطرق إلى قضيّة السّنة، وبين أنّ الخلل ليس في السّنة، ولكن في الخلط بين السّنة والرّواية، فالقرآن خطاب إلهيّ، ثمّ تأتي السّنة، ثمّ الرّواية، فلا جدال في القرآن في صحة نسبته إلى الله سبحانه وتعالى، وأمّا السّنة فهي التّطبيق العمليّ للكتاب من قبل النّبيّ ﷺ، فهذه تناقلها المسلمون إباضيّة وسنّة وشيعة بلا خلاف بينهم، كصلاة الظّهر أربع ركعات مثلا، وأمّا الرّواية فهي مدونات نسبت إلى النّبيّ -ﷺ-، فهذه النّسبة قد تكون صحيحة، وقد تكون غير صحيحة، فهنا تعرض على القرآن والسّنة والعقل وسنن الحياة، فإن وافقت القرآن مثلا قال النّبيّ أم غيره فهي رواية مقبولة، وكذا إن وافقت السّنة والعقل وسنن الكون، فالرّواية جملة كتبت بعد وفاة النّبيّ بأكثر من قرن، فهي لم تدوّن في عهد النّبيّ، كما توجد روايات النّهيّ عن الكتابة نفسها، فلهذا قد يقول سائل: كيف تقبلون روايات النّهي عن الكتابة، فهنا يأتي المقياس القرآنيّ، وهذا أنّ روايات النّهي تتوافق مع كليات القرآن الكريم، وذلك أنّ النّبيّ أمر تبليغ القرآن وعدم الزّيادة، وعليه النّهي عن كتابة الرّواية تتوافق وهذا الخطّ.

ثمّ تحدث عن كتابه أقانيم اللامعقول والّذي في ثلاث حلقات حيث تحدّث فيه عن قضيّة الأسطورة والخرافة والملائكة والجنّ والأحلام والتّقليد، فالبعض يقول لماذا تشتغلون بهذا ولا تتجاوزونها، وفي الحقيقة نحن نطرحها لأنّ هنا إشكاليّة في التّفكير الإسلاميّ حول هذه الجوانب، كقوله أنا رأيت الملائكة، أو نزلت علي، فيحاول تجسيدها في الحياة، وكذا الحال مثلا في عذاب القبر، فالقرآن لم ينص عليه، بيد أنّ هناك من يخطب ويهدد بها النّاس وهي روايات ظنيّة، فنعيش في خوف لا وجود له في الحقيقة.

ثمّ تطرق إلى أنّ القرآن الكريم لمّا تحدّث عن حياة النّاس أطلق لفظة

ملف عاض.indd 138 1/26/2019 9:24:21 AM

التّعاون والتّعارف والعفو والإحسان والمعروف، فهذه المصطلحات واسعة، وتشير إلى حياة إنسانيّة متفاعلة، فالتّعاون مثلا يكون بين النّاس جميعا، وليس محصورا في قبيلة أو جنس، وكذا العفو أيضا، وهذا خلاف التّسامح، فكأنّ الشّخص الآخر مخطئ وأنّا الصّحيح، فألفاظ القرآن الكريم تتسع للعديد من المعاني، ولكلّ زمان لغته، ومع هذا لا نرفض لفظة التّسامح مثلا عندما نستخدمها بمعنى التّعارف والتّعاون، وأمّا بمفهوم أنّي على حق والآخر على خطأ، فلابدّ من التّنازل، فهنا يصطدّم مع الفكر الإنسانيّ بتقليل الآخر.

وأمّا فكرة كتاب أثر الفقه العمانيّ على السّلوك المجتمعيّ: التّسامح نموذجا، فقال فكرة الكتاب الأصل للصّحفيّ الأردنيّ الأستاذ نبال خماش، وإنّما تعاونت معه، وذلك لمّا أتى إلى عمان كصحفيّ أعجب بالتّسامح والتّعايش العمانيّ، فأراد أن يبحث، ولذلك قام بقراءة بعض الكتب كبيان الشّرع والمصنف، فهو وجد أنّ للفقه العمانيّ أثرا كبيرا في هذا، فخصصنا البحث من القرن الثّاني إلى السّادس الهجريّ.

وبالنّسبة لكتابي أقانيم اللامعقول فمعنى الأقانيم أي الأصول والنّواة والجوهر، واللامعقول ليس بمعنى الجنون، وفي الفكر الإنسانيّ منطقتان: العاقل والمجنون، وعليه توجد منطقة أخرى بين المنطقتين وهي اللامعقول، فالخرافة مثلا نسبيّة، فما تراه خرافة قد لا يراه الآخر خرافة، وكذا الأسطورة أيضا، فأراه أنا ليس معقولا، وهذا لا يعني الّذي يراه ويثبته أنّه مجنون، والعنوان ليس جديدا فاستخدمه على يحيى معمر [ت 1980م] في كتابه الأقانيم الثّلاثة أي المرأة والحاكم والطّفل، والكتاب من ثلاث حلقات، الحلقة الأولى عن التّقليد ورؤيتي شخصيّا رفض التّقليد مطلقا، كان لفقيه أو رجل دين، والأسطورة، حيث تحدّثت عن بعض أساطير المسلمين في موروثاتهم، كالأسطورة في الحديث والفقه والتّفسير وكتب التّأريخ، فمثلا لفظة حواء

ملف عاض.indd 139 1/26/2019 9:24:21 AM

لم ينصّ القرآن على هذا الاسم، فهو مستنبط من التّفسير والإسرائيليات، وتحدثت فيه عن الخرافة، فتحدّثت حولها عن الجنّ والسّحر والكرامات.

وفي الحلقة الثّانية تناولت قراءة تحليليّة لروايات الوحي والملائكة، فمثلا الوحي واحد وهو القرآن، فلا يوجد وحي قرآنيّ ووحي نبويّ، وقضيّة نزول الملائكة في ليلة القدر وتكرر الحادثة إلى اليوم.

وفي الحلقة الثّالثة تحدّثت عن الأحلام والرّؤى -علما أنّ للجنة الفكر حلقة مع النّوفلي حول هذا الجانب، قدّم القراءة الوصفيّة المحامي أحمد بن هلال العبريّ موجودة في القناة اليوتيوبيّة-.

وبعد الانتهاء من تسجيل الحلقة مع الأستاذ النّوفليّ حضر الأستاذ محمد البغيليّ ومعه الشّاعر القطريّ عايض الحبابيّ، وسجلّت مع البغيليّ حلقة في العاشرة والنّصف صباحا بعنوان تاريخيّة الشّورى وعلاقتها بالدّيمقراطيّة، وبثت في برنامج حوارات الحلقة (23)، حيث تحدّث بداية عن الشّورى والدّيمقراطيّة، فالدّيمقراطيّة في أصلها حكم الشّعب، بحيث يحكم شؤونه عن طريقة الانتخاب، بيد أنّ الشّورى لا تنص على قضيّة الانتخاب، كذلك ليس للشّورى واقع تأريخيّ مثل للدّيمقراطيّة، ولا يوجد تطبيق تأريخي للشّورى أيضا، بل على العكس في قريش توجد أحلاف تقوم على المشّورة نصرة للمظلوم، وطبّقت بصورة محدودة أثناء احتضار الخليفة الثّاني عمر بن الخطاب [ت 23هـ] عندما جعل الشّورى في ستة من بعده، ومع هذا كان هذا أقرب إلى التّعيين.

وأرى أنّ الحق في الخلافة للأنصار، لا للهاشميين ولا للقرشيين، فإذا كانت للأسبقيّة فيكون بعد أبي بكر الصّديق [ت 13هـ] أبو ذر الغفاريّ [ت 32هـ] أو عليّ بن أبي طالب [ت 40هـ] وليس عمر بن الخطاب، وإن كان للعشيرة لفاز بها علي بن أبي طالب أو العباس بن عبد المطلب [ت 56هـ]، وسياسيّا وقف خطيب الأنصار الخباب بن المنذر [توفي في عهد عمر 13 –

إلى آفاق جديدة.indd 140 1/26/2019 9:24:21 AM

23هـ] وقال: الأمر أمركم، والنّاس في فيئكم، والنّاس كلّهم في المدينة، فما حدث في سقيفة بني ساعدة ليس من الشّورى؛ بل هي فوضى عشائريّة.

أمّا روايات الأئمة من قريش، أو الوصيّة لعليّ بن أبي طالب بالإمامة هي روايات سياسيّة، فالنّبيّ جاء مبشرّا ونذيرا وليس حاكما، فإذا جئنا إلى رواية الأئمة من قريش سنجد بعد ابن تيميّة [ت 726هـ] والغزو المغوليّ ليس الأئمة من قريش، والتزم النّاس بالسّلاطين العثمانيين، ولو كان فيه نص ديني لظلّ باقيا إلى اليوم.

وبالنّسبة للتّراث نقدا أو رفضا أو توافقيّا فلمحمد عابد الجابريّ [ت 2010م] ومحمد شحرور [معاصر] ونصر أبو زيد [ت 2010م] وغيرهم مشاريع حقيقيّة لنقد التّراث، سواء كانت نقدا لاذعا، أو توفيقيّا على خجل، بيد أنّ هذه المشاريع لو كانت على مقاصد واضحة لكانت تدرس في المدارس، ولكان هؤلاء الرّجال عظماء، إلا أنّهم في الحقيقة محاربون وكتبهم ممنوعة، ففولتير [ت 1778م] وجان جاك روسو [ت 1778م] وغيرهم لم يكونوا ملائكة؛ بل كانوا بشرا مثلنا يصيبون ويخطئون، إلا أنّ أفكارهم غيّرت في المجتمع وحرّكت، ومثل هؤلاء في تأريخنا ابن تيميّة والعز بن عبد السّلام [ت 1181هـ] فكانوا مؤثرين، توافقنا معهم أو اختلفنا، وعليه حتى تؤثر هذه المشاريع لابدّ أن تكون على مقاصد واضحة، وعلى خارطة عمل أو طريق واضح أيضا.

أمّا عن كتابه الدّيمقراطيّة في الكويت فتحدّث أنّ للكويت تجربة متقدّمة في المنطقة، فرئيس الوزراء والدّاخليّة مثلا يقفان على المنصة، في حين أنّ في دول أخرى عربيّة يكاد لا يستطيع أحد أن يحدّثهم، ومع هذا يجب تطوير النّظام الدّيمقراطيّ في الكويت وإلا سقطت، فقلت في الكتاب أنّ الفوضى السّياسيّة مثلا مقبلة لسبب بعض المظاهر المخيفة، وفعلا حدثت الفوضى في 2011م، وخلع رئيس الوزراء، ولهذا لابدّ من تعديل الدّستور،

141 .indd ملحق عاض 1/26/2019 9:24:21 AM

وقد كتب في 1962م في نظام ديمقراطيّ متقدّم في ذلك الوقت، بيد أننا اليوم في الألفيّة الثّالثة في عالم متغير، فدخلت مثلا المرأة كناخبة ووزيرة، ولهذا لابدّ من تعديل الدّستور.

ثمّ تحدّث عن حبّ الانتماء وقال إنّه حالة طبيعيّة، فأوباما نجح بالمولونين كالسّود والصّينيين واللّاتينيين والعرب، وفي إسرائيل يتحدّثون عن اليهود الشّرقيين بنوع من الاحتقار أو الازدراء، وفي إيران مع أنّه بلد انتخابيّ إلا أنّه مقيّد بطبقة من العلماء، وكذا لبنان مع كونه بلدا ديمقراطيّا إلا أنّ الطّائفيّة منتشرة فيه، فالانتماء لا يمكن إلغاؤه، إلا أنّ المشكلة إذا قيّد هذا الانتماء لمصالح شخصيّة أو فئويّة أو آنيّة ضيقة جدّا.

ولمّا نتحدّث عن تطوير الدّستور لا يعني ذلك الحدّ من الحريات؛ بل إضافة العديد من الحريّات، فمثلا قانون الوحدة الوطنيّة ضبطت العمليّة بحيث لم يستطع أحد أن يشتم الآخر علنا حتى على مستوى وسائل التّواصل الاجتماعيّ.

وحول كتابه المعارضة السّياسيّة في الإسلام قال إنّ المعارضة في الإسلام لم تبدأ أصلا، وإنّما أحاول نقد التّجربة السّياسيّة الإسلاميّة من باب المعارضة، فلست علمانيّا أنفي وألغي بدون علم، ولست عدّوا للإسلام، وإنّما أنا باحث وناقد، فإذا أتينا من عهد أبي بكر الصّديق وحتى آخر خليفة أمويّ مروان بن محمّد [ت 132هـ]، لا يوجد خليفة اختير أو عيّن بنفس آلية من سبقه، بحيث لا توجد معارضة تأريخيّة أصلا تسمح بمعارضة السّلطة.

لهذا ظهر مفهوم الغلبة، فهنا الباغيّ إذا تغلّب صار حاكما شرعيّا، وهنا يقول ابن عمر [ت 73هـ]: أصلي خلف من غلب.

وأمّا حروب الرّدة فكان يوجد خلاف بين سجاح [ت في عهد معاوية بن أبي سفيان 41 – 60هـ] وطليحة [ت 21هـ] ومسيلمة [ت 12هـ]

ءاضإ قلم.indd 142 1/26/2019 9:24:22 AM

فهؤلاء كانوا يريدون الاستمرار على طريقة بني إسرائيل في استمرار النّبوة، وأمّا مالك بن نويرة [ت في واقعة اليمامة 11هـ] وبعض القبائل رفضوا تقديم الصّدقة لأبي بكر، وما منعت في الإسلام شيء، لهذا رأى عمر ابن الخطاب أنّ دمهم حرام، إلا أنّها كانت مسلحة كالقرامطة والخوارج، فهذه معارضة دينيّة مسلّحة، فهي قامت على أساس دينيّ وفق نصوص معينة، وكانت هناك معارضة حزبّية داخليّة في نطاق ضيّق كمعارضة أبي ذر وعمر بن الخطاب وعبد الرّحمن بن عوف [ت 32هـ]، والمعارضة النّاعمة أو الفكريّة كمعارضة الجعد بن درهم [ت 105هـ] والجهم بن صفوان [ت 128هـ] وأحمد بن حنبل [ت 241هـ] وابن رشد [ت 595هـ] فمنهم من قتل ومنهم من سجن ومنهم من نفي.

ومع هذه الأنواع من المعارضة ليست هي المعارضة بالمفهوم الدّيمقراطيّ الحاليّ، فهذه معارضة مؤسسيّة مدنيّة حزبيّة واضحة ونقابات وفق تجربة لفترة معينة.

وأحيانا نحن باجة أن ننقد الرّواية التّأريخيّة من منهج أهل الحديث، فالقعقاع بن عمرو [ت ؟] مثلا لا يوجد له رواية إلا من طريق سيف بن عمر التّميميّ [ت ؟]، فهذا فهيه شبهة، وكذا الحال لابدّ من المنهج العلميّ واللّغوي، فالتّوراة مثلا الآن من خلال اللّغويات أنّها من الحجاز أو اليمن كما عند فاضل الرّبيعيّ [معاصر].

أمّا الإسلام السّياسيّ لا وجود له كنظريّة وإنّما كممارسة، ومع هذا أي تيار يحمل في طياته العنف والإقصاء فهو مخيف كان إسلاميّا أو علمانيّا.

والمعارضة عموما إذا كانت وطنيّة لا تحرّك من أصابع خارجيّة أو تبنى على أسس طائفيّة فهي ظاهرة صحيّة، ولابدّ أن تكون ذات معالم واضحة ومكشوفة للجميع.

إلى قاعة المطالعة.indd 143 1/26/2019 9:24:22 AM

والملكيات منذ القدم تفتح أبوابها للنّقد والاعتراض، حتى في الخليج؛ شريطة عدم القرب من السّلطة، أو أن تكون النّوايا صادقة للإصلاح، وفي وقته، فخوفهم من دخول بيانات سريّة وتنظيمات مخيفة، ودخول أسلحة باسم المعارضة أو الإصلاح فهذا طبيعيّ يخيفهم.

وبهذا وصنا إلى نهاية الحلقة وبثت في رمضان في القناة، وبعد هذه الحلقة كان الاستعداد لصلاتي الظّهر والعصر ثمّ الذّهاب إلى المطار والرّجوع إلى الوطن.

الرّجوع إلى الوطن

بعدما أنهيتُ تسجيل الحلقة مع الدّكتور محمد البغيليّ أسرعنا للاستعداد للسّفر، وكان الأصل الأستاذ مهدي عياشي رحلته الثّانية عشر ظهرا بتوقيت الكويت، ورحلتنا الثّانية ظهرا، فاتصل بالعمانيّة، ووافقوا على جعل رحلته معنا، ولم يأخذوا عليه شيئا والحمد لله تعالى.

ذهبنا لصلاتي الظّهر والعصر في النّزل، ثمّ انطلقنا إلى مطار الكويت، وكان مزدحما جدّا، بسبب الصّيانة في بعض مرافقه، ولأنّهم يبنون مطارا جديدا سبق الحديث عنه، وهنا تأخرنا لأنّ الأستاذ مهدي عياشيّ نسي إحضار ورقة تأشيرة الدّخول في النّزل، والموظفة الفلبينيّة في المنضدة رفضت إتمام الأمر، وهنا تدخل الأستاذ أبو عمار، وكلّم أحد المختصين، وتمّ الأمر بسلام، وفي هذا الانتظار التقينا ببعض الأخوة العمانيين، ومنهم الأستاذ محمد المكتوميّ من بيت الزّبير.

بقي وقت للتّسوق، وأنا شخصيّا لم اتسوق بسبب زحمة العمل والتّسجيلات، فلم أجد وقتا، ثمّ ذهبنا إلى القاعة رقم (9) وانتظرنا كثيرا، ولمّا دخلنا كان مهدي مع الأستاذ خميس العدويّ ومعهم الأستاذ أحمد النّوفليّ، فطلب العدويّ من مهدي أن يكون معهم في بوابات مجلس التّعاون،

ةعاضإ_ملق.indd 144 1/26/2019 9:24:22 AM

والأصل أنّه يكون في البوابات الأخرى، وطلب منه ذلك العدويّ حتى لا يتأخر ويسهل إجراءاته، إلا أنّ مهدي وقع في ذات المشكلة وهو عدم وجود ورقة تأشيرة الدّخول، وهنا تدخلا لمساعدته، فذهبا إلى مكتب في الخلف، وقاموا بالبحث في الجهاز ووجدوا مهدي فعلا أخذ تأشيرة دخول، وهنا شكر مهدي الأخوة أنّهم طلبوا منه تأجيل السّفر وإلا ربما وقع في مساءلات بسبب نسيان ورقة!!

بعد الانتظار قيل لنا الطّائر تأخرت فاذهبوا إلى القاعة رقم (5)، وانتظرنا لوقت أطول، والمكان ضيق، والعدد بالنّاس مزدحم، فمنا من وجد مكانا يجلس فيه، ومنا من مارس رياضة المشي، ومن ظلّ واقفا، لهذا تأخرنا إلى العصر، وأقلعت الطّائرة، ووصلنا مسقط ليلا، وفي مسقط كانت الإجراءات سريعة إلا أنّ الحقائب تأخرت كثيرا، والحمد لله هذه المرة كانت حقيبتي من أوائل الحقائب وصولا!!!

ودعنا الجميع، وكان هذا مجمل هذه الرّحلة، وإن كان ثمّة حديث يقال في الختام، هو شكرنا للشّعب الكويتيّ الّذي يتميز بصفتين: الكرم والثّقافة، فالحريّة والدّيوانيات ساهمت بشكل كبير في النّمو الثّقافي والتّنويريّ عموما في الكويت، فتجد غالب من يشارك ويحلل وينقد من فئة الشّباب، كما تجد الخلطة بين كبار المسؤولين وباقي شرائح المجتمع بشكل طبيعيّ جدا، خصوصا في المناشط الثّقافيّة.

إنّ الكويت بوابة الخليج في التّنوير والعطاء الفكريّ والثّقافي والفنيّ، ولئن رأت النّور مجلات دبي الثّقافيّة ونزوى والدّوحة مؤخرا فإن مجلّة العربيّ كانت الإشعاع الثّقافي من 1958م، فضلا عن الإذاعة والتّلفاز والعطاء الفنيّ.

ثمّ إننا في الخليج ثقافيّا بحاجة إلى خلطة بعيدا عن السّياسة وصراعها، والمذاهب وتعصبها، فيعيش المثقف والقارئ والكاتب والباحث والفنان

ملف عاض.indd 145 1/26/2019 9:24:22 AM

في أجواء الإنسان وعقله وقلبه، خاصّة ونحن في الخليج خصوصا أسرة واحدة، قبل أن نكون في ست دول، وعندما يهتم المثقف بالإنسان وتآلفه وترابطه وحرياته؛ بلا شك سيسقط أثر هذا على الجميع، وسيؤثر على نمو الإنسان نموا متكاملا يخدم بعضه بعضا، وما أثر ذلك ببعيد إذا ما أخلصت النّية، وكان الإنسان هو الغاية لا المصالح الفئويّة!!

146 indd.ملق ةءاضبإ 1/26/2019 9:24:22 AM

مذكرات حج 1435 هـ[1]

أتناول هنا أيها السّادة مذكراتي عن رحلة الحج 1435هـ، في خطوط سريعة أشير إلى أهم النّقاط والفوائد، والمصاعب والحلول.

في مطار مسقط

ذهبنا إلى مطار مسقط الدّوليّ السّاعة الثّامنة صباحا، وطائرتنا كانت الخطوط الجويّة القطريّة، وممّا وجدناه لديهم التّسهيل الكامل، ومحاولة خدمة الحجاج، وتسهيل أمورهم بكلّ سرعة، وابتسامتهم لا تفارقهم، وحينها لا يوجد لدي بطاقة حج؛ لأنّ الوزارة أعطت تصريحا لكلّ ثلاثين حاجا أن يُسمح لشخص بخدمتهم ويعطى بطاقة خدمة، وكنت ملتحقا بالوعظ، وهذه فرصة لإعطاء البطاقات الرّسميّة لغيرنا خاصة ممّن لم يحج، ومع ذلك أعطينا ورقة فيها تصريح، إلا أنّ القائمين لم يكن لديهم علم ومع هذا تجاوبوا مع الموضوع بانسيابية[2].

(1) ما كتبته في هذه الرّحلة حسب ما رأيته ولامسته لتسع سنوات خلت وأنا أتكرر على الحج، إلا أنّ الوضع تغير تدريجيا وفي تطور ملموس لإرادة المملكة العربيّة السّعوديّة في التّغيير والتّطوير، وجهودها لا تنكر، ولها الشّكر فيما أحسنت فيه، وكذا بالنّسبة عندنا فيما يتعلّق بالحجاج العمانيين، من قبل وزارة الأوقاف والشّؤون الدّينيّة، خاصّة مع النّظام الالكترونيّ الجديد، والتّقنين المستمر.

(2) هذا قبل تفعيل النّظام الالكترونيّ للحج.

ملحق عاض.indd 147 1/26/2019 9:24:22 AM

تأخرتْ قليلا الخطوط الجويّة القطريّة عن الإقلاع من مطار مسقط الدّوليّ، وقدّمت اعتذارها ثلاث مرات، مرة عند الإقلاع، والثّانية حين استقرار الطّيران، وثالثا أثناء الهبوط، وثقافة الاعتذار ثقافة رائعة، وعمل نبيل.

في مطار حمد بالدّوحة

نزلنا في مطار حمد بالدّوحة ظهرا، والمطار ضخم جدا، وفي قمّة النّظافة والنّظام، عندما دخلت دورة المياه هناك موظف بنجلاديشيّ يبتسم لك ويرحب بك، ويختار لك الحمام، ويتأكد من نظافته وتعقيمه قبل دخولك، ويحافظ على لوازمك الشّخصيّة، وفي المطار تجد الجميع مبتسما ومرحبا، من النّزول وحتى الخروج، وكان النّزول سريعا أقل من السّاعة، بعدها ركبنا طائرة أخرى، للوصول إلى مطار الطّائف.

في مطار الطّائف الدّوليّ

نزلنا في مطار الطّائف وأذان العصر يؤذن، وكانت طائرتنا الوحيدة حينها هناك، والمطار صغير، فتُح دوليا تقريبا من سنة ونصف حسب ما أخبرنا، ومع هذا أمورنا انتهت بسرعة، خلافا لمطار جدّة، فكلّ من جاء عن طريق جدّة يتأخر من خمس ساعات فما فوق، ومعاملتهم كانت جيدة، والخدمات بالمطار متدنية، والنّظافة كذلك، وفرق كبير بين مطار حمد والطّائف في النّظافة.

أعدت لنا حملة المرشدون ثلاث حافلات كبيرة تابعة للنّقل الوطنيّ السّعوديّ، وموزعة الأسماء سابقا، وكنا نحن الوعاظ ثلاثة، فوزعنا على الحلافات، ولكلّ حافلة مجموعة من الإداريين لخدمة الحجاج، وكان نصيبي الحافلة رقم (2)، ووقفنا عند ميقات السّيل الكبير بالطّائف، وأُمِر الحجاج بعدم الاغتسال؛ لأنّهم اغتسلوا من عمان، وكلّ تأخير سيضرنا، فصلّينا الظّهر والعصر جمع تأخير في المسجد، وكان المسجد خاليا، وهو نظيف، والحمامات

148 .indd ملحق عاض ا 1/26/2019 9:24:22 AM

كثيرة ونظيفة، ومعدّة للاغتسال، ثمّ أحرمنا من الحافلة، وبعدها اتجهنا إلى مكة.

الانطلاق إلى مكة

بعد دقائق من الانطلاق قابلتنا أول نقطة تفتيش، واستوقفونا جانبا، حيث مجموعة من رجال الأمن السّعوديّ، ويتسمون بالغلظة والشّدة، لا يكاد يبتسمون، ويصرخون كعادة البدو عند الخطاب، طلبوا الكشف لكلّ حافلة، وأخذوا عينات للتّحقيق، وكان لديهم جهاز مربوط آليا بين وزارة الحج السّعوديّة وبعثة الحج العمانيّة، وفيه جميع البيانات، فقط يدخلون رقم الجواز وتظهر لهم البيانات كاملة، الحمد لله مرّت الأمور بسهولة وإن تأخرنا أكثر من نصف ساعة.

الوصول إلى السّكن في مكة

وصلنا إلى السّكن في جبل النّور بعد المغرب، وكان السّكن عبارة عن مدرسة مهيأة، فيها قاعة كبيرة للطّعام والأمسيات والمحاضرات، وأسماء الغرف موزعة على الحجاج مسبقا، وجدول المحاضرات والأمسيات مرتبا، واللّجنة الإداريّة للحملة بذاتها قامت بحمل الحقائب وإيصالها للأعلى، فصلّينا المغرب والعشاء جمع تأخير، ثمّ كانت وجبة العشاء، وبعدها الاستعداد لأداء العمرة[1].

(1) من المسائل الّتي يتصورها العديد من النّاس جهلا أنّه لابدّ أن تؤدي العمرة مباشرة من الوصول، وإن كان متعبا، بل أنّه يؤدي النّسك بكلّ كلفة، ولا يكاد يشعر بالخشوع ولا الطّمأنينة، ومنهم من يكلّف نفسه بدعوى الورع، مع أنّ النّبيّ -ﷺ- كما في الرّواية وصل ذي طوى بمكة وبقي فيها ليلة، وفي الصّباح صلّى صلاة الفجر، ثمّ اغتسل، وكان ذلك يوم أحد في اليوم الرّابع من ذي الحجة للعام العاشر للهجرة، وبعضهم يشدّ على نفسه ولو كان مريضا، وبعضهم يصل في وقت الزّحام فيذهب، وبعضهم يتورع حتى عن الاغتسال

ةءاضبلا قلح.indd 149 1/26/2019 9:24:22 AM

الذّهاب لأداء مناسك العمرة

ذهبنا إلى العمرة السّاعة العاشرة ليلا، وكلّ استقلّ حافلته، ووصلنا إلى الحرم، وبدأنا الشّوط الأول، إلا أنّ الزّحام كان شديدا، وكان عندي مجموعة من النّساء فصرخن يردن الخروج، لم يتحملن، وكان أغلب الطّائفين متنقلين، والقليل محرما، هنا تذكرت فتوى الشّيخ ابن عثيمين [ت 2001م] في التّشديد في التّنفل في رمضان والحج؛ لأنّه يؤذي مؤدي الفرض، والنّفل إذا يترتب عليه إيذاء لا يجوز، خاصة وأنّ مجموعة كبيرة تأتي على دفعات واحدة، فتسبب اختناقا شديدا، ويا ليت تعمم هذه الفتوى وهذا المقصد على جميع من أراد الحج والعمرة، ويُفقهون بها.

ذهبنا إلى الجسر المعلّق عند باب الملك عبد العزيز فقالوا مغلق للزّحام، اذهب إلى الثّاني فذهبنا، إلا أنّ الراغبين بالطّواف مجموعة كبيرة، ولن يصل دورنا إلا بعد فترة طويلة، فذهبنا إلى السّطح وهناك طفنا في حوالي ساعة ونصف مشيا بدون توقف، ثمّ سعينا والسّعي أخف.

عموما الطّواف والسّعي لم يكن فيهما حلاوة بسبب الإرهاق والتّزاحم، بل أحيانا تجد السّب خاصة عند التّدافع بين الرّكنين والمقام، والحمد لله على كلّ حال.

الذّهاب إلى للتّسوق ومنطقة جبل النّور

في أثناء التّسوق مررنا بمقبرة كبيرة ومرتبة ونظيفة، قال لي صاحب الأجرة والعهدة له في صحة كلامه دون أن أسأله: هذه مقبرة العدل، لا يدفن فيها إلا الأمراء والأثرياء، قلت له: ولماذا سميت بالعدل إذا؟ هل هذا هو العدل، فسكت ولم يكلّمني حتى وصلنا منطقة جبل النور الّتي نسكن

وتنشيط نفسه، وليس هذا من الورع في شيء، فالورع هو أن يؤدي الواجب بكلّ راحة وطمأنينة، لا أن يشدّ على نفسه، ويرهق ذاته!!

ملف عاض.indd 150 1/26/2019 9:24:22 AM

فيها مع روحانية النّسك إلا أنّها للأسف مليئة بالأوساخ، وطرقها متكسرة، إلا أن أجمل ما فيها مكتبة جرير، فكانت قريبة منا واستمتعنا بها.

المشكلة في المملكة غياب مؤسسات العمل المدنيّ بصورة واضحة، ففي مكة لا تجد في الإدارة ظاهريا إلا رجال الأمن، وهؤلاء يتميزون غالبا بالغلظة، أو الهيئات الدّينيّة وهؤلاء يركزون على الشّكليات، وسابقا كان يشيع قضايا التّبديع والتّفسيق أو ما يسمى بالتّوحيد[1]، ولطالما رأينا في المسجد بعد المحاضرات في السّنوات الماضية شجارا بين الصّوفيّة القائلين بجواز التّوسل بالقبور وهؤلاء المشرِّكين لمن قام به؟

لو فتحت المملكة لمؤسسات العمل المدني عندها لجميع الأطياف بالمشاركة، حتى الأطياف اللّبرالية مثلا، ففي المملكة إبداعات كبيرة شبابيّة ذكورا وإناثا، فضلا عن خارج المملكة، لكان الحج سوقا رائعا للعمل الإبداعيّ.

ولكن للأسف أصبح الحج مقتصرا على جوانب جزئيّة شكلا: إدارة وصحة وفقها!!!

كثيرا ما أزور منطقة النّور في مكة، زرتها في منتصف شوال الماضيّ وإذا بالطّريق محفور لإنشاء جسر فيه، وذهبت الآن بعد شهر ونصف فوجدت الجسر مع كبره قائما، إلا أنّه بقي في تشطيباته الأخيرة، بينما عندنا جسور أصغر منه بكثير يحتاج لسنوات حتى تتم وتكتمل[2]!!!!

(1) الخلل كثيرا ما يحدث بسبب إثارة القضايا الخلافيّة بين العامّة، والعديد منها خلافها لفظيّ، تتسع دائرة الرّأي فيه!!

(2) تغير الحال حاليا عندنا، خصوصا مع الوزير الجديد للنّقل والمواصلات معالي أحمد بن محمد الفطيسيّ، فقام بإصلاحات كبيرة وفي فترة قياسيّة جزاه الله خيرا ومن أعانه وكان معه في الخير والبر والتّقوى والإصلاح والعمل والبناء.

ملف عاض.indd 151 1/26/2019 9:24:22 AM

ذهبت إلى السّوق (سوق الجعفريّة الشّعبيّ القريب من الحرم) ومعي من النّساء للتّسوق، مع أنّي لا أتسوق غالبا في الحج إلا لماما، ومن أماكن قريبة، إلا لوجود بعض النّساء هذا العام خرجت، وصاحب الأجرة طلب منا 30 ريالا سعوديا، وعندما وصلنا قال لي: والله شفتك مدّين والا آخذ 50 ريالا، أعطيته زيادة وتوكلت على الله، وعند الرجوع طلب صاحب الأجرة 100 ريالا سعوديا، ففي مكة نجد الاستغلال للحاج، وعدم اتفاق السّعر!!!

في سكن مكة

في السّكن نجد الحجاج متآلفين، قلوبهم رحيمة، نجد العلم والمرح، الفكر والقرآن والحوار، الصّغير والكبير، الإداريّ والحاج، رئيس الحملة خادمهم، عندنا العقيد والدّكتور والمهندس والطّبيب والباحث والكاتب والمتقاعد، والمتعلم والأمّي، والذّكر والأنثى، كأنّهم أخوة لا تشعر بفروقات بينهم، فيا ليت هذه الصّورة هي القائمة بيننا أبدا، وهذا حلاوة الحج، تسليك عن أيّ مشقة وصعوبة.

يوم التّروية

خرجنا في اليوم الثّامن يوم التّروية السّاعة التّاسعة صباحا إلى منى، وكان الطّريق مفتوحا، وهناك بحق تطور في إدارة الطّرق بعد منع سيارات الأجرة، إلا أنّ المشكلة الآن كثرة الدّراجات وضجيجها، وفي مشهد عجيب اصطدمت إحدى الدّراجات بإحدى الحافلات، ودخلت مقدّمة الدّراجة في أسفل الحافلة ونجا صاحبها بأعجوبة.

قبل سنة جرّبت إحدى الدّراجات وطلب مني 100 ريالا سعوديا في مسافة أقل من أربعة كيلو مترا، إلا أنني نطقت الشّهادتين أكثر من مرة للحالة الجنونيّة في السّياقة، مع إتقانهم لها!!!

ملف عاض.indd 152 1/26/2019 9:24:22 AM

وصلنا المخيم العمانيّ بسرعة، ولم نتأخر كثيرا، في حين قبل سنوات من خرج في التّاسعة قد يصل في الثّانية أو الثّالثة ظهرا، وربما أكثر بكثير[1]!!!

عند دخولنا للمخيم العمانيّ تذكرت الصّينيين والّذين من شرق آسيا، وهم يستقبلون النّاس في حدائقهم وملاعبهم ومطاعمهم، فمع كثرة الزّحام إلا أنّ الابتسامة وحسن الاستقبال أعظم ما يقدمونه لمن زارهم وشرّفهم، بينما ونحن ندخل مع أعضاء البعثة على الباب، إلا أنّ الجفاء في الاستقبال للحجاج[2]، وكأنّه بينهم وبين الحجاج بعدا ومشقة صنعت هذا الجفاء، حينها قلت ليت الدولة تضع حتى هنا أسيويين يعلمونا كيف نستقبل من هو في ضيافتنا، إن كان الدّين لم يعلّمنا؟!!!

في ليلة السّابع جاءني أحد الإداريين طالبا صورة شخصيّة لاستخراج بطاقة خدمة، والحمد لله كانت في حقيبتي مجموعة من الصّور لا تفارقني، فأعطيته واحدة، إلا أنّه لم يسلّمني، وتأخر الرّجل في منى لتجهيز الخيمة، وسلّمتُ سابقا بطاقة المرشدون، وهي بطاقة أخرى للخدمة خاصة بالحملة، وأنا أدخل مع الحجاج في منى أسمع صراخا من شخص شاركته مرتين في البعثة: بطاقة مزورة، بطاقة مزورة، حينها تمنيت لو انسدت السّماء علي، فلست بذاك ممّن يزوّر، وإذا برجل الأمن من جنسية أفريقية ظاهرا يأخذ بطاقتي ويقلعها بسرعة، قلت لهم هذا التّصريح، وكانت رسالة في يدي، وحدث كلام، وأُمْسِك معي شخص آخر من الحملة، بينما البقية ممّن عندهم نفس البطاقة دخلوا، عموما تدخل رئيس الحملة، وهو ذاته يحمل نفس البطاقة!!!، فكتب نائب البعثة أسمائنا أنا والشّخص الآخر، فسألت بعد فترة من أخذ الصّورة لأخذ بطاقة تصريح من البعثة: قال ذهبت إليهم وقالوا

(1) حدث تطور كبير في التّخفيف من الزّحام في الحج في السّنوات الأخيرة، ومع هذا تحتاج مكة إلى شبكة جديدة للطّرق، ووسائل معاصرة يليق بها كمكان.

(2) هذا ما رأيته في الجملة، وليس من باب التّعميم.

ملف عاض.indd 153 1/26/2019 9:24:22 AM

الآلة فيها عطل، ويكفي الورقة حتى حين، عموما عذرتهم، وإن كنت أرجو التّعامل يكون بصورة أفضل وفي هذا المكان المبارك!!!

نعود قليلا مرة أخرى إلى ليلة السّابع، جاءنا رئيس الحملة، وقال إنّ الحملة في أزمة، فقد أنقص ثلث المخيم العمانيّ، وأخذت أكثر خيم المرشدون، فلا تتسع الخيم إلا للثّلث، وعندي فكرة أننا نقسّم الرّحلة ثلاثا، ثلثين ينامون ليلة عرفة وثلثا ينام في مكة، وثلثا آخر ينام في مكة ليلة الحادي عشر، وثلثا آخر ليلة الثّاني عشر!!!

قلتُ له: أمّا الذهاب يوم الثّامن فمن المندوب، وفي مثل هذه الحالة أرى أن نذهب إلى عرفة مباشرة جميعا من مكة صبيحة التّاسع، وبقي الليلتان ففيهما رخصة، وإن كنت شخصيّا غير مقتنع بالوجوب لأدلّة ليس هنا محلّ إيرادها، خاصة وهناك قول من تعذر المبيت فأقرب مكان يسكن، ونحن قريبون من منى.

عموما والحمد لله أرجعت بعض الخيم، وتراص النّاس في الخيمة في منى، وسيأتي الحديث عنها.

كذلك حدث لغط كبير، وكلام كثير بسبب إرادة السّعودية لقطع جزء من المخيم العمانيّ، فالأغلبيّة أخذتهم العاطفة، والبعض خاصّة من الإداريين كان متحاملا على البعثة، وقالوا يستحقون لعلهم يتعلّمون درسا، عموما لن أتحدث عن آراء الآخرين، لكن قلت لهم: بعثة الحج عندنا ضعيفة جدا جدا، وهي تُشكل قبيل فترة بسيطة جدا فلا نلومهم، ومكتب الحج في الوزارة يتيم، فماذا سيقدّم، فأنت كمن ترى الذّئب والدّجاجة، ليت لو كانت لنا هيئة مستقلة تعمل طول العام، وقد كنت بدأت ألملم الأفكار لأكتب عن البعثة قبل الذّهاب لولا المرض، وسأكتب قريبا بإذن الله تعالى ما نويته[1].

(1) كتبته والحمد لله في شوال 1436هـ بعنوان في **سبيل إصلاح بعثة الحج العمانيّة**، موجود في الأعمال الكاملة ج: 15، مرقون.

ملحق عاض.indd 154 1/26/2019 9:24:23 AM

ومن اللّغط الّذي حدث أيضا في الحملة قضية لحوم الهدي، فقد اعتادت الحملة تضع فريقا يعمل في مكة، وتستأجر أغناما، فالّذي يرمي جمرة العقبة الكبرى يوم العاشر يتصل بمندوبه، ثمّ يذبح له، فيرسل له رسالة مضمونها: تحلل بعد دقائق فيتحلل، وكان هذه عادتها، فخلّصت حجاجها من الانتظار في المعيصم لساعات طويلة، إلا أنّ اللّجنة اكتشفت أنّ هذه اللّحوم إمّا أن تباع من قبل نفس البائعين للأغنام، أو تأخذها البلدية فتدفن تحت التّراب، ولا توزع للمحتاجين[1]. فوجدوا تاجرا يبيع أبلا يشترك فيها سبعة، وضمن لهم صاحب الإبل إيصالها إلى المحتاجين بنفسه، إلا أنه سيذبح في الثّاني عشر، فاتصل أحد الإداريين بأحد الشّيوخ الكبار في الفتوى عندنا (لا أحبذ ذكر الأسماء هنا) فرخص له ما دام الحال ذلك.

فاجتمعوا بنا مغرب اليوم السّابع ككوننا وعاظ الحملة، فبعضهم تحسس وبعضهم تشجع، وهنا كما أسلفت أبين رأيي: أنّ المسألة في العقل الباطنيّ للحجاج عدم جواز ذلك، وهكذا كانت الفتاوى، خاصة وأنّ الشّخص لم يعطك فتوى مكتوبة وإنّما كان شفويّا، وهذا سيحدث لغط كبير، وقد حدث قبل سنة، عندما عقدوا مع أحد بائعي الأغنام، فخانهم لأنه لقى صفقة بسعر أكبر[2]!!!

---

(1) ما تقوم به المملكة العربيّة السّعوديّة من استبدال الهدي بالكوبونات ثمّ يتم الذبح وتوزيعه لفقراء العالم أثناء العام موافق لمقاصد الله تعالى، فقد كانت ترمى اللّحوم لاستغناء النّاس عنها، لهذا رأى بعض الفقهاء سابقا كالشّيخ محمود شلتوت [ت 1963م] استبدالها بالنّقود لتحقيق الغاية، وما تقوم به المملكة حاليا تحقيق للغايتين: الإبراء وحسن تحقيق مقصد المنفعة من الشّعيرة، وأمّا مراد قوله تعالى: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ﴾ [البقرة/ 196]، وذلك لمن ساق الهدي معه، فلا يتحلل حتى يصل محلّه، أمّا الآن فالهدي في محلّه، وبدفع الكوبون برأت الذّمة، وتحقق المقصد، والله أعلم.

(2) وذلك تقريبا في عام 1433هـ، حيث أبرمت الحملة عقدا مع أحد بائعي الأغنام، ثمّ وجد

ملف عاض.indd 155 1/26/2019 9:24:23 AM

والمسألة أصلا واسعة، وقد كان إخواننا المغاربة يذبحون قبل يوم عرفة؛ لأنّهم يرون تفسير الآية: ﴿وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ﴾ [البقرة/ 196]، أي عندما كانوا يسوقون الهدي فإذا بلغ المكان جاز التّحلل ولو ذبح سابقا، وهو قول أغلب المدارس الإسلاميّة اليوم، ومعمول به عن طريق بطاقة الذبح، حيث يجمع ويصل إلى المسلمين في العالم.

والحمد لله وجدوا تاجر أغنام، واشتروا منه، ولكن لا ندري هل وزّع اللّحم أم بيع أم دفن في التّراب، أم استلمته الجمعيّات الخيريّة!!!

والجميل أنّ رئيس الحملة اقترح في المستقبل أن تجمع الأموال، وما دامت مكة غنيّة، يذبح بهذه الأموال أو تصرف في بقاع فقيرة من الأرض كأفريقيا وشرق آسيا وغيرها، وهو قول الشيخ شلتوت [ت 1963م] وقول كبير من الفقهاء، ويعمل به سابقا، عندما كانت تتضرر مكة مرتين: بالرّوائح الكريهة، وبجراثيم اللّحوم المتعفنة، فلعل مكتب الافتاء يدرس القضيّة جيدا، ويخرج بنتيجة تلائم الزّمان والمكان ... لعل وعسى ...

وصلنا إلى مخيم منى والحمد لله، كان الجوّ حارا، والمكيفات لا تعمل، ومن حسن الحظ أنّ الحملة وفرت بنفسها كراسي وهي أسرة إلا أنّه ما يميزها

البائع سعرا أكبر، فباعها دون علم الحملة، وهنا وقعوا في حرج شديد، وحدث لغط؛ لأنّه حتى مساء العاشر، وفي وقت متأخر أغلب من في الحملة لم يتحللوا، وأموالهم دفعت، وبعضهم اضطر إلى التّحلل بنفسه مع دفع مبالغ أكبر، وحينها حدث غضب من البعض تجاه الحملة، مع أنّه ليس ذنبها، فإن قيل لهم تحللوا والحملة تضمن لكم بلاغ الهدي صعب إقناعهم؛ لأنّه في ذهنيتهم لا يجوز ذلك، ومع هذا فرّجها الله تعالى، إلا أنّ الليل كان متأخرا، والرّجوع إلى منى صعب حينها، فهنا قلتُ لهم: يجوز المبيت في منى، فاعترض أحد المتدينين: فقال لا يجوز، لابدّ أن نأخذ شيئا من اللّيل في منى، فاتصلنا بأحد المفتين في البعثة، فقال لا بأس، خاصة الضّعفاء والكبار أن يناموا في مكة، ومع هذا غضب هؤلاء وخرجوا ومعهم مجموعة إلى منى، ووصلوا قبيل الفجر!!!

ملف عاض.indd 156 1/26/2019 9:24:23 AM

أنّك لا تلتصق بالثّاني لوجود حواجز، لذا لا ترى صاحبك أثناء النّوم، وهذا بخلاف الكراسي والمنامات التي توفرها البعثة[1].

عموما بالنسبة كان لي الأمر سهلا؛ لأنني كثيرا ما أتلائم في الجوّ الحار، إلا أنني رأيت العديد يتسبحون أكثر من مرة، وجباههم تعرق، ومنهم من أصيب بالصّداع لتغير الجوّ، ومع ضيق المكان، وفي اللّيل إذا أردت الخروج أحيانا تضطر للقفز، أو تحبس نفسك حتى تجد لك مخرجا لكي لا تؤذي الآخرين[2].

ومن اللّغط الّذي حدث في منى قضية جمع الصّلاتين، فهناك يرى الأولى الجمع لضيق الحمامات وقلّتها، وهناك يرى الإفراد وعدم الجمع باعتبار بعض المرويات، وقد كنت كتبت مقالا في هذا قبل سنتين، ومنشور في صفحتي على الفيسبوك، وذكرت قول القطب [ت 1432هـ/ 1914م] في النّيل في استحباب الجمع في منى، عموما الجميل أنّ المسؤول خيّر النّاس بكل أريحيّة، من أراد أن يجمع فليجمع، ومن أراد خلافه فلا بأس، فأفرد الأغلب، وجمع البعض وهم قلّة، ولم ينكر هذا على ذاك، وهذا روح الخلاف وجماليته.

والمخيم العماني في منى على علّاته كان أفضل حالا من حيث التّنظيم من السّنوات الماضية، وفرحتُ بوجود بعض التّغيير في الوجوه، مع بقاء الوجوه المسيرة ذاتها ونفسها، والحمامات أكثر نظافة نوعا ما، والأرضيّة مفروشة، وحدث تغيير في عناوين المطافات.

---

(1) الآن أصبحت البعثة توفر نفس هذه المنامات أو قريب منها، وفي السّابق كان الكلّ ملتصقا بالآخر، وكأنّك في مقبرة جماعيّة!!

(2) ليت المملكة تعيد النّظر في مخيمات منى ومرفقاتها، فهي لا تليق بكرامة الإنسان، وتقدّمها العقل الإنسانيّ كثيرا!!

ملف عاض.indd 157 1/26/2019 9:24:23 AM

إلا أنّه هناك من الحملات من أخذت درسا، واعتمدت على نفسها كحملة المرشدون وقبا وغيرها، ومع هذا واقع التّكييف لا أدري ما سببه، ولا أعرف هل هو يعود إلى البعثة أم إلى المطوّفين السّعوديين، الله أعلم.

والإشكاليّة الأكبر ما رأيناه في إذاعة البعثة غياب النّص القرآنيّ بصورة واضحة هذا العام، فمع بيان القرآن للحج ومقاصده إلا أنّ هذه الآيات نسمعها على خجل في إذاعة البعثة مقابل كثرة المرويات[1]، وهكذا الحال في عرفة، وقد تمنيت الالتفات إلى مقاصد الحج للنّاس كالنّظام والمساواة والنّظافة والتّوحيد والطّهارة المعنويّة وغيرها والّتي فصلّت في سورتي البقرة والحج، كما يكثرون من مرويات فضائل بعض الأذكار والّتي هي محفوظة أصلا!!!

إلى عرفة

قبل أن نبدأ الحديث عن عرفة، تحدّثنا سابقا عن غياب مؤسسات العمل المدني في المملكة، وإذا كان هذا من قبيل الكلّ؛ فإنّ البعثة العمانيّة لا نجد فيها شراكا مدنيّا أيضا، إلا في السّابق كانت الكشافة، ولم تكن حتى عام 2008م تعطى مكافأة كباقي العاملين في البعثة، عدا أنّ البعثة تتكفل بمصاريف حجهم، كذا كان يشرك بعض طلبة معهد [كليّة] العلوم الشّرعيّة.

إلا أنّ الحج فرصة كبيرة للجمعيات ومؤسسات العمل المدنيّ في بث الوعي الفكريّ والاجتماعيّ، وميدان خصب وكبير، لا ينبغي الاقتصار عند الجانب الدّينيّ الفقهيّ فحسب، وإن كنا نعذر البعثة في عدم القدرة على توفير المخيمات لما أسلفنا، إلا أنّ هناك فراغات يمكن أن تستغل، كما أنّ الخيم ذاتها يمكن أن تقام فيها العديد منها النّدوات وبعض المعارض المتنقلة

(1) وقد كتبتُ في هذا مطوية: مقاصد الحج في القرآن، وأضيف إلى كتاب **الحج والعمرة خطوة خطوة** بالاشتراك مع الشّيخ محمد البوسعيديّ.

ملف عاض.indd 158 1/26/2019 9:24:23 AM

من أجل بث روح التّوعية في كافّة مجالاتها، مع فتح أكبر مجال للمتطوعين من الشّباب ودعمهم إن لم يكن من الدّولة فمن المجتمع ذاته، وهذا ميدان خصب للتّنوير وبث المعرفة ونشر الوعي بمختلف مشاربه.

كذلك للأسف نجد في البعثة نقصا كبيرا في الكادر الدّينيّ ذاته قبل أن نتحدث عن الجوانب الأخرى، فعدد الوعاظ لا يبلغ أصابع اليدين، فكيف يتحمل هذا عشرة آلاف حاج على الأقل؟!!!!

كما أنّ العديد من القوافل لا تلتزم بقانون توفير واعظ، ولا تقوم بتفقيه الحجاج، وعدد النّدوات الّتي تقام قبل الحج ضعيفة، من هنا يحبذ تفريغ الوعاظ وإشراكهم في البعثة، فإنّ التّثقيف في الحج مقاصديّا وفقهيّا أمر مهم، والحجاج بحاجة إليه، وتفريغ الوعاظ ودعمهم، وهذا عملهم، وهو أمر لابدّ منه في واقع الحال.

في صباح الجمعة انطلقنا إلى عرفة، والحمد لله كانت الطّرق ميسرة، أسهل بكثير من السّابق، مع وجود مئات المشاة، وصلنا إلى مخيمات عرفة مبكرا في بداية السّاعة التّاسعة، إلا أنّها أسوأ بكثير جدّا من مخيمات منى، ومكيفاتها لا فائدة منها، والحمامات بها سيئة جدا، ومولّدات الكهرباء كانت قريبة، وتحدث ضجيجا كبيرا، فمع الحرارة كان التّلوث الصّوتيّ، ولكن الأمور مرّت على ما يرام والحمد لله تعالى، والعلاقة بالله والخشوع له في هذا اليوم هوّن الأمر ويسّره.

كان النّاس في الصّباح منهم النّائم ومنهم المستيقظ، ومنهم الّذي يأكل، وقد وفرت البعثة صناديق كثيرة تحوي وجبات خفيفة، إلا أنني في هذا السّنة لم أجد بها شعار البعثة كالعادة، ولعلّه كان الإعداد متأخرا، وكانت الخيم شبه فارغة، وهنا طلبتُ من أحد الّذين يخرجون في الدّعوة [جماعة الخروج] أن يلقي لنا بيانا (محاضرة) يذكرنا بالله والوقت، فلم يقصّر جزاه الله خيرا.

ملف عاض.indd 159 1/26/2019 9:24:23 AM

في ليلة عرفة لم أستطع النّوم إلا قليلا بعد الثّالثة فجرا، ثمّ الاستيقاظ الرّابعة؛ لأنّ الوقوف في الحمامات وانتظار دور الوضوء يحتاج أكثر من نصف ساعة وربما يزيد، ولكن يومها تحمّلت، واقتصرت على العلك بدل السّواك، عموما هذا أثر عليّ، فعند الحادية عشرة اكتظت الخيم بالنّاس، والعديد من النّاس افترشوا الأرض تحت حرارة الشّمس؛ لأنّهم لم يجدوا مكانا، فنادت البعثة على النّائمين بالاستيقاظ، وعلى المتفرقين بالتّراص توسعة لإخوانهم، هنا خسرت فرصة الفراغ في البداية، وعن جانبي فراغ ملتصق بالتراب، فقلت أمدّ رجلي وظهري قليلا لأنّه لن يجلس أحد هنا لمدة خمس دقائق فقط، وعندي صاحب من سمائل متقاعد من العسكريّة، وأنا أتحدث معه في دقيقة الامتداد إلا ويدخل شخص ويجلس جانبنا، ويظهر عليه آثار التّعب، فيرفع صوته أنّ المكان يتسع لشخصين مع أنّه ملحق بالتّراب، وصعب اجتماع شخصين فيه، وأردت فقط القيلولة لخمس، إلا أنّ الرّجل جاء معتذرا بعد ذلك، وطالبا الصّفح، فقلتُ له لا خير فيك إن لم تنصحنا، ولا خير فينا إن لم نتقبل، والدّين النّصيحة، وقرأنا سورة العصر. [وما أبرئ نفسي إنّ النّفس لأمارة بالسّوء].

ومن مشاهد عرفة الجميلة، كان معنا رجل في الحملة، لا أراه يدعو، وإنّما كان ينظف المكان، ويوسع لإخوانه، ويأتي لهم بالماء، قلتُ له: لماذا لا تجلس للدّعاء؟ قال لا أحفظ الدّعاء، ولكن لعل الله يغفر لي وتنالني دعوة حاج فأستغل الوقت في خدمة الحجاج وتهيئة المكان لهم، فهذا الحاج يعمل أفضل من عشرات الحجاج ممن يضيّع وقته في قيل وقال!!!

قبيل الظهر قام خطيب عرفة، وكانت خطبة عرفة لهذا العام رائعة، مقارنة بالسّنوات الماضية؛ لأنها خرجت عن المألوف، وذكرت قضايا معاصرة، وعلى رأسها قضية التّكفير وذبح الإنسان، وسألتُ لاحقا عن الخطيب فقيل لي الشيخ سالم بن مبارك الرّواحيّ من ولاية سمائل، ثمّ كان

ملف عاض.indd 160 1/26/2019 9:24:23 AM

بعدها صلاتي الظّهر والعصر جمع تقديم، وبعدها الدّعاء الجماعيّ، وجزء منه فيما يبدو للمحقق سعيد بن خلفان الخليليّ –رحمه الله– [ت 1287هـ] كعادة العمانيين الدّعاء به في عرفة، ثمّ كانت الوقفة.

وأثناء الدّعاء الجماعي وصلت صناديق الغداء في الخيمة الّتي على يسارنا، فقام البعض بالأكل حثي جلس الأكثر والإمام يدعو[1]، أمّا خيمتنا فلم يصلها الغداء، وذهب البعض بعد الدّعاء لإحضار الغداء، فلا أدري هل تغدى الجميع أم لا، لأنّي سمعت بتدافع كبير عند مصدر توزيع الأكل، وهل هذا عمّ جميع الخيم أم لا الله أعلم، مع أنّ الغداء يوم عرفة على نفقة الدّولة، ويوجد سنويّا سوء في التّوزيع، لعلّه لقلّة العدد، والله أعلم.

ذهبت إلى دورة المياه بعد العصر، وكالعادة الانتظار، إلا أنّه سمعت صراخا في الخلف وضجيجا، وذلك لأنّه أحد الحجاج سقط مغميا عليه، ولعله من الحرارة وسوء الجو، فطلبوا توسعة المكان له، إلا أنّ الحمام غير مهيأ أصلا للاستحمام، ولا يوجد به أنبوب، فأحضروا إناءا صغير (طاسة) وطلبوا منه الاستحمام.

والحمام الّذي بجانبه كان الأنبوب مكسورا، والماء يخرج باندفاع، والقليل من يدخله؛ لأنّه سيخرج ملطخا بالماء، والله أعلم بحال الحمامات الأخرى، فقط أذكر ما كان قريبا مني.

وهنا لا أدري لمن يرجع هذا إلى البعثة أم إلى السّعودية؛ لأنّه حمامات مزدلفة لأنّها عامّة نجدها جيّدة ونظيفة وبكثرة، مقارنة مع حمامات عرفة في المخيم العمانيّ، المسألة تحتاج إلى رقابة وبحث ومسائلة، وفي الوقت نفسه إجابة صريحة من المسؤولين ليعرف الحاج مصدر الخلل، حتى لا يظلم أحد وهو لا ناقة له ولا جمل، ولا تبخسوا النّاس أشيائهم.

(1) ينبغي التّخفيف في الدّعاء الجماعيّ في عرفة وعدم التّطويل فيه، تسهيلا على النّاس.

ةعاضإ_ملق.indd 161 1/26/2019 9:24:23 AM

كان التّشديد من قبل إذاعة البعثة في قضيّة الإفاضة، واعتبروا الإفاضة حتى بنية التّحرك أو بالتّحرك معصية[1]، مع أنّ المسألة خلافية، ومسألة رأي واسعة، فهناك في المخيم العمانيّ إباضيّة وسنّة أحناف وشافعيّة وحنابلة، وشيعة إماميّة، والمسألة غير متفق عليها حتى في المذهب، وإيصالها لحد المعصية الّتي تؤثر على الحج فيه نوع من المبالغة، والمعاصي -في نظري- تحتاج إلى دليل قطعيّ، أو تبقى المعصية من الصّغائر ومخالفة الأولى، وكان يكفي للمنبه أن يقول إنّه يكره ولا ينبغي، والأولى خلافه، بدلا من التّشديد الجازم في قضايا الخلاف، واتهام من أخذ بالرّأي الآخر بعدم اتباعه للسّنة!!!

وفعلا أثناء الخروج من المخيم العماني كان الازدحام والتّدافع في شدّته، فقلت سبحان الله: ربما نصف من في المخيم خرج فكيف لو كانوا موجودين، بل كيف لو كان حجاج عرفة أفاضوا جميعا دفعة واحدة، لحصل هلاك عظيم، وتدافع خطير، في منطقة غير منظمة، والخطوط متعارضة، من هنا نشعر بحلاوة الخلاف وسعته وجماليته عندما نحترم ولا ننكر ونعنف في قضايا رأي واسعة، والحمد لله.

الإفاضة من عرفات

قبل الحديث عن الإفاضة من عرفات تذكرتُ حادثة متعلقة بالوعظ، وهو أنّه أحد الأخوة المتقاعدين من الدّيوان، اتصل بهم بوجود كرسي مجاني لهم للحج، مع حملة مشهورة عندنا، فجاءني قبيل الذّهاب لأجيب عن بعض الأسئلة له، وقلت لا تخف هذه الحملة الّذي أعرفه أنّها تسكن قرب الحرم، مع البذخ في المأكولات، وعندكم الشيخ .... يذهب سنويّا كمرشد وواعظ في الحملة، وفي اليوم السّادس من ذي الحجة اتصل بي، وسألته أين تسكنون؟

(1) للإفاضة من عرفة أقوال أشهرها: يصح النّفر قبل الغروب، وقيل يجوز التّحرك إلى حدود عرفة قبل الغروب، وقيل يجب المكوث، ولولا سعة الخلاف لهلك النّاس أثناء الإفاضة.

ملف عرض.indd 162 1/26/2019 9:24:23 AM

قال في مزدلفة، وأبدى سخطه لعدم وجود واعظ ولا مرشد ولا دروس، وأنّه خائف مستقبلا في أيام الحج في منى وعرفة، فهم يعتمدون على أنفسهم واجتهادهم، أمّا الأكل والسّكن فجيد، قلتُ له: أليس معكم الشّيخ...؟ قال: اكتشفنا هنا أننا في الدّرجة الثّانية، والشّيخ يكون في الدّرجة الأولى!!!

بغد غروب شمس عرفة أعلنت الإفاضة من المكبر الصّوتي للبعثة، وكبّر النّاس، وخرجنا، وأثناء الخروج كان الزّحام في شدته في المخيم العماني، فقلت سبحان الله لو أفاض الجميع في وقت واحد، لحدث هلاك وتدافع شديد، وهذا من رحمة الخلاف كما أسلفت سابقا.

أمّا في الخارج فالظّاهر أنّ الأغلب يفيضون مبكرا، أو يتقدّمون في الإفاضة، حيث المكان فاضيا.

وبالجملة كان الجوّ روحانيا، والنّاس فرحة بالحج الأكبر، والتّلبية مرتفع صوتها، فتقدّمنا إلى الحافلات حسب التّوزيع، أي في ثلاث حافلات، لكلّ حافلة مسؤول وإداريون وواعظ.

وفي أثناء الانتظار فقد أحد ممّن كان معنا أمّه، وكانت كبيرة في السّن، والحمد لله وجدها بعد فترة بسيطة؛ لأنّها ثبتت في مكانها، ولم تتحرك، ولو تحرّكت لغابت، وبالتّالي وجودها يحتاج لفترة قد تطول كثيرا.

انطلقنا إلى مزدلفة، وكانت هذه تجربتي الأولى في الرّكوب، حيث تعوّدت المشي في السّابق من عرفة إلى مكان المبيت حيث المشعر الحرام حوالي سبعة كيلو مترات، والمشي له لذه، وتلتقي بحجاج من العالم تتسلى مع بعضهم بالسّؤال والحديث، وفيه رياضة.

لم تستغرق الحافلات كثيرا، والطّريق مفتوح خلافا للسّابق، فوصلنا بسرعة، وخرج الرّكاب، ووجدنا الحملة هيأت كلّ شيء، وكان العشاء جاهزا، والحمامات في مزدلفة نظيفة وكثيرة، فتوضأنا، وصلّينا المغرب والعشاء

ملف عاض.indd 163 1/26/2019 9:24:23 AM

جمع تأخير، ومن الحجاج وهم الغالب جمعوا الحصى للرّمي، على الأقل تسع وأربعون حصاة، لليوم العاشر سبع، والباقي للحادي عشر والثّاني عشر، ومن حسن الحظ وجدوا أكداسا من الحصى المجمع والمكسر، فكان تجميعهم للحصى في غاية السّهولة، أمّا أنا فجمّعت الحصى قبل الفجر.

ومن شدة التّعب لم نشعر بما حولنا من تلوث صوتي، فكان النّوم سريعا، إلا أنني استيقظت مرتين، مرة لصوت رنين إحدى الحافلات الكبيرة بصوت عالي وهم يفيضون بعد منتصف اللّيل، وبعدها استيقظت ابحث عن ماء بارد فرجعت القهقرى، ولم أجد الماء البارد.

وقبل ساعة من أذان الفجر استيقظنا على صوت رئيس الحملة وهو يكرر بداية سورة المزمل، فقلت له مازحا: ألا تقولون إنّ النّبيّ لا يقيم اللّيل في مزدلفة، فغير السّورة وقرأ بدايات سورة المدثر.

كانت الحمامات ليست مزدحمة إلا أنّ التّأخير يحدث بسبب الاستحمام، انهينا الغرض منها مبكرا، ورأيت البعض يقيم اللّيل، وهنا تذكرت عائشة [ت 58هـ] عندما تقيم اللّيل في هذا اليوم، وتأملت في سورة المزمل، وأحداث اليوم العاشر ليست بأكثر من جهد الدّعوة، والنّبي عليه السّلام فترة الوصول إلى مزدلفهم في زمنهم سهلة، وبالتّالي الاستيقاظ ليس صعبا، هنا دخل في نفسي الشّك من تلك الأقوال الّتي تبين أنّ الصّلاة هنا ليلة العاشر خلافا للسّنة، ورأيت العديد من النّاس يصلّون، والسّنة في الجملة ليست حرفا بل هي أبعاد ومقاصد، والحديث يطول حول هذا وليس هنا محلّه.

صلينا الفجر في مزدلفة، وبعدها كان الذّكر لفترة بسيطة، ثمّ بسرعة جمعت الأغراض، فركبنا الحافلات، ووقتها جاءت امرأة كبيرة في السّن وأخرى صغيرة، ومعهم رجل أعمى، وهم من البعثة المغربيّة، ولكونهم تائهين طلبوا الرّكوب معنا، فاستأذن الأخوة المسؤولَ وركبوا، وطلبوا إيصالهم إلى

ملف عاض.indd 164 1/26/2019 9:24:23 AM

البعثة المغربيّة، فقلنا لهم لا نعرف موقعها، فعند نزولنا في منى انزلوا أنتم، ثمّ اسألوا من يرشدكم لذلك.

وحين بدأ الخروج إذا بحاج يضرب واجهة الحافلة الأماميّة بقوة طالبا من سائق حافلتنا التّوقف، وكان الضّارب من الحجاج العمانيين للأسف، وكان رافعا صوته ويضرب الحافلة بكلّ قوته، فغضب السّائق غضبا شديدا، وكاد يلقنه أبشع الألفاظ، وكان من الجنسيات العربيّة، يعمل في شركة النّقل الجماعي بالمملكة.

هنا ندرك أنّ الحج يحتاج إلى سعة بال، وحسن خلق، وأن يكون المرء سفيرا بأخلاقه وقيمه، مجسّدا طيبة وطنه، وعظيم قيمه.

انتظر صاحب الحافلة فخرجت حافلتهم، فأراد التّحرك، وإذا بالعماني يعمل الحركة نفسها لتخرج الحافلة الأخرى، وهنا السّائق لم يتحمل فحرّك حافلته بقوّة، والعماني يشتد غضبا.

وكنا نحن ثلاث حافلات ملتصقة، فهذه الحركة أخرت حافلتنا وكانت رقم (3)، فوصلنا متأخرين، وكنّا آخر من يصل إلى سكن مكة بسبب هذه الحادثة، ولحادثة أخرى سيأتي ذكرها بإذن الله تعالى.

في الطّريق إلى مكة ورمي جمرة العقبة الكبرى يوم النّحر

خرجنا من مكان المبيت في مزدلفة، وكان الطّريق يمشي ببطئ شديد، وكان معنا الشيخ عبد الله العيسريّ، وكان يربطنا بآيات الحج بعد كلّ نسك، ليلفتهم إلى التّربية القرآنيّة، ووصلنا تقريبا السّاعة الثّامنة قرب المخيم العماني بمنى، وكان هذا تطورا في السّير، ففي السّابق كان من العسير الوصول في هذا الوقت إلا ماشيا.

نزلنا جميعا، ومشينا، والمشكلة الأخرى كان أحد الحجاج معه أمّه، وكانت كبيرة في السّن، ولا تستطيع المشي، والمشكلة ترفض ركوب العربات،

1/26/2019 9:24:24 AM 165 .indd ةءاضبلا

وهنا مشكلة توعويّة، فبعض الكبار في السّن حجوا، ووجودهم يمثل إعاقة للحملات، وكذا العجزة والمرضى، وكان بإمكانهم أن يزوروا المكان عمرة في الوقت المناسب، والمشكلة الثّانية أن النّساء الكبيرات والمرضى يشقون على أنفسهم بالرّمي فيتعبون غيرهم، خاصّة إذا كان التّنقل جماعيّا، والمشكلة الثّالثة يرفضون ركوب العربات تصورا أنّ المشي أفضل، مع أنّهم يقولون إنّ النبي حج راكبا!!!

وهنا أعجبتني كلمة لرئيس الحملة وهو أنّ الأجر في مراعاة الجماعة، لا في مراعاة الذّات، فهنا تعليم لتحقيق البعد الجمعيّ لا الذّاتيّ!!

وهنا انقسم الإداريون إلى قسمين، قسم الأغلب مع الجماعة الأكثر، وقسم مع العجزة، ووصلنا إلى الجمرات، وكان الطّريق سالكا، والمسافة من نقطة نزولنا إلى موقع الجمرات كيلوان وستة أمتار، فصعدنا إلى الطّابق الثّالث، وكان الأمن السّعوديّ ينظم سير الحاج، فرمينا جمرة العقبة الكبرى سبعا، ثمّ هنا أنا وصاحبي لم نجد الجماعة، لكوننا انعزلنا؛ لأنه لا يوجد معنا نساء، ولأنّه من كان معي من النّساء تقدّمن، فقال لي: ابحث عنهم وأرجع لك، ولكنه ذاته غاب، فقلت أنزل لأنّ الانتظار لا فائدة منه، فنزلت فوجدت الجماعة في الأسفل، وكان معهم، وإذا بهم يبحثون عن شخص غاب عنهم؛ لأنه قال سأمشي أمام الرّاية!!!

وللأسف كان هاتفه مغلقا، ولكن جاء اتصال، والظاهر أنّه استعار هاتفا من أحد الحجاج، وقال أنا عند شركة الاتصالات قريب شارع الحج، فذهب المسؤول ولم يجده، فقرروا التّقدم فوجدوه صاعدا في أحد الأبراج مع شرطة المراقبة السّعوديّة!!! وهو يلوح: أنا هنا أنا هنا، فغضب المسؤول: وقال قلتَ لنا عند الشّركة، قال نعم، قال له وأين الشّركة أليست في الخلف، قال سامحني، فقال له المسؤول مداعبا: اطلب المسامحة من الجماعة لأنّك أخرتهم، وهذا وقتهم ...

جلق ةءاضإ.indd 166 1/26/2019 9:24:24 AM

صعدنا عقبة شارع الحج، ونزلنا عند موقف الحافلات في منطقة الشّشة، وانتظرنا بعض العجزة، وهؤلاء أخروا من معهم مرة أخرى، فوصلوا، وتحركت الحافلة، ووصلنا قرب الظّهر سكن الحملة بجبل النّور والحمد لله تعالى.

التّحلل الأكبر

وصلنا إلى السّكن قبيل الصّلاة، وبما أنّ الأخوة ممّن وكل لهم الذّبح لم يعلنوا بعد الانتهاء من الذّبح أخذنا قسطا من النّوم، ثمّ قمنا للتّحلل، وكان معي بعض الأخوة من ولاية سمائل، وكان أحد حجاج الحملة يحلق بالموسى، ولكننا فضلنا الحلاق (آلة الحلاقة) فخرجنا فوجدنا المحلات مزدحمة، وكان هناك حلاق تركي اثنان منا فضلوه، أما أنا فقلت إذا كان الهنود مع سرعتهم متى ينتهون من حلاقة هؤلاء فكيف بالتّركي؟

فرجعت ومعي ثالث الثّلاثة، وفي الطّريق التقيت بأخوين ممّن درسا معنا في معهد العلوم الشّرعيّة، وكانا متأخرين عنّا بسنة أو سنتين لا أذكر جيدا، كانا قد وكلا بالذّبح من قبل البعثة، حيث كانا في اتجاه الحلاق التّركي، أمّا أحدهما فلم التقِ به منذ عشر سنوات، والثّاني لقيته في معرض الكتاب الماضي بعد عشر حجج أيضا.

رجعنا إلى السّكن، وكنت قد حملت من عمان آلة حلاقة (ماكينة) صغيرة، فطلبت من أحد الأخوة الحلق إن أمكن، فحلق النّصف من الرّأس وبقي النّصف الآخر؛ لأنّ الآلة لم تستطع الإكمال، وإذا به يصرخ من الضّحك على شكل الرّأس، فقلت له ما دمت أخذت شيئا من الشّعر على قول من سبق ولو شعيرات فقد تحللت، فكيف قد أخذت بنصف الرّأس، فغطيت رأسي، ووجدت باكستاني بالسّكن يحلق بالآلة، فأكملت النّصف الثّاني معه والحمد لله، أمّا صاحبي ثالث ثلاثة فذهب بعد الظّهيرة للتّحلل وقد قل طالبي الحلاقة.

ةعاضبإ_قلح.indd 167 1/26/2019 9:24:24 AM

طواف الإفاضة

جلسنا في السّكن حتى صلاة العشاء، وهنا كسبنا الفرصة للمكوث أكثر في مكتبة جرير القريبة منا، وبعد العشاء صلينا، ثمّ انطلقت الحافلات الثّلاثة في تمام السّاعة التّاسعة إلى الحرم، لأداء طواف الإفاضة، وكنا مذبذبين هل نذهب إلى الأسفل للطّواف أم الأولى مباشرة الذّهاب إلى الطّابق العلوي، خشية أن يحدث نفس ما حدث في طواف القدوم فنتأخر؛ لأنّه عندي بعض النساء، عموما كان القرار أخيرا أن نذهب إلى الأسفل فذهبنا، ولم يكن الازدحام كبيرا، فطفنا بسهولة إلا بين الرّكنين اليمانيين، وخلف مقام إبراهيم.

وأثناء الطّواف الظاهر أحدهم تقيأ، ولكن حينها لم يمكن التّوقف، وهنا حدث بعض التّدافع، وإذا بعمال النّظافة بسرعة يحضرون لنظافة المكان.

طفنا طواف الإفاضة، وصلينا ركعتين، وشربنا من ماء زمزم، وكانت النّساء معنا يحملن زجاجات بلاستيكية صغيرة يملأن بها ماء زمزم كلّما أتين الحرم، مع أنّي ذاتيا لا أؤيد حمل الماء، ولا اعرف مصدر ما يروى عنه، والماء بذاته في أيّ مكان مبارك، وهو من نعم الله، وماء زمزم هناك نشربه فنعرف نعمة الله ونتوسل بهذه النّعمة لله سبحانه، ومع هذا لكلّ رأيه، وعلينا احترامه.

ثمّ ذهبا إلى السّعي في الطّابق الأسفل، وكان ميسرا والحمد لله، إلا بعض التّدافع القليل عند جبل المروة والصّفا، وهنا عادتي في وقت الزّحام لا أصعد بل أكتفي بعلامة انتهاء الصّفاء أو المروة حتى لا أوذي، فاعترضت امرأة كبيرة كانت معنا، فقلتُ لها الجبل كان أكبر وأكثر امتدادا، والمسعى كان أصغر بكثير، فنحن نزيد أكثر من الواجب، ونكتفي بذلك حتى لا نؤذي فنؤذى!!!

ملف عاض.indd 168 1/26/2019 9:24:24 AM

الرّجوع إلى منى ليلة الحادي عشر

ذهبنا إلى الحافلات، وكانت السّاعة قرب الواحدة تقريبا، فانطلقت الحافلات إلا واحدة لم تتمكن لكونها لم يفسح لها المجال للوقوف من قبل الشّرطة، وهذه الحافلة الأصل تذهب إلى جبل النور لأنّ هناك ممّن أخر طواف الإفاضة إلى الوداع، ومن ثم تنطلق إلى منى، عموما انطلقت الحافلتان إلى منى مباشرة، ووصلنا آخر مزدلفة؛ لأننا أتينا من الخلف تجنبا للزّحمة، ومع هذا مشينا أكثر من كيلوا ونصف، ووصلنا المخيم السّاعة الثّانية ليلا، وكان الحجاج مرهقين بشدة، فلا هم ينامون فتذهب صلاة الفجر، ولا هم يصلّون لأنّه بقي ساعة ونصف عن الفجر، وعليه يتصبرون حتى يؤذن الفجر فيصلون وينامون، ومع هذا المخيم ذاته أشبه بالعذاب لحرارته وضيق المكان، فكيف يهنأ النّوم فيه!!!.

ولمّا دخلت البوابة سألوني أين بطاقتك، قلت لهم ليس عندي بطاقة، وإنّما هذا التّصريح الّذي أعطيتمونا إياه، وكنت قد تحدثت عنه، وهنا أحد الكشافة وكان تعامله حسنا جدا، وابتسامته مقدّمة أفضل ممّن استقبلنا بداية من أعضاء البعثة، وكأن معرفة بيننا ولكن لا أدري أين، أم سحر الابتسامة صنعت هذا الخيال، فشكله مألوف، أخذ التّصريح وسجّل البيانات، ومنها أنّ التّصريح من وزارة الأوقاف، ومختوم، ووو إلى آخره، قلت له التّصريح من عندكم وسبق إيصاله لديكم، قال لا بأس ولكن هذا تسجيل إدرايّ، ثمّ أعطاني أياه، وعندما أردت الذّهاب طلبه مرة أخرى، وقال أريد أصوره بالهاتف، قلت له تفضل، وصوّره صورتين، فذهبت والحمد لله.

ونأتي الآن إلى الحديث عن الحافلة الثّالثة، فهي كما أسلفنا لم يسمح لها بالوقوف، ولهذا قرروا الرّجوع عن طريق سيارات الأجرة إلى السّكن ثمّ هناك تأخذهم الحافلة، وكان معهم الرّئيس، وكنت الأصل معهم إلا لوجود

ملف عاض.indd 169 1/26/2019 9:24:24 AM

بعض المحارم في الحافلة الثّانية، فرخص لي من أجل المشي مع المحارم أن أركب في الحافلة الثّانية.

وصل هؤلاء إلى السّكن مرهقين وبقي القليل من الفجر، واتصل بي المسؤول عن وجود رخصة للمبيت في جبل النّور، فقلت له لا عليكم شيء، وليتني كنت معكم فأفوز فوزا عظيما، وأهرب من عذاب مخيمات منى.

وفي الجملة لا توجد شريعة تبيح ما يحدث في منى، ونحن في عصر النّهضة العلميّة، ومن أتفه المكتشفات التّكييف والبناء الّذي يليق بالإنسان، ولكن هذه الأمّة لا زالت تسقط ثقافتها في منى، فمع وساخة المكان، إلا أنّ الحال سيئ جدا، والمكان مهيأ لانتشار الأمراض والأوبئة، فقلت ما الفائدة من التّطعيم؟ فلولا رحمة الله لهلك النّاس في هذا المستنقع المليء بالجراثيم والأوبئة!! أمّة تتحدث عن التّطعيم الّذي مع أهميته وخدمته لرؤوس أموال الصّانعين من الغربيين، إلا أنّها لا تهتم بالوقاية والنّظافة!!!

ومن العجيب أنّ المسؤولين الكبار وكبار الشّخصيات، وأصحاب الدّرجة الأولى بنيت لهم عمارات قرب الجمرات، وقد ذهب أحد الأخوة لزيارة أحد أصحابه ممّن حج معهم، فمنع من الدخول، وأخبروني – إن صح الخبر – لكل واحد غرفة خاصة، ويوجد حجر صحي عن مخالطة الآخرين، والعمارات ملحقة بالجمرات، وتحملهم الحافلات إلى قرب الجمرات، وهنا تذكرت فيما أشيع عن أحد شيوخ الأزهر المتأخرين إن صح ما ذكرته الصّحف عنه واستغفر الله إن لم يكن صحيحا، فقط نذكره ليس لذات الخبر، وإنّما لنكهة الخبر ولو لم يكن صحيحا، في جواز الرّمي لهؤلاء من الحافلات عن طريق رشاش مخصص لهذا، وهذه الفتوى أشيعت بعد مذبحة الجمرات قبل سنوات!!!

ومع هذا للأسف تجدد التّشديد في الفتاوى مع عدم وجود دليل واضح، وقد أخبرني بعض الأخوة ممّن لم يجد سكنا في منى لأنّه ذهب بدون تصريح،

ملف عاض.indd 170 1/26/2019 9:24:24 AM

فاتصل بأحد المشايخ ممّن وكل بالفتوى، فقال اذهب إلى منى ولو بمقدار دقائق ثمّ اخرج، وكأنّهم يتصورون أنّ الذّهاب والرّجوع هينا مع واقع الحال، وضيق المكان، ووجود آراء أخف لمثل هؤلاء وأيسر لهم، وشريعة إبراهيم حنيفية سمحة والحمد لله تعالى.

مع أيام التّشريق ورمي الجمار

تصبرت وأنا أحد الشّباب ممّن يدرس في معهد العلوم الشّرعيّة بقراءة ومذاكرة أحد كتب مصطفى محمود [ت 2009م]، وكان قد بقي ساعة تقريبا عن الأذان، فجاءنا أحد كبار السّن من البدو، فقال لنا مطاوعتنا في السّابق قبل الفجر يصلون، وأنتم تتحدثون، هنا مازحته برواية ابنة الإمام أحمد [ت 241هـ] مع الشّافعيّ[ت 204هـ] -إن صحت الرّواية- عندما زار الشّافعيّ أحمدا، فراقبت ابنة الإمام أحمد الشّافعيّ وكان مشهورا بقيام اللّيل، فلم يقم اللّيل يومها، ولما أخبرت أباها، ثمّ أخبروا الشّافعي بالأمر، قال لم أنم اللّيلة وإنّما ذاكرت فيها أربعين مسألة، فمع تكلّف الرّواية، ومع هذا كانت جيدة هنا، حيث ذكرناها لتلطيف الجوّ. هنا خرجت لأتوضأ ووجدت النّاس صفوفا، فاقتنعت كالعادة في مثل هذه الأحوال بالعلك والوضوء فقط، فرجعت وانتظرت الصّلاة، وصلينا الفجر وبعدها سقط النّاس من التّعب، ولكن ما هي إلا فترة بسيطة فكان المستيقظ والمار؛ لأنّ الحرارة أرهقتهم، والمكان كما أسلفنا غير مهيأ أصلا، والحمد لله على كلّ حال.

مر اليوم سريعا، وزارنا الشّيخ خالد العبدليّ، وتحدث عن الذّكر في القرآن الكريم، وبعد العصر ذهبنا لرمي الجمار، وكنّا خمسة رجال وسبع نساء، وفي الطّريق نزل المطر، فأحد النّساء صرخت من الفرحة وطلبت مني أن أدعو لكي يؤمنوا، فقلت ادعو في نفوسكم، فلم تتمالك إلا أن رفعت صوتها وقامت تدعو وكأنّها خرجت من سجن كانت فيه!!!

ملف عاض.indd 171 1/26/2019 9:24:24 AM

رمينا الجمرة الأولى والثّانية والثّالثة، ولما أردنا الرّجوع صرخت امرأة وقالت إلى أين: قلنا المخيم، قالت أرجوكم بالله، وأتوسل، خذونا إلى السّكن... إلى مكة... إلى أي مكان إلا المخيم، لا نريده، قلنا لها لا يمكن، إلا إذا أردتن المبيت في مكة، ولكنهن في النّهاية قررن الرّجوع وتحمل الأمر لليلة أخيرة!!!

في الطّريق وقرب المخيم العمانيّ بعد مفرق نفق المعيصم سقطت أحد النّساء، ولم تسطع الصّبر، هنا ذهبت لاستئجار عربة، فقال لي صاحبها وكان من أهل مكة، صغير بالسّن، نحملها مقابل ثلاثمائة ريالا سعوديا، أي ثلاثين ريالا عمانيّا وزيادة قليلا، فقلت له هذا المخيم وقريب، فقال هذا السّعر، فرجعت إليهم وأخبرتهم بالأمر، هنا جاء نفسه صاحب العربة بعد دقائق، وقال كم تعطوني، قلت له مائة ريالا أي عشرة ريالا عمانيّا، قال لا مائة وخمسين، قلت له تفضل، فركبت العربة ووصلنا، والمسافة بسيطة جدا، فدخلنا المخيم، ولم يسألني البواب عن البطاقة هذه المرة، والحمد لله، وكنت حاملا للتّرخيص عموما.

رجعنا إلى المخيم، وصلّينا المغرب والعشاء، ورجع الأخوة ممّن بات في مكة، وقد رموا الجمار، وأعلن المسؤول جدول الغد، وفيه أنّ الحافلة لنقل النّساء ممّن يردن التّبكير وكبار السّن والمرضى ستأتي بعدما يرمى عنهن، والشّاحنة لنقل الأغراض ستأتي صباحا.

فتعجبت شخصيّا من هذا الخبر، وهذا التّكلف في انتظار خبر الرمي عنهنّ أو عن العجزة، وفي الصّباح ذهبت إلى المسؤول، ما الدّليل على هذا، وأنت تعرف وقت الإفاضة، قال إذا يوجد رخصة فالأمر أسهل لنا؛ لأنّه في المساء لا ندري كيف يكون الطّريق، وقلت له كيف نترك النّساء ونرمي عنهن، وخاصة قد أقنعت محارمي بالذّهاب مبكرا، وأنا أتوكل بالرّمي عنهن.

ملف عاض.indd 172 1/26/2019 9:24:24 AM

هنا المسؤول أرسل أحد الوعاظ إلى البعثة، فرجع وقال: قال لي الشيخ ... إنّ السابقين يشددون، وتوجد رخصة، فقلتُ الحمد لله ...

ومن الطّريف كان أحد البدو من الشّرقيّة جاء لزيارة بعض ممّن معنا في الحملة، وقال الحملة انقسمت عندنا إلى قسمين، الشّافعيّة أرسلوا نسائهم الآن، والإباضيّة تأخروا، قلت له أما ذهبتم ركن الافتاء بالبعثة، قال ذهبت وأخبرونا بالرّمي عنهن أولا، قلت له: ذهب أحد وعاظنا وأحضر لنا رخصة، وأرسلنا نسائنا، فما دريت إلا وقد قام بسرعة إليهم، فلا أدري بماذا ختم عندهم ...

وعندما رجعت إلى عمان رأيت أحد الآباء ساخطا، قال هذا العام يشددون في الفتوى، قلت له لماذا، وذكر لي أن الإداريين والمرضى والنساء تأخروا حتى يرمى عنهم، فوصلوا مكة التّاسعة، والأمتعة معهم، فتأخروا في العشاء!!!

قلت له: الحمد لله من الإداريين عندنا ممّن تقدم، فتغدينا نحن المتقدمين في الرّمي في سكن النّور، ووجدنا الغداء جاهزا والحمد لله!!!

ما أريد إيصاله هنا ينبغي أن يكون المفتي مرنا في أمر يضيق على النّاس، وأوسع رأيا، فالأمر إذا ضاق اتسع، والسّير في منى يوم النّفر ليس هينا!!!

التّعجيل يوم النّفر

قلت لأحد الأخوة من سناو: الحمد لله نسائي ذهبن فما رأيك نجرب التّعجيل لنرى الحال عند الزّوال، قال توكلنا على الله، فذهبنا ثلاثة، أنا والسناوي ورجل من بوشر، وفي الطّريق شاهدنا ثلاثة من كبار السّن العمانيين، وكان أحدهم يحمل حقيبتين، فرفض السّناويّ إلا أن يحمل عنه حقيبته، وكان الحديث متبادلا حتى وصلنا قرب الجمرات فافترقنا، هم ذهبوا من الأسفل، ونحن من الأعلى في المصاعد.

ةعاضبإ_قيلط.indd 173 1/26/2019 9:24:24 AM

وعندما خرجنا من المصاعد كان الزّحام، والنّاس متوقفة وجالسة تنتظر الأذان، ووجدنا المئات يرمون، وقلت سبحان الله: ما أعظم سعة الخلاف، فهؤلاء أخذوا برخصة الرّمي قبل الزّوال، وهم أمّة عظيمة، فكيف لو لم توجد هذه الرّخصة.

هنا تقدّمنا، وعندما أعلن الزّوال رأينا النّاس ممّن جلس يركضون بقوة في مشهد عجيب، لم أره في حياتي، فرمينا عن أنفسنا ومن ننوب عنه، والحمد لله تعالى.

بعد عقبة شارع الحج، وكانت المسافة بعد العقبة إلى السّكن حوالي أربعة كيلوا مترا ونصف، إلا أنّ الأخوة قرروا استئجار سيارة، فصادفنا حافلة فقلنا له جبل النّور قال بمائتين أي عشرين ريالا عمانيّا، قلنا مبلغ كبير، ونحن في المشي جاء بنفسه وقال كم تعطون؟، قال السّناويّ: مائة، فوافق، وركبنا، ووصلنا مبكرا، ودفع المبلغ صاحب بوشر، ورفض أن نشاركه.

صلّينا الظّهر والعصر جمع تقديم، وتغدينا ثمّ نمنا، ووجدنا نسائنا والعجزة ومن الإداريين وصلوا قبلنا بكثير.

أمّا الأخوة الآخرون فوصلوا عند أذان المغرب؛ لأنّهم تحركوا بعد الرّابعة.

اليوم الثّالث عشر من ذي الحجة وطواف الوداع

عموما كان اليوم الثّالث عشر مفتوحا، وتُرِك النّاس يتسوقون، وقرروا الفجر الذّهاب لطواف الوداع، فانطلقنا الثّالثة فجرا، ووصلنا وقد قامت صلاة الفجر، فصلّينا الفجر مع الإمام، وكان يقرأ آيات قليلة مراعاة للنّاس، وهذه حسنة في أئمة الحرم أنّهم يراعون النّاس أيام الزّحام فيخففون.

وبعدها صلّينا السّنة، وهنا أخذنا الطّمع، وقلنا نذهب إلى الأسفل، وأثناء الدّخول كان التّدافع الشّديد، وكادت تسقط أحد النّساء، فوصلنا

ملحق عاض.indd 174 1/26/2019 9:24:24 AM

إلى الصّحن، وقلنا ننظر، فطفنا الأول بكلّ مشقة وعسر، فلم تستطع النّساء الصّبر، وذهبنا إلى الوسط؛ لأنّ المعلق قد يأتي دورك بعد ساعتين أو أقل قليلا، فطفنا في الوسط، والحمد لله كان أيسر حالا، وبعد الطّواف صلّينا ركعتين، ورجعنا إلى الحافلة.

وأثناء الخروج حافلتنا لحقت قليلا سيارة صغيرة، فتوقف صاحبها في الشّارع ونزل يسبّ سائق حافلتنا، والجميع من جنسيات عربيّة، ومن بين السّب تلقينه بالحيوانات كالحمار، وأنّه سيحضر الشّرطة، هنا طلب المسؤول من السّائق عدم الرّد وأنّه سيتكفل، ولكن السّائق شمّر ساعدية، حيث يريد أن يدفع بذلك السّائق إلى الحافلة ليلقنه درسا وهو يسبّه أيضا، فأوقفه الأخوة، ونزل المسؤول ومعه أحد الإداريين وأخذوا سائق السّيارة الصّغيرة على جنب، وخاطبوه بحسن الكلام، ولين الجواب، فهدأت نفسه، وذهب روعه، وركب سيارته ومشى، فاستغل أحد الوعاظ هذا الدّرس العمليّ في حسن الرّد والتّعامل، ومدافعة السّيئة بالحسنة، وذكر بعض النّماذج.

الرّجوع إلى السّكن مرة أخرى

بعد الطّواف رجعنا إلى السّكن، والوقت الباقي للذّهاب إلى الطّائف حوالي ثلاث ساعات تقريبا، وهنا جاءت مسألة الفطور، فقال أحدهم: يرخص لهم في الأكل، وعندما سئل عن الاستحمام أجاب أنّ مشايخنا يشددون، وأنا أحترم بداية هذه الآراء، إلا أنّها مفتقرة للدّليل، وقد كنت سابقا أرغب في كتابة مذكرة كاملة عن طواف الوداع ...

ولا بأس هنا أن أجسد بعض الملحوظات، فطواف الوداع لا يصل إلى الوجوب، فهو أقل ما يقال فيه الاستحباب، ورواية النّهي ظنيّة، قطفها الرواي عن أحداثها الجانبيّة، ولا ندري هل نطق بها النّبيّ -ﷺ- هكذا أم لا، ولا يوجد ما يعضدها قرآنا، فهي على أقل الأحوال ندبا؛ لأنّ النّهي -في

ملحق عاض.indd 175 1/26/2019 9:24:24 AM

نظري- إن ورد عن طرق روائيّة آحاد لا يصل إلى الوجوب، ولا الأمر كذلك، ويبقى في دائرته الظّنيّة النّدبيّة أو الكراهة إذا كان نهيا...

ثم وإن سلّمنا أنّه يراد به الوجوب فلا دليل ما يمنع خلافه من أكل واستحمام وتسوق، والرّوايات هنا تتوقف عن ذكر ما فعله النّبيّ بعدها، وأين ذهب، وكذا صحابته، والتّشديد كان لأنّهم فهموا ما يخالفه، ووسعوا فيه، حتى أوصلوه لدرجة الدّم، مع أنّ الله تعالى ذكر الفدية التّخييريّة في واجب منصوص، فكيف لا تكون الفدية في ظنيّ مفهوم؟!!!

ثمّ ما الفرق بين الاستحمام والأكل، وكلاهما بلا دليل، والاستحمام ليس أقل حاجة، وقد رجع الطّائفُ بعرقه، وأنهكه الحرّ والتّعب، وتصوروا لو شدد في الأكل، وخرجوا بدون أكل ومنهم المريض والمتعب بل هم الغالب والأكثر، فلا أتصور شريعة سمحة تبيح هذا!!!!

والطّواف جملة له علاقة بختام عبادات الحج ندبا، لا بأعمال الإنسان الخاصة، فأعماله جزء من حياته، وهذه عبادة جملة لا تشريعا.

العودة إلى الوطن يوم الرّابع عشر

انطلقنا إلى مطار الطّائف، وودعنا مكة بين مدرسة النّسك ومجتمع الأخوة، ووصلنا الطّائف، وصلّينا الظهر والعصر في مسجد الطّائف، ثمّ انطلقنا إلى المطار، وكنا لوحدنا لا توجد حملات أخرى، إلا أفرادا ممّن شاركنا في الرّحلة من غيرنا، وغادرت الطّائرة الرّابعة والنّصف، ووصلنا مطار حمد في الدّوحة وصلّينا فيه المغرب والعشاء، ثمّ بسرعة كانت الطّائرة الأخرى، وبها وصلنا مطار مسقط السّاعة العاشرة والنّصف ليلا.

وفي مطار مسقط أعجبت بنظام البطاقة الالكترونيّ، وهو سريع جدا، وأخذنا حقائبنا، ووجدنا الأطفال في الخارج يرحبون بالحجاج، ويوزعون الزّهور والحلويات.

ملف عاض.indd 176 1/26/2019 9:24:24 AM

وبهذا نصل إلى ختام هذه الرحلة اختصرتها لكم مع مشاهد أخرى كثيرة، ولكن تجنبا للإطالة.

ولم أرد بهذا نقصا لأحد، أو مدحا لذات، بل ذكرت الشيء كما رأيته أمانة في النّقل، والله شهيد على ما أقول، وهو المبتغى وما عنده مأمول.

جلق ةعاضإ.indd 177 1/26/2019 9:24:24 AM

أيام قليلة في القاهرة

ولدنا ونشأنا في مصر وإن لم نرها يوما، وصدق من قال: مصر أمّ الدّنيا، فمنذ بداية الطّفولة وحتى الثّانويّة وبعدها غالب من درسنا كانوا من مصر، ونسبة كبيرة من التّلفاز ومسلسلاته وأغانيه كانت لمصريين، وأكثر الكتب الّتي كانت تتناقل بين الشّباب حينها ويستهويها الجميع كانت من مصر!!!

لقد نشأنا مع كتب القرضاويّ والغزالي وفرج فودة والشّعراويّ ومصطفى محمود وأنور الجنديّ وكتيبات محاضرات كشك وجاد الحق وجمال البنا وأبي زهرة وعمارة وطه حسين وشلتوت وخالد محمد خالد وسيد قطب ومحمد قطب وزينب الغزاليّ والعقاد ومصطفى المراغيّ وعلي عبد الرّازق وقاسم أمين وسلامة موسى ومحمد عبده والطّهطاوي وغيرهم كثير جدا.

لقد استمتعنا منذ الصّغر بترجمات المنفلوطيّ وروايات الحكيم ونجيب محفوظ وعبقريات العقاد ومقالات الرّافعيّ وشعر شوقي وحافظ والرّافعيّ ومقدمات الزّيات!!

وكانت أصوات عبد الباسط والحصريّ والمنشاويّ حاضرة في كلّ روح، وابتهالات النّقشبنديّ لا زالت في الأذهان!! بينما كانت ألحان سيد درويش والموجيّ ومحمد عبد الوهاب وسيد مكاويّ وبليغ حمديّ وغيرها تسود كلّ فنّ ولحن، فكيف وقد أطرب غناء أم كلثوم وعبد الحليم ونجاة وفريد وغيرهم ممّن كان مصريّا أو عاش فيها العالم أجمع.

ملف عاض.indd 179 1/26/2019 9:24:24 AM

لقد عشنا منذ بدايات تكويننا مع الملكيّة في مصر، من محمد علي بك وإصلاحاته وبعثاته إلى سقوط الملك فاروق، واستمتعنا بأحاديث ثورة سعد زغلول وعرابيّ والصّراع مع الإنجليز والملكيّة.

وعشنا تماما ثورة الضّباط الأحرار وسقوط الملكيّة، وتعيين الجمهوريّة البرلمانيّة بقيادة محمد نجيب، ثمّ الانقلاب عليه وصعود جمال عبد الناصر، وما حدث في عهده وقبله آخر الملكيّة من أحداث، كالصّراع مع الإخوان، ومقتل النّقراشيّ، وقضية التّنظيم السّريّ، واعتزال الغزاليّ، ومقتل حسن البنا، وقضية تأميم قناة السّويس، وهزيمة مصر مع إسرائيل.

ومرت بنا الأحداث إلى وفاة عبد النّاصر بسكتة قلبية، وصعود السّادات وما حدث في عهده من فتح الحريات للإسلاميين وغيرهم، وحرب أكتوبر حرب انتصار مصر، ومعاهدة السّلام مع إسرائيل أو كامب ديفيد وخلاف السّادات مع البابا شنودة إلى حادثة اغتياله، ومن ثمّ صعود حسني مبارك وتراجع الوضع الاقتصاديّ والفنيّ والمعرفيّ في عصره.

هذه الأحداث عشناها وكأننا مصريون وإن لم نر مصرا بأعيننا، لكن رأيناها بعقولنا وقلوبنا...

ولهذا أرسلت قبل أشهر للأستاذ المفكر عمرو الشّاعر نريد زيارة مصر في شهر مايو، لنعدّ جدولا ثقافيا، ولكن شاء القدر أن تأتي زيارة مفاجأة وسريعة لمصر، بدون سابق ترتيب، فلما أخبرته بالزيارة قال بانتظاركم، وهو من المنصورة، قلت له للأسف لن نتمكن لأنّ هذه الزيارة سريعة جدا، وعليه نؤخر الزيارة المعرفيّة مع الكتاب ومفكري مصر إلى سبتمبر إذا شاء القدر[1]!!

ذهبنا إلى مصر وفي المطار استحضرت هؤلاء العمالقة من المصلحين والكتاب والقانونيين والأدباء، وبعد زيارتي للقاهرة: أدركتُ أنّ هؤلاء

(1) للأسف لم نتمكن من تكرار الزّيارة لظروف طرأت ولعلّ ذلك قريبا بإذن الله تعالى.

ملحق عباض.indd 180 1/26/2019 9:24:25 AM

استفاد منهم غير المصريين أكثر من استفادة مصر منهم، ولو أدركت مصر عمق ما قالوه لكانت مصر اليوم تضاهي دول أوربا نظاما وحريّة وتعليما وصحة وإنتاجا ومعرفة واختراعا!!

استقبلنا الأستاذ هاني عبد الفتاح، تلميذ المفكر الدّكتور محمد عمارة، وكان استفتاحا حميدا، واختار لنا شابا خلوقا متواضعا يعرف القاهرة وسككها ومداخلها ومخارجها، وهو الأستاذ حازم ليرافقنا في هذه الجولة السّريعة، والأستاذ هاني يدرس الفلسفة وهو ناشط في التّنوير والإصلاح، وخطيب أزهريّ في الوقت نفسه، ورجل في قمة التّواضع، ما فتأ يسأل عنا يوما بيوم حتى رجعنا عمان.

أراد أن يعقد لنا جلسات مع تنويريين ومفكرين، ولكن قلت له الوقت قد لا يتسع حاليا؛ لأننا نريد أن تكون الزّيارات وفق خطة محكمة، وهنا لا أنس المفكر والأستاذ شعبان حسان الّذي تواصل معنا يوما بيوم وهو من الإسكندريّة، ورجونا زيارته لولا بعد المكان عن القاهرة.

ولا أنس هنا تواصل فضيلة الشيخ طاهر رمضان عبد الرّازق من خطباء الأزهر الشّريف وهو من السّادة الرّافعيّة في السّويس، وابنه الأستاذ وليد، وطلبوا أن نشرفهم بإلحاح والخطبة معهم، واعتذرنا لضيق الوقت.

عموما على الوضع الّذي تمر به مصر اقتصاديا إلا أنّ مصر لا زالت والحمد لله بخير، وتتنفس الحياة يوما بعد يوم، لتعود كما كانت عروسا في العالم الإنسانيّ والإسلاميّ والعربيّ، وإذا ألح المصري يصعب التّخلص منه، وهذا ما كان مع أحد ممّن عمل في عمان، فأصرّ أن نزوره في المحلة الكبرى من المحافظة الغربيّة، فذهبنا إليه عصر الخميس، وكان الشّارع مزدحما جدا، بسبب رجوع النّاس إلى بلدانهم، ومع أنّ الطريق في الأيام العادية يأخذ ساعة ونص، إلا أننا أخذنا قرابة ثلاث ساعات!!

ملف ةءاضبا.indd 181 1/26/2019 9:24:25 AM

مررنا على الريف المصري واستحضرت رواية يوميات نائب في الأرياف لتوفيق الحكيم، وغيرها من المسلسلات والرّوايات الّتي عشنا معها الرّيف المصريّ، وفيها شاهدنا التّراع والنّخيل والفواكه وحياة البساطة، ومررنا بطنطا وسوقها الجميل، وشاهدت قبل المحلة منطقة صفط تراب، وهنا تذكرت القرضاويّ وهو يتحدث عنها في كتابه القرية والكتاب الجزء الأول، فهذه المنطقة الّتي ولد فيها، وهنا وصلنا إلى المحلّة وأتحفونا بكرمهم، وفيها أكلنا أول مرة الحمام المحشي مع الأرز، وكان لذيذا جدا.

والمحلّة الكبرى فيها أكبر شركة للغزل في الشّرق الأوسط، وظهر منها العديد من العلماء والمفكرين والسّياسيين والفنيين، كأبي زهرة وذي الفقار وأبي السّعود وأشرف عبد الغفور وجابر عصفور وغيرهم كثير.

والعادة عندهم أن يجلس الجميع في مجلس واحد ذكورا وإناثا، ويتجاذبون أحاديث السّياسة والفكر والوضع العام.

ونرجع إلى القاهرة مرة أخرى فقد عشنا في فندق يطل على نهر النّيل، وهنا رجعت بنا ذكريات النّيل وشعره وأغانيه!!

وفي القاهرة كانت أحاديث وزيارات ومشاهدات الأهرام والفراعنة وأبي الهول، والقلعة وسجن الحربيّ، والمكان الّذي سجن فيه سيد قطب وأعدم، وأخته زينب وكشك والسادات، وأطللنا على مسجد الحسين وعائشة وغيرها، ومع تمثال رفاعة الطّهطاويّ -رائد الإصلاح المصريّ-، وتمثال طلعت حرب -أبو الاقتصاد المصريّ-، ومع ميدان التّحرير ومركز القاهرة، والمكان الّذي اغتيل فيه السّادات، ومع خان الخليليّ وشبرا والميناء والأزبكيّة وشارع العتبة ومصر الجديدة، وكلّ مناطق القاهرة!!

إن كتبت عن القاهرة فيحتاج لوقفات طويلة، إلا أنّ الأسى يعود بنا أن يتراجع هذا البلد الطّيب إلى الخلف لنرى الفقر والحاجة والقرى العشوائيّة

182 .indd ةعاضإ قيرط 1/26/2019 9:24:25 AM

والفوضى وعدم النّظام وانتشار الأميّة، بينما المصريون ساهموا في بناء أوطان غيرهم، وعلّموا أجيالا من غير جلدتهم، وكانوا سببا في نهضة أمم غيرهم، وزادها بؤسا الإرهاب الذي لا يرحم أحدا، والتّشدد الدّينيّ الغريب على السّماحة المصريّة، واستيراد التّكفير والتّشدد الّذي أصبح يهدد العقل المصريّ!!

ومع هذه لمصر عشرات من المتنورين، ومصر حيّة وستظل حيّة ما شاء الله أن تدوم، وفيها عقول جبارة إذا استفادت منها مصر سيعمّ الخير الإنسان أجمع بإذن الله تعالى.

183 indd.ملق ةءاضبإ 1/26/2019 9:24:25 AM

مفكرة الكاتب

من خلال ما كتبته في السّنوات الماضية، تجمّعت لدي مجموعة من المقالات والبحوث القصيرة، والبحوث الطّويلة، فأمّا المقالات فجمّعت ما يناسب نشره تحت عنوان [**إضاءات**] وهو على حلقات، ومن المقالات ما نشر في كتاب، كالقيم الخلقيّة والإنسان عن دار سؤال/ 2016م، وفقه التّطرف عن الجمعيّة العمانيّة للكتّاب والأدباء ودار مسعى/ 2018م.

ثمّ ارتأيت جمع البحوث والأنشطة القصيرة والمذكرات تحت عنوان [**إضاءة قلم**] على شكل سلسلة حلقات، ومن البحوث القصيرة ما طبع كما في هذه الخريطة حسب التّسلسل الزّمنيّ[1]:

أولا: التّبغ غير المدخن بين الطّب والدّين، كتب سنة 2005م، وطبع سنة 2007م، طبع المطابع العالميّة – مسقط/ سلطنة عمان.

ثانيا: الإمام الجوينيّ في كتاب اللّمع مقارنة بالمدارس الكلاميّة الإسلاميّة، كتب سنة 2005م، لم يطبع لغرض تطويره.

ثالثا: القمع الفكريّ بين المدارس الإسلاميّة [أسباب وآثار]، كتب سنة 2006م، لم يطبع، غالبه طوّر في مقالات وكتابات لاحقة كالقيم الخلقيّة

(1) أخرجنا البحوث الطّويلة والكتب سواء المنشور منها أم غير المنشور، وكذا اللّقاءات والمقالات والمطويات، واكتفينا بالبحوث القصيرة الّتي لم تنشر، وما نشر أو يحتاج إلى تحقيق أكبر أشرنا إليه في الخريطة.

ملحق عاض.indd 185 1/26/2019 9:24:25 AM

والإنسان، طبع دار سؤال – بيروت/ لبنان، 2016م، وفقه التّطرف، طبع الجمعيّة العمانيّة للكتّاب والأدباء، مسقط/ سلطنة عمان، 2018م.

رابعا: زكاة الفطر بين حاجة الفقير وحرفية النّص، كتب سنة 2008م، نشر كمقالات في جريد عُمان، وأضيف إلى كتاب أيام رمضان، نشر الكترونيّا.

خامسا: الرّسول الدّاعيّة، كتب سنة 2009م مع سلسلة وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين، إعداد وعاظ مسقط، طبع سنة 2009، مطبعة الألوان الذّهبيّة – مسقط/ سلطنة عمان.

سادسا: آداب الطّريق بين التّأصيل الفقهيّ والتّطبيق العمليّ، كتب سنة: 2010م، منشور ضمن أعمال ندوة تطور العلوم الفقهيّة، الفقه الحضاريّ فقه العمران، طبعة وزارة الأوقاف والشّؤون الدّينيّة – سلطنة عمان، الطّبعة الأولى 1433هـ/ 2012، ص 735 – 767، ومنشور كملخص في كتيب آداب الطّريق بين التّأصيل والتّطبيق، طبع دائرة الوعظ، بوزارة الأوقاف والشّؤون الدّينيّة – سلطنة عمان، الطّبعة الأولى، 2010م.

سابعا: مقاصد الحج والعمرة، كتب سنة: 2011م، طبع ضمن كتاب دليلك في الحج والعمرة، آخرها الطّبعة الثّالثة، مطبعة النّهضة – مسقط سلطنة عمان، 1435هـ/ 2014م، واختصر منه مقاصد العمرة في كتيب طُبعَ في المطبعة والعامّ نفسه.

ثامنا: فكرنا الإسلاميّ والقيم الإنسانيّة، كتب سنة: 2014م، مقدّم لمؤتمر التّطرف الفكريّ لجمعيّة الكتّاب والأدباء، سلطنة عمان – 2015، طبع البحث في كتاب: التّطرف الفكريّ ومدى تأثيره على المجتمع العربيّ، إعداد وتحرير: خميس بن راشد العدويّ، طبعة الجمعية العمانيّة للكتّاب والأدباء ودار الغشام/ مسقط، الطبعة الأولى 2017م، من صفحة 10 وحتى 51.

تاسعا: التّسامح الفقهيّ في سلطنة عمان، كتب سنة: 2016م، والّذي سيكون أول أبحاث هذا الكتاب.

186 .indd ةءاضبإ 1/26/2019 9:24:25 AM

عاشرا: الثّقافة العربيّة والحراك الاجتماعيّ، كتب سنة 2016م، مقدّم للنّدوة المصاحبة للاتحاد العام للكتّاب والأدباء العرب، بعنوان: نحو استراتيجيّة ثقافيّة في الوطن العربيّ، والّتي عقدت في فندق البستان روتانا بدبيّ، من 4 – 7 ديسمبر 2016م. ونشر في أشرعة بجريدة الوطن العمانيّة، وموقع مجلّة دار الفكر/ دمشق، وسيكون البحث الثّاني لهذا الكتاب.

الحادي عشر: **الرّحلة القميّة**، تدوين للرّحلة العلميّة إلى قم بالجمهوريّة الإيرانية الإسلاميّة من 2/22 وحتى 2/26 لعام 2017م، كتب سنة 2017م، واختصرت الرّحلة في مقال: الرّحلة إلى قم وأبعاد التّعايش والتّعارف، نشر مجلّة شرق وغرب، عدد 13، إبريل ومايو 2017م، ص 100 – 105. ويكون المنشط الثّالث لهذا الكتاب.

الثّاني عشر: مذكرات رحلة الحج لعام 1435هـ، وهي مذكرات كتبتها لرحلتي الثّامنة إلى الحج، وأضفت إليها بعض المراجعات في الحج، وهي المنشط الرّابع لهذا الكتاب.

الثّالث عشر: الرّحلة الكويتيّة (فنّ الرّحلات). تدوين لرحلتي إلى الكويت، من الثّلاثاء 8 مايو وحتى الجمعة 11 مايو 2018م، وإلقاء كلمة في تجمع الميثاق الوطنيّ حول التّسامح (عمان أنموذجا)، ونشرت على شكل حلقات في مجلّة شؤون عمانيّة الالكترونيّة.

ةءاضبإ ملق.indd 187 1/26/2019 9:24:25 AM